

الدكتور أحمد درويش

ابن دريد

رائد فن القصة العربية

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة - مصر



ابن دريد

رائد فن القصة العربية

تأليف

الدكتور أحمد درويش

الكتاب : ابن دريد رائد فن القصة العربية

المؤلف : د/ أحمد درويش

رقم الإيداع : ٤١٨٢ / ٢٠٠٣

تاريخ النشر : ٢٠٠٤

الترقيم الدولي : 5 - 719 - 215 - 977 I. S. B. N.

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للنشر ولا يسمح

بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه . بأي

شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابي من الناشر

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاطوغل (القاهرة)

ت : ٧٩٤٣٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٣٤

التوزيع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٣١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول

ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

والعرض الدائم

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت طبعة أولى محدودة من هذا الكتاب ، منذ نحو عشر سنوات . كانت الهيئات الثقافية فى سلطنة عمان ، قد نظمت ندوة علمية حول ابن دريد ، الذى ينتمى إلى عمان ، مع أن شهرته ذاعت فى العراق وفارس ، وفى إطار هذه الندوة ، تم إصدار طبعة محدودة من الكتاب ، وزعت على حضور الندوة ، وتحركت فى دائرة ضيقة ، نظرا لعدم وجود دور للنشر والتوزيع هناك آنذاك .

وكنت ومازلت أعتقد أن القضايا التى أثارها الكتاب ، لها من الخطورة والحياة . ما تستحق معه أن تطرح فى دائرة أوسع ، لكى تستفيد وتفيد من خلال حوار المتخصصين والمهتمين ، وتأتى أهمية هذه القضايا من الفترة الزمنية التى تحركت منها ، وكذلك أيضا من الفترة الزمنية التى تصب فيها ، فابن دريد ينتمى إلى القرن الرابع الهجرى ، وهو قمة نضج الحضارة العربية الإسلامية ، وكان ابن دريد يلقب فيه بأستاذ الجيل ، فقد عاش نحو مائة عام وتخرج على يديه معظم أدباء هذا القرن وعلمائه ، وما يزال الكثير من كنوز هذا القرن غفلا فى حاجة إلى أن تمتد إليه أيدي الدارسين بالمراجعة والتحقيق والاكتشاف ، ليستفيد منه عصر يحاول البحث عن جذوره قبل أن تقتلعه رياح عاتية لا ترحم من لا جذور له .

ومع أن الكتاب تناول ابن دريد المؤلف الغزير الإنتاج ، والشاعر المبدع ، فإنه ادخر الجزء الأكبر من صفحاته للقضية التى اتخذناها عنوانا لهذه الطبعة . وهى «ريادة فى القصة العربية» من خلال «أحاديث ابن دريد» التى سبقت المقامات ، وكانت تتكون من سبع مجلدات ، ضاع معظمها ، وقد حاولنا رصد الملامح الفنية لهذا الجنس الأدبى الذى أثر تأثيرا مباشرا على بديع الزمان الهمداني تلميذ ابن دريد فكتب فن المقامة ومن ثم تحركت فكرة القصة العربية .

ثم حاولنا من ناحية ثانية ، تتبع الشذرات التى بقيت من هذه الأحاديث فى كتب تلاميذ ابن دريد ، وخاصة تلميذه أبو على القالى ، وأعدنا ترتيبها وتصنيفها فيما أطلقنا عليه «محاولة لتجسيد نص أدبى غائب» أملين أن تكون الدراسة الممهدة والنصوص المجمعة عوناً يساعد على العودة إلى المنابع فى فترة من أزهى فترات الحضارة العربية ، وفى عصر يعتبر امتداد العصر الإحياء الذى بدأ مسيرته منذ نحو قرن ، والذى مازال فى حاجة إلى مزيد من تسديد خطواته وتصحيح مساراته حتى تستعيد الثقافة العربية قوامها الحقيقية .

والله ولى التوفيق

أحمد درويش

المهندسين - القاهرة

٨ أغسطس ٢٠٠٢

بين يدي الكتاب

تمثل شخصية ابن دريد واحدة من الشخصيات الهامة في التاريخ اللغوي والأدبي ، فقد كان علماً بارزاً من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجريين ، اللذين يمثلان فترة الازدهار في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ومع ازدهام هذين القرنين بكثير من الأعلام في مجالات المعرفة والإبداع المختلفة ، فقد ظل صوت ابن دريد واحداً من الأصوات المتميزة ، سواء في رسوخ قدمه في مجالي الشعر والعلم معاً ، رسوخاً لم يعهد إلا عند نفر قليل في تاريخ الحضارة العربية الممتد ، أو في تنوع مصادر المعرفة عنده تنوعاً يمتد إلى معظم شعب الثقافة التي عرفها عصره ، ما كان منها قديماً موروثاً أو طريفاً مستجداً ، ما اتصل منها بالرواية عن الآخرين أو بالدراسة بطرق البحث والنظر ، أو قد باستشراف آفاق جديدة للمعرفة والإبداع ، قد تجر عليه غضب بعض معاصريه ، أو قد تدفعه إلى هنات تحسب عليه ، ولكنها في كل الحالات - تفتح الطريق واسعاً للتجديد في مجال الدرس والنص ، تجديداً يترك أثره على معاصريه ويمتد ذلك في تاريخ العربية المتصل الحلقات .

وتميّز هذه الظاهرة الثقافية المتمثلة في ابن دريد ، لم يأت من فراغ ، وإنما أتى من عوامل كثيرة ، عنى البحث بالوقوف أمامها ، واستكشاف آفاقها ، فهناك ظاهرة الإطار الزماني لعمر امتد نحو قرن من الزمن ، وذاكرة حافظت على خصوصيتها حتى النهاية ، وظاهرة الإطار المكاني التي جعلت حركة ابن دريد على مدار سنوات عمره ، تحيط بالجزيرة العربية من جنوبها إلى شمالها ، وتتفاعل مع مراكز الحضارة الإسلامية في بلاد فارس مثلما تفاعلت معها في البصرة من قبل وفي بغداد من بعد ، ومثلما تأثرت

وتشكلت وأثرت فى الحياة الثقافية والسياسية فى عمان موطن ابن دريد الذى إليه ينتمى وبه كان يشتهر ، كما دعاه تلميذه المسعودى عندما أرخ لوفاته فى مروج الذهب داعياً إياه بـ «ابن دريد العماني» . ولقد ظلت فكرة علاقته بوطنه عمان غائمة فى بعض فتراتها عند بعض الباحثين ، وقد عنى هذا البحث بمحاولة تجلية هذه القضية ، وترتيب الأحداث والمعطيات التاريخية والاستعانة بنصوص ابن دريد الشعرية فى محاولة للإجابة عن بعض التساؤلات التى ظلت من قبل معلقة .

وكانت ظاهرة التفاعل مع العصر أخذاً وعطاءً ، إحدى الظواهر التى وقف أمامها البحث ، محاولاً تصور مناخ القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وصراع الثقافتين القديمة والحديثة ، وموقف ابن دريد منهما ، ومحاولاً كذلك تصور صعوبة البحث عن صوت متميز فى عالم الدرس فى عصر ازدهمت فيه المؤلفات ، وكثر فيه العلماء ، وكيف أن كثيراً من مؤلفات ابن دريد شفت عن ذلك الصوت المتميز الذى يتسم به رواد التجديد والتطوير فى العصور المختلفة ، وكان الوقوف أمام جانب آخر من العطاء ، يتمثل فى تلاميذ ابن دريد الذين غطوا معظم مجالات المعرفة فى القرن الرابع الهجرى ، وبرزوا فيها ، فكان منهم مؤرخ الأدب أبو الفرج الأصفهاني ، والناقد الشهير الأمدى ، والجغرافى المؤرخ المسعودى ، وعالم الأندلس المعروف أبو على القالى ، والنحوى البارز أبو سعيد السيرافى ، ومؤرخ الشعر المرزبانى ، وشاعر العصر المتبنى ، وغيرهم كثيرون حملوا علم ابن دريد وطرائقه فى التفكير والبحث ، إلى مختلف الأمكنة والأزمنة ، وجعلوه يستحق لقب «أستاذ الجيل» .

أما النتاج الفنى لابن دريد فقد ضاع الكثير منه ، وإن كان القليل الذى بقى يشى بقدرة فنية رفيعة ، كان له ديوان من الشعر فى خمسة مجلدات ، وكتاب من «الأمالي» النثرية فى سبعة مجلدات ، وقد تحدث عنهما علماء القرن السابع ، بعد أكثر من ثلاثة قرون على وفاته ، ولم يبق من هذا كله إلا القليل ، أما ما بقى من الشعر فقد

جمع فى ديوان صغير حقق مرتين ، وقد وقفنا أمام نصوصه من حيث المعمار الهندسى للقصيدة ، ومن اللافت للنظر أن بعض صور هذا المعمار كالمثلثة والمربعة والقافية المعكوسة سجل فى ابن دريد زيادة فى بناء القصيدة العربية لم توجد صورها عند غيره من الشعراء ، وقد سلم من قصائد ابن دريد المفردة قصيدته الطويلة «المقصورة» التى تعد من أشهر قصائد الشعر العربى ، وقد بدا لنا أن هذه القصيدة يمكن أن تقرأ قراءة جديدة من خلال تمثيلها لعالم ابن دريد النفسى كبطل جنوبى عاش معظم عمره فى الشمال ، وساعدتنا على القراءة ، اللوحات الفنية المحكمة التى رسمها ابن دريد خلال القصيدة .

أما نشره وأحاديثه التى شعر بعض مؤرخى الأدب منذ القدم كالحصرى بأنها أصل فن المقامة والنموذج الذى حاكاه بديع الزمان الهمذانى ، فقد وقفنا أمامها من زوايا متعددة ، فكتبنا ما جمع منها ونشر فى مؤلفات منسوبة إلى ابن دريد ، وأهم هذه المؤلفات : «تعليق من أمالى ابن دريد» الذى حققه الدكتور سيد السنوسى ، ثم ما نشر متفرقاً خلال مؤلفات أخرى أهمها الأمالى لأبى على القالى ، الذى أكثر من النقل عن ابن دريد ، وحاولنا أن نقوم بتجربة علمية أطلقنا عليها «محاولة تجسيد نص أدبى غائب» وتمثلت هذه المحاولة ، فى جمع النصوص المتفرقة التى رواها القالى من أحاديث ابن دريد ، وإعادة تنسيقها وترتيبها ، ووضع عناوين لها وشرح الغامض منها ، لكى تتشكل أمام القارئ المعاصر كعمل أدبى لا كمجرد عمل لغوى كما أوردها القالى . واعتقدنا أن ذلك منهج يمكن - إذا ثبت صلاحه - أن يطبق على كثير من نصوص التراث ، التى كاد ينقطع الخيط بينها وبين القارئ المعاصر ، وكادت تفقد تأثيرها فى الحياة الأدبية ، مع أننا فى حاجة إلى تمثيلها ، واستصفاء العناصر التى يمكن أن تدفع بالمسيرة الأدبية للأمام ، وربما كانت هذه هى المحاولة الأولى لتجسيد أحاديث ابن دريد ، التى طال الحديث عنها ، دون أن يراها الناس عملاً أدبياً حياً ، وربما كانت هذه المحاولة فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والتفصيل ، وقد قدمنا لهذه الأحاديث مقارنة بفن المقامة التى حذت حذوها ، وسار ذكرها أكثر من الأحاديث .

ولعل البحث من خلال هذه الوقفات أمام شخصية تراثية غنية فى مجالات مختلفة ، يكون قد قدم مساهمة متواضعة ، فى إعادة قراءة التراث التى نعتقد أنه لا تستغنى عنها حركة إحياء أدبية جادة ، وإذا كانت تلك سنة قد أفلحت فى أم تربطها بتراثها خيوط أقل صلابة من الخيوط التى تربطنا بتراثنا ، فكيف بنا نغفل عنها ونَحْنُ نحاول أن نتمسك أقدامنا بالأرض ، فى عصر تحرف التيارات فيه الأقدام المهتزة ولا تعترف بالأجساد الطافية!؟

رينا اشرح منا الصدور ويسرلنا الأمور واحلل عقدة التفكير والتعبير،

أحمد درويش

القاهرة فى ٢٩/٧/٢٠٠٢

الإطار الزماني
وخصوصية الذاكرة

الاطار الزمانى وخصوصية الذاكرة

قدر لمحمد بن الحسن بن دريد أن يعيش حياة طويلة حافلة شارفت القرن من الزمان ما بين عامى ٢٢٣ و ٣٢١ هـ . وقدر أن يكون هذا الكم الزمنى كله حركة وحيوية وعطاء فى محاور متعددة ، وظروف مختلفة ، وفروع من المعرفة والإبداع تبدو متقاربة حيناً ومتباعدة حيناً آخر ، ولكنها فى النهاية تتكامل لكى تعطى صورة لنبض الحياة العلمية والفنية فى قرنين من أخصب قرون الحضارة الإسلامية ، وهما القرن الثالث والقرن الرابع الهجرى .

كادت حياته أن تكون قرناً زمنياً متدفقاً ، لم تستوفه أنفاسه فقط حين عاش على ظهر الأرض ثمانية وتسعين عاماً كان يمكن أن يذهب قسط كبير من آخرياتها كشأن الكثيرين ممن أجهدتهم سنين العلم المبكرة ، فى سكون وراحة أو فتور وخمول اكتفاء بما قدمته سنين الشباب والكهولة والرجولة والشيخوخة الأولى ، ولكن حيويته وعطاءه ظلت معه إلى النهاية ، فقد توارثت الآراء على أنه أملى معجمه الشهير «كتاب جمهرة اللغة»^(١) وهو فى الرابعة والتسعين من عمره ، أملاه اعتماداً على الذاكرة دون استعانة بالنظر فى الكتب إلا فى باب الهمزة واللقيف ، وهى قدرة ذهنية عالية قد يصعب الآن تصورهما فى عصر أضعفت فيه الآلات الحافظة قوة الذاكرة عند الرجال ، وخاصة إذا اتصل الأمر بكتب مثل كتب المعاجم بتفاصيل مفرداتها . ولا يخفف من الاندهاش من قوة الذاكرة فى هذه الحالة أن يقال - كما كان بعض معاصرى ابن دريد يقولون - إن كتاب الجمهرة كان فى جوهره إعادة لترتيب المادة اللغوية التى تضمنتها كتاب العين

١ - انظر : كتاب جمهرة اللغة لابن دريد أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، تصوير دار صادر ببيروت عن مطبعة مجلس المعارف - حيدر آباد ١٣٤٤ .

للخليل بن أحمد ، فإن يعاد حتى ترتيب مادة ضخمة كتلك فى الذاكرة وليس فى الأوراق ، وعلى أساسين متباعدين ينتمى أولهما إلى ترتيب مخارج الحروف وينتمى آخرهما إلى ترتيب الحروف الأبجدية ، أى ينتمى الأول فى الحقيقة إلى أساس سمعى للغة ، وينتمى الثانى إلى أساس بصرى لها^(٢) أن يحدث هذا كله فى ذاكرة رجل فى الرابعة والتسعين ، فإنه لأمر يدعو إلى التأمل فى شدة خصوبة الفترة التى وقعت بين تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته .

بل إن بعض الروايات تذهب فى الحديث عن قوة حافظته واستمرار عطائه العلمى إلى سن الثامنة والتسعين نفسها ، فيها هو تلميذه أبو على القالى يروى عن مرض موته ، فيقول إنه أصيب بالفالج فتداوى منه فشفاه الله ثم عاد إليه ، وكان يصيح لذلك صياح من يغشى عليه أو يسئل بالمسال إذا دخل عليه أحد ، ومع ذلك كان ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما يسأل عنه ردًا صحيحًا ، وقال القالى : «كنت أسأله شكوكى فى اللغة وهو بهذه الحال ، فيرد بأسرع من النفس بالصواب» قال : وآخر شيء سألته عنه قال لى : «يا بنى حال الجريض (أى الغصة) دون القريض»^(٣) «أى الشعر» ولو وضعنا حتى فى الاعتبار قدرًا متصورًا من المبالغة فى مثل هذه الأخبار ربما لكى تخضع القصة للنموذج الأمثل الذى يحقق للمثل العربى مضربه القياسى وقلنا أنه ليس من الضرورى أن تكون إجابات العالم الدقيقة قد استمرت حتى لحظة الموت ذاتها ، فإن دلالة الخبر التى لا شك فيها هى أن «حرف الشيخوخة» قد أقلت منه ابن دريد وأنه مع اعتلال جسمه فى أخريات أيامه ، قد صحت له قوة عقله حتى النهاية .

وإذا كانت لحظات قوة الذاكرة فى نهايتها توغل بها إلى هذه الفترة المتأخرة فإن

(٢) للمقارنة بين طريقتى «العين» و«الجمهرة» انظر د. أحمد مختار عمر : البحث اللغوى عند العرب ص ٢٠٤ وما بعدها ، الطبعة السادسة ، عالم الكتب - القاهرة ١٩٨٨ .

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ج ٤ ص ٣٢٩ تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر بيروت د.ت.

لحظات حدثها في بدايتها كانت تعطى ومضات قوية تشي بموهبة عظيمة في مجال الإلمام بالدقائق ، والسيطرة على بحر اللغة الواسع ، فها هو عمه الحسين بن دريد الذي كان يتولى العناية به يدخل عليه يوماً وهو في صحبة أستاذه أبي عثمان الأشتانداني يقرء عليه إحدى قصائد الحارث بن حلزة الشكري ، ويستصعب الحسين القصيدة ويقدر مدى ثقلها على ذاكرة ابن أخيه ، ويحاول أن يشجعه على التصدي لها فيعده بجائزة إذا أسرع بحفظها ، ثم يجلس مع الأستاذ بعد هذا جلسة للغداء ، وعندما ينتهيان منها يفاجئهما محمد بن الحسن لا يحفظ قصيدة الحارث وحدها بل بإستيعاب ديوانه كله^(١) .

وبين لحظة البداية المومضة ، ولحظة النهاية الموغلة يشهد العصر نشاط ذاكرة قوية حافظة مقلبة مجددة ، تطرق مجالات في الدرس اللغوي والأدبي لم تكن معهودة ، وتجدد فيما كان مألوفاً وتصل جبل البادية بالحاضرة والشمال بالجنوب والثقافة العربية بغيرها من الثقافات ، والعلم بالفن ، وعملاً الدنيا وتشغل الناس ، وترك الدنيا والناس بين راض عنها أشد الرضا ، وساخط عليها أبليغ السخط ، لكنها في كل الأحوال لا تدع قارئاً ولا باحثاً يمر بالقرن الثالث أو الرابع وهما عصب الحضارة الإسلامية ، إلا ويجد نفسه محتاجاً إلى أن يقف ويطليل الوقوف ، أمام هذه الظاهرة العلمية الفنية المتميزة ظاهرة أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي .

(١) انظر مقدمة الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار المسيرة ببيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م وانظر الخطيب البغدادي ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ج ٢ ص ١٩٦ .

الإطار المكانى
ومجال الحركة

الإطار المكاني ومجال الحركة

فى عمر طويل كذلك العمر ، وذاكرة متميزة كتلك الذاكرة ، بيدو التوقف أمام فكرة «الإطار المكاني» وفكرة «مجال الحركة» أمرًا ضروريًا ، لا من حيث تحقيق الآراء التى قد يتضارب بعضها مع بعض حول شخصية ابن دريد من هذه الناحية فحسب ، ولكن أيضًا من حيث تصور الأثر المتوقع لاختلاف البيئات ولتغير المشاهد ولتوالى الأحداث ووقعها وأثرها ولرصد تصور محاولات إثبات الذات فى الغربة ، وتحمل أعباء الريادة بين الأهل . وإذا كان التوقف أمام هذه العوامل أو بعضها لازماً فى حالة عالم ما لرصد تأثيرها على القوى الفكرية لديه ، أو أديب ما لرصد تأثيرها على القوى الوجدانية عنده ، فإنها إلزم فى حالة ابن دريد الذى أخذ من مجالى العلم والأدب ينصيب وافر وبرع فيهما براعة لم تكن معتادة فى عصره ، ولا أصبحت معتادة فى العصور التالية ، حيث التعود على غلبة إحدى النزعتين الفكرية أو الوجدانية عند علم من الأعلام ومن ثم إقصاؤها للنزعة المقابلة ، لكن حالة هاتين النزعتين عند ابن دريد كانت مختلفة حين لم تستطع إحداهما إقصاء الأخرى فتزاحمتا عنده ، وتعبير «التزاحم» هو التعبير الذى اختاره العلماء القدماء وعبر عنه أبو الطيب اللغوى حين قال : «ما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر وابن دريد»^(٥) وعبر عنها تلميذه المسعودى المؤرخ الشهير حين قال : «وكان ابن دريد ببغداد بمن برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها وأورد أشياء لم توجد فى كتب المتقدمين ، وكان يذهب بالشعر كل مذهب ، فطوراً يجزل

(٥) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين ص ٨٤ .

وطوراً يرق^(٦) وعبرت عنها كذلك العبارة التي شاعت في ذلك العصر: «ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء»^(٧).

وإذا تناولنا فكرة «الإطار المكاني» لابن دريد ، فإننا سنجد أن خريطة متحركة لحياته الواسعة ، تختصر أحياناً في خطوط عريضة في مثل تلك العبارة : «ولد أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بالبصرة في خلافة المعتصم ٢٢٣ هـ ثم صار إلى عُمان فأقام بها مدة ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ، ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات ٣٢١ هـ»^(٨) هذه هي الخطوط العريضة لحركة الحياة عند ابن دريد ، وقد تضيف إليها بعض كتب الاختصرات بعض التحديدات الرئيسية كتحديد زمن مغادرته البصرة إلى عُمان ومدة إقامته بها : «ولد بالبصرة ونشأ بها وأخذ العلم عن علمائها ، ثم غادرها في فتنة الزنج إلى عُمان ، فأقام بها اثنتي عشرة سنة يأخذ اللغة والشعر عن الأعراب ، ثم عاد إلى البصرة .. إلخ»^(٩).

والمراحل الرئيسية إذن في هذه الخريطة هي :

- (أ) المولد والنشأة . (ب) الرحلة إلى عُمان . (جـ) الرحلة إلى البصرة .
(د) الرحلة إلى فارس . (هـ) الرحلة إلى بغداد ونهاية العمر .

وسوف نرى أن الروايات حول هذه المراحل تحتاج إلى إعادة قراءة للاستعانة بها في رسم «صورة حياة» لابن دريد .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٢ وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٧ .

(٧) انظر نزهة الألباء ص ٣١٣ .

(٨) د. زكي مبارك ، النشر الفني في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢٧٨ المكتبة العصرية - صيدا بيروت - دون تاريخ .

(٩) أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ص ٣٣٧ - دار نهضة مصر ١٩٧٧ .

(أ) المولد والنشأة :

وفيما يتصل بقضية المولد والنشأة ، فإن معظم الروايات تتفق على أنهما كانا في البصرة في عام ٢٢٣هـ في خلافة المعتصم^(١١) ، ولكن هناك روايات تخرج عن هذا الشيوع وتستحق الاهتمام ، وبعضها يخالف في قضية المولد والنشأة معا ، والبعض الآخر يخالف في مسألة النشأة فقط كما فعل الخطيب البغدادي من القدماء ، حين ذكر في التعريف بابن دريد أنه «بصري المولد ، ونشأ بعمان وتنقل بجزائر البحر والبصرة وفارس»^(١٢) ، والمولد بعمان أو النشأة فيما ، مقولة تؤكد عُمانية ابن دريد وهي مقولة يهتم بها مؤرخو الأدب في عمان الذين لا يشيرون غالباً إلى مولده بالبصرة أو يشيرون إلى ما يقابلها وهو المولد في عمان ، فالشيخ نور الدين السالمي يشير إلى ابن دريد بأنه من أهل عمان ، ويقول «ومنهم ... ابن دريد ... وهو صاحب كتاب الجمهرة .. إلخ»^(١٣) ويتابعه في ذلك صاحب شقائق النعمان في أسماء شعراء عمان فعنده أن ابن «قال الشعر من أهل عمان .. ابن دريد .. سكن في صحار من الباطنة ، ويقال أيضاً سكن في دما التي كانت مأوى الأخيار والعلماء وهي بلد السيب من خط الباطنة»^(١٤) .

أما الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، فهو أكثر وقوفاً أمام قضية المولد والنشأة وأكثر ميلاً إلى اعتبار أنها كانت في عمان ، وهو ينسب إلى بعض المؤرخين العمانيين دون أن يشير إلى أسمائهم ما يرجح وجهة نظره تلك ، يقول : «كتب بعض مؤرخي عمان ،

(١٠) هناك أخطاء واضحة يقع فيها بعض الكاتبين كما فعل شارح مقصورة ابن دريد حين قال : «ولد بالبصرة في عصر العلم الذهبي ، عصر هارون الرشيد وولده المأمون» انظر شرح مقصورة ابن دريد للأستاذ عبد الوصيف محمد من علماء الأزهر الشريف ص ٥ - مكتبة الخليلي - مصر ١٩٣٩ م .

(١١) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٦ المكتبة السلفية - المدينة المنورة ، دون تاريخ .

(١٢) أبو محمد عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج ١ ص ١٢ - مطبعة الإمام بالقلعة - مصر ، دون تاريخ .

(١٣) محمد بن راشد الخصيبي ، شقائق النعمان ، على سموط الجمال في أسماء شعراء عمان ، ج ١ ص ١٩ - وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط ١٩٨٤ م .

وهم أهله ومنهم أرومته وفيهم منبته ، قال : هو من بلد «قدفع» هكذا نص عليه صاحب «رسالة الأئمة والعلماء»^(١٤) .

والإشارة إلى أماكن عُمانية في حياة ابن دريد مثل «قدفع» في الرواية السابقة ، وصحار ودما أو السيب في روايات سابقة تؤكد روايات عن الجذور العُمانية لابن دريد بعضها منسوب إليه هو نفسه مثل تفسيره لاسم جده الخامس «حمامي»^(١٥) حيث يقول عنه : «كان أول من أسلم من آبائي «حمامي» وهو من السبعين راکباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عُمان إلى المدينة لما بلغتهم وفاة الرسول ﷺ»^(١٦) . ويفسر ابن النديم اسم الجَد ، فيقول : «هو منسوب إلى قرية من نواحي عُمان يقال لها حماما» (ويقول بعض العُمانيين المعاصرين أنها تسمى الآن قرية خور الحمام) .

هذه الروايات في مجملها تلقي علامة استفهام على فترة المولد والنشأة ، وهي فترة تظل غائمة في معظم التراجم القديمة ، وهو غيام سببه أن تدوين حياة الأفراد لا يصبح موضع اهتمام إلا عندما يثبت هؤلاء الأفراد أنفسهم أنهم جديرون بذلك من خلال التبريز في مجال من مجالات العلم أو الفن أو السياسة أو الحياة العامة ، وبدءاً من هذه الفترة وحدها تسلط عليهم الأضواء ، لكنهم حين يولدون وينشأون وخاصة إذا لم يكونوا من أبناء المشاهير ، فإنهم يكونون كبقية الأطفال ، لا يؤرخ لهم ولا يكتب عنهم ، وإذا لم يكتب العلم سيرته الذاتية بنفسه ، فإن كثيراً من تفاصيل الطفولة والمولد والنشأة تكون عرضة للضياع ، وسوف نرى من خلال مناقشة المراحل التالية أى هذه الآراء يمكن أن تتفق مع سيرة حياة ابن دريد العامة .

(١٤) أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائرى ، تحقيق كتاب «الملاحن» للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ١٩٨٧ المقدمة .

(١٥) في سلسلة النسب : محمد الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمامي .

(١٦) انظر مقدمة «الاشتقاق» تحقيق عبد السلام هارون - دار المسيرة - بيروت ١٩٧٩ .

الرحلة إلى عُمان :

أما الرحلة إلى عُمان فهي شيء ثابت في تاريخ ابن دريد ، أشار إليها كل من كتب عنه من القدماء أو المحدثين ، بل إن الإشارة إليها تجاوزت الحديث عن حياة ابن دريد وتاريخه لتصبح جزءاً من التقاليد الأدبية المرعية في القرن الرابع الهجري ، حيث كانت تمتد تقاليد قديمة ترى أن سلامة اللغة الفصحى تتطلب الرحيل لفترة بعيداً عن الحواضر التي تختلط فيها اللغات واللهجات ، والذهاب إلى أماكن النقاء اللغوي المتمثلة في البوادي العربية ومن بيئتها بادية عُمان ، يقول المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير عند حديثه عن المتنبي : «وكان ثمة اعتقاد قديم جداً يذهب إلى أن اللغة التي يتكلمها الأعاجم تنزع دوماً إلى فقدان فصاحتها ، فلا بد والحال هذه لكل من جعل من هذه اللغة أداة للدرس من العودة إلى ينابيع أكثر أصالة ألا وهي اللهجات البدوية ، وإلى البدو الرحل ابتغاء الفصاحة والأناقة التي انتفت عن لغة الحضر ، وكان النحاة واللغويون ومؤرخو الأدب يرحلون في طور الحداثة إلى الصحراء ليمكثوا فيها زمناً قد يطول أحياناً وكانت تلك العادة لا تزال مرعية حتى أوائل القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ، فقد أقام أحد المعاصرين «المتنبي» وهو اللغوي ابن دريد اثنتي عشرة سنة بصحبة بدو عُمان»⁽¹⁷⁾ .

لكن رحلة ابن دريد هذه إلى عُمان ، إذا كان طلب النقاء اللغوي إحدى فوائدها فإنه لم يكن بالتأكيد فائدتها الوحيدة بل ولعله لم يكن باعثها الأول ، فنسيج حياة ابن دريد ونتاجه الشعري على نحو خاص قد يوحيان كما سنرى بأن ذهاب ابن دريد إلى عُمان ، لم يكن ارتحالاً بقدر ما كان عودة من الرحيل ، وإن هذا الذهاب من الصعب أن يحصر في مرة واحدة قوامها اثنتا عشرة سنة ، والأرجح أن تكون هذه المرة هي أطول المرات أو أكثرها اتصالاً ، وأن تكون قد سبقتها أو تلتها مرات أخرى متقطعة ، ذلك أن

(17) Régis Blachre, un poète arabe du IV^e siècle de L'hégire. About tayyib al Motanabbhiy. 42

librairie Adrien. Maisonneuve Paris 1945.

هناك اتفاقاً بين الروايات على أنه عندما ظهر الزنج بالبصرة وقتلوا الرياشى أستاذ ابن دريد كانت هجرة ابن دريد إلى عُمان^(١٨) ومقتل الرياشى كما يصوبه صاحب الوفيات كان فى شوال سنة ٢٥٧هـ ، يقول ابن خلكان : «دخل الزنج البصرة فى وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال ٢٥٧هـ فأقاموا على القتل والإحراق ليلة السبت ويوم السبت ثم عادوا إليها يوم الاثنين فدخلوها وقد تفرق الجند وهربوا فنادوا بالأمان فلما ظهر الناس قتلهم ، فلم يسلم منها إلا النادر واحترق الجامع ومن فيه قتل الرياشى فى أحد هذه الأيام ، فإنه كان بالجامع لما قتل»^(١٩) .

ابن دريد هاجر إذن مع عمه الحسين إلى عُمان عام ٢٥٧هـ أى أن عمره حينئذ كان أربعة وثلاثين عاماً ، وما دامت رحلته قد استغرقت اثنتى عشرة سنة فقد ظل بعمان إذن حتى عام ٢٦٩هـ حين كان عمره ستة وأربعين عاماً ثم تركها إلى البصرة .

وهذا التصور نفسه يحتاج إلى مناقشة من عدة وجوه ..

- أولاً : إن الرحلة لطلب الصفاء اللغوى وتعود اللسان والأذان عليه تكون عادة كما أشار بلاشير فى سن الحداثة ، أى أنها قد تتم فى نهاية العقد الأول من عمر الإنسان أو خلال عقده الثانى لكن من الصعب أن يتصور المرء النهوض لهذه المهمة فى العقدين الرابع والخامس من العمر ، بين الرابعة والثلاثين والسادسة والأربعين ، وتجارب تعلم اللغات وتقويم الألسنة تثبت فى القديم والحديث أن هذه ليست أنسب الفترات لمهمة كتلك ، وإذن فقد سبقت هذه الرحلة فى غالب الظن برحلة أو رحلات أخرى نشداناً لذلك الهدف الذى لا شك أنه تحقق على نحو جيد عند ابن دريد .

- ثانياً : يبدو أن هذه الرحلات الأولى من عُمان أو إليها ، كانت فى سن طراوة

(١٨) انظر مثلاً وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان ج ٤

ص ٣٢٣ وما بعدها تحقيق د. إحسان عباس دار صادر بيروت د. ت .

(١٩) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٧ .

الشباب واحتدام العاطفة ، وهى سن تقترون فيها مفارقة الأوطان بنزعات الحنين وتهيج الذكريات ، على عكس مراحل الكهولة والرجولة التى تقترون فيها الرحلة بالنزعة العملية والهدف المنشود ، ويمكن أن تلمح هذين اللونين من المشاعر فى إنتاج ابن دريد الشعرى نفسه ، يروى أبو على القالى فى كتابه الأملى نصاً شعرياً لابن دريد ذا مغزي فى هذا الصدد ، ويقدم له عبارات لا تخلو من دلالة ، يقول^(٢٠) : وحديثى أبو بكر بن دريد قال : خرجنا من عُمان فى سفر لنا فنزلنا فى أصل نخلة فنظرت فإذا فاختتان تزقوان فى فرعها ، فقلت :

أقول لورقاوين فى فرع نخلة وقد طفل الإمساء أو جنح العصر
وقد بسطت هاتاً لتلك جناحها ومال على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة وما دب فى تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه على أنه يحكى قساوته الصخر

واللافت للنظر فى تصدير الأبيات أن ابن دريد يقول : «خرجنا من عُمان فى سفر لنا» فهو لا يتحدث عن عودته من عُمان ولا عن رجوعه من رحلته إلى عُمان وإنما يورد الخبر على أن ذلك كان عادة مقيم تتكرر ، وأنها مفارقة كانت تقرن بذلك اللون من المشاعر التى نجحت الصورة الشعرية فى أن تنقله من خلال لقطة الحمامتين وجناح إحداهما المبسوط للأخرى ، ونحر أولاهما المائل على الثانية ، وهى صورة فنية يبدو أنها كانت متأصلة فى نفسية ابن دريد الشاعرة ، وهو نفسه الذى يحكى من إنشاد أبيه صورة قريبة الشبه من تلك الصورة حين يقول^(٢١) أنشدنى أبى :

(٢٠) أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادي ، كتاب الأملى ، ج ١ ص ١٣٣ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان .
(٢١) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣ .

دع ذكرهن فما تزال تشبه
 تدعو حمائم أيكّة بهديلها
 ورقاء تركب حانيا ميادا
 يخضعن حين يجبنها الأجيادا
 شوقا يكاد يصدع الأكبادا
 بها ويحهن حمائمًا هيجن لي

والمقطوعتان تغترفان دون شك من منبع واحد ، وتمثل مقطوعة ابن دريد مرحلة في الرحلة ومفارقة الأوطان تنتمى إلى فترة مبكرة في العمر وهي تختلف عن مرحلة تالية يبدو فيها لون من المشاعر يظهره شعر ابن دريد إزاء مسألة المفارقة والرحلة ، يقول ابن دريد (٢٢) :

وإذا تنكرت البلا
 واجعل مقامك أو مقر
 د فأولها كنف البعاد
 ك جانبى برك الغماد
 لست ابن أم القناطين
 ولا ابن عم للبلاد
 وانظر إلى الشمس التى
 طلعت على إرم وعاد
 هل تؤنسن بقية
 من حاضر منهم وباد

رحلة ابن دريد الشهيرة إذن بين عامى ٢٥٧ و ٢٦٩ هـ إلى عُمان ، لم تكن رحلته الأولى لا من ناحية الهدف العلمى المنشود ، ولا من ناحية الأثر الوجدانى الذى يصوره النتائج الشعرى لابن دريد .

- ثالثاً : هذه الرحلة أيضاً لا يمكن أن تكون الأخيرة ، ويؤيد ذلك مواقف ابن دريد التاريخية وتناجه الشعرى من أحداث وقعت في عُمان بعد ٢٦٩ هـ التاريخ المحدد لنهاية هذه الرحلة الشهيرة ، وقد استمرت هذه الأحداث حتى ٢٨٠ هـ على الأقل وكان لابن دريد دور بارز فيها مما يدل على وجوده على أرض عُمان خلال تلك الفترة

(٢٢) ديوان ابن دريد ، تحقيق عمر بن سالم ، ص ٢١ الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٧٠ .

التي تكاد تتساوى امتداداً مع فترة الرحلة الأصلية ذاتها، وهذه الأحداث^(٢٣) تبدأ بتولي راشد بن النضر للإمامة عام ٢٧٢ هـ ومبايعة فريق من العُمانيين له على رأسهم موسى ابن موسى ومعارضة فريق آخر منهم شاذان بن الصلت وفريق كبير معه ظلوا متمسكين بإمامة سلفه الصلت بن مالك الذي عزله الفريق الآخر وولى مكانه راشد بن النضر . وقد حدثت في عهد راشد كثير من الفتن الداخلية كان أبرزها «وقعة الروضة» بالقرب من تنوف بين نزوى والجبل الأخضر ، حين اجتمعت كثير من القبائل على الرغبة في عزل راشد بن النضر وتولية شاذان بن الصلت ، وعلم راشد بذلك فهاجمهم بالروضة فوقع كثير من الضحايا ، وقد هزت هذه الموقعة نفسية ابن دريد هزاً شديداً فكتب فيها مجموعة من المراثي الرائعة ، وأخذ يحرض قبائل البحمد وبنى مالك بن فهم والعتيك وغيرهم على الثأر من راشد وأعدائه حتى تحقق له ولهم ما أرادوا فأسروا راشداً وعزلوه عن الإمامة وباعوا مكانه عزان بن غيم الخروصي في صفر ٢٧٧ هـ ولقد حفظت كتب التراث العُماني من شعر ابن دريد المؤثر في هذه الأحداث قصيدتين طويلتين تبلغ أولاهما واحداً وستين بيتاً وهي التي تبدأ بقوله :

نبه نابه وخطب جليل بل رزايا لهن عبء ثقیل
والثانية تبلغ سبعة وأربعين بيتاً وهي التي تبدأ بقوله :

إنما فازت قداح المنايا يوم حازت خصلها بتنوفا

وقد أثبتهما الشيخ نور الدين السالمی في «تحفة الأعيان»^(٢٤) ، وورداً أيضاً في ديوان ابن دريد المجموع^(٢٥) . ولم يقتصر المؤرخون العُمانيون على إيراد شعر ابن دريد المتوهم في هذه الأحداث وإنما جعلوا دوره الشخصي عاملاً هاماً من عوامل عزل راشد

(٢٣) انظر تفصيل هذه الأحداث في تحفة الأعيان للشيخ السالمی، الجزء الأول ص ١٤٧ وما بعدها ..

(٢٤) المرجع السابق ص ١٦٠ وما بعدها .

(٢٥) ديوان ابن دريد ص ٨٩ وما بعدها .

بن النضر بعد أربع سنوات من توليه الإمامة ، يقول السالمى : «وسبب عزله تحرك القلوب عليه ، وكثرة الضغائن بقتل من قتل بالروضة من وجوه الأزد ، وتحريض ابن دريد عليه وموافقة موسى بن موسى لهم فى ذلك»^(٢٧) ومن الطبيعى أنه لا يمكن أن يكون لابن دريد هذا الأثر الكبير كله وهو موجود خارج ساحة الوطن ، بل ولا يمكن أن يكون له هذا الأثر إذا كان وجوده وجوداً عابراً بين رحلتين ، وإنما يتحقق ذلك من رجل يعد نفسه ويعدّه الآخرون شاعر الأمة فى هذه المواقف الدقيقة ، وذلك يؤكد أصالة جذور ابن دريد فى التربة العُمانية .

وإذا كانت هذه الأحداث تدل على بقاء ابن دريد فى عُمان حتى تولى عزان بن تميم الخروصى فى ٢٧٧ هـ فإن نتائجاً شعرياً آخر لابن دريد يدل على وجوده بعد ذلك بسنوات ، ففى خلال حكم^(٢٨) عزان بن تميم عاد موسى بن موسى إلى مكانته وتولى القضاء ، ومع أنه كان قد ساعد فى عزل راشد بن النضر ، فإن عزان لم ينس أنه هو أيضاً الذى كان قد ساعد على عزل الصلت بن مالك وتولى راشد فلم يأمن له وهاجمه فى إزكى وقضى عليه فى موقعة «القاع» التى فر فى أعقابها جماعة من عشيرة موسى يستجدون بمحمد بن نور حاكم البحرين من قبل الخليفة المعتضد ، فوجههم إلى بغداد ، وهناك استصعدوا الإذن بأن يقود محمد بن نور جيشاً يغزو به عُمان ويستولى عليها . وقد قاد جيشاً كبيراً هاجرت بعض الجماعات حين سمعت بمقدمه قاصدة سيراف والبصرة وهرمز وغيرها من البلدان ، وهاجم هو من بقى فقتل عزان بن تميم ولحقت الهزيمة بمن معه ، ثم حاول نفر آخر أن يجمعوا جيشاً لمقاتلة ابن نور ودارت بينهم وبينه موقعة حامية فى دما بالباطنة عام ٢٨٠ هـ انتهت بنصر ابن نور وتمكنه من البلاد وإعمال الفساد فيها ، وفى هذه الموقعة وقتلها قال ابن دريد قصيدته الخزينة الخافتة كأنها الأئين^(٢٩) .

(٢٦) تحفة الأعيان ص ١٦٥ .

(٢٧) المرجع السابق ص ١٧٨ وما بعدها .

(٢٨) انظر تحفة الأعيان ص ١٨٠ وديوان ابن دريد ص ١١٠

لا يفوت الموت من حذر - إن وقاه الغاب والغيل -
مفرع الاكتاف ذولبد مترص الأوصال مجدول
إن دهرافل حدهم حده لا يبد مفلول
ما يكاهم إن هم قتلوا صبرهم للقتل تفضيل

ابن دريد إذن تبعاً لهذه الأحداث كلها امتدت إقامته في عُمان على الأقل حتى عام ٢٨٠ هـ وإذا كان قد رحل إليها عام ٢٥٧ هـ عند مقتل الرياشي على يد الزنج فقد قضى بها نحو ثلاثة وعشرين عاماً استغرقت كهولته ورجولته ما بين الرابعة والثلاثين والسابعة والخمسين ، وهي فترة مكنته دون شك من المشاركة الفعلية في أحداث البلاد وهمومها ومشاعرها مشاركة رائد مقيم لا مسافر مرتحل ، وتلك الفترة لا شك كانت قد سبقتها تلك الزيارات التي تصقل اللسان ويثار على إثرها الوجدان .

- رابعاً : إذا كانت الأحداث الداخلية بعُمان توسع المدى الزمني لإقامة ابن دريد بعُمان فإن قصة علاقته بأبناء ميكال الذين أصبحوا أمراء خراسان فيما بعد تضيف أبعداً جديدة على ذلك المدى ، والقصة يتعرض لها شراح المقصورة عندما يصلون إلى قول ابن دريد :

إن ابن ميكال الأمير انتشاني من بعد ما قد كنت كالشيء اللقي
ومد ضبعي أبو العباس من بعد انقباض الذرع والبيع الوزى

وتذكر في هذا الاطار قصة^(٢٩) تعرفه على عبدالله بن محمد بن ميكال وولده أبى العباس إسماعيل بن عبدالله (٢٧٠ - ٢٦٢ هـ) وكانا من الأسر الكريمة بالبصرة وقد أبحرا يوماً صوب عُمان في رحلة لعلها كانت تجارية أو استكشافية واصطحبا معهما

(٢٩) انظر في تفاصيل القصة ، محمد بن راشد الحسبي ، شقائق النعمان في أسماء شعراء عمان ج ١ ص ٢٢ وما بعدها .

الدواب والرجال والمتاع ، غير أن عاصفة بحرية حطمت سفنهم وأوشكوا على الهلاك ، وفى هذه الأثناء رأى ربان السفينة أرضاً فكانت «صحاره» فجاهدوا للرسو عليها ، فتلقاهم فى هذه الأثناء ابن دريد ساكن صحار ، واستضافهم أربعة أشهر كان المطر فى خلالها متصلاً والمحاصيل مدمرة والغلاء مستعراً ، وبالق فى إكرامهم رغم ذلك حتى هدأت الأمور فرحلوا بعد أن قدموا له دعوة لزيارتهم فى محلة العقيق بالبصرة ، ومرت سنتان على هذه الحادثة استمر فيهما الغلاء والقحط فقرر ابن دريد أن يترك بيته وأولاده وأن يهاجر صوب الشمال بحثاً عن انفراج للأزمة ، ونزل بالبصرة فى حالة مضيئة وهناك نزل بمحلة العقيق ولجأ إلى مسجدها وسأل عن أصدقائه فوافوه لكنهم لم يبالغوا فى إكرامه ولم يدعوه إلى منزلهم واكتفوا بأن ضمنوا له الحد الأدنى من القوت وهو فى المسجد ، لكنهم فى الوقت نفسه بادروا إلى إرسال سفينة محملة بالخيرات إلى أولاده فى صحار على أنها مرسلة من قبله هو ، وبعد فترة كاد أن يتغدى فيها صبره أخبروه أن بعض الأسر تبحث عن معلم لأولادها ورشحوه لتلك المهمة التى درت عليه بعض المال واستمر الحال على ذلك مدة سنتين ، أرسلوا خلالها هم فى العام التالى سفينة أخرى إلى أولاده فى صحار ، وعندما رغب فى العودة إلى عُمان أرسلوا مع عودته سفينة ثالثة دون أن يخبروه ، وكان وصوله إلى صحار، وكانت المفاجآت التى وجدها عندما علم أن أولاده يعيشون فى نعمة من خير أصحابه الذين لم يظهروا له مزيداً من الترحيب الظاهرى .

وأياً ما كان الرأى فى حاجة بعض جوانب القصة إلى التحليل والمناقشة فإن القصة نفسها ثابتة فى إشارات ابن دريد فى مقصوده وحديث مؤرخى الأدب حولها، وإذا كانت المراجع - التى تحت أيدينا - لم تحدد تاريخاً زمنياً لهذه الأحداث فإننا يمكن استنتاجاً بالأحداث السابقة واللاحقة أن نحدد ولو على وجه التقريب مداها الزمنى .

فأحداث القصة المشار إليها استغرقت نحو خمس سنوات ما بين البصرة وصحار ذهاباً وعودة لكلا الفريقين ، ويبدو أن هذه السنوات جاءت بعد فترة الحروب الداخلية

فى عُمان التى ارتبطت بقضية راشد بن النضر التى أشرنا إليها ، ومن الطبيعى أن تكون الفترات التى تلى الحروب فترات ضيق وأزمات وأن يكون ذلك دافعاً حداً بابين دريد إلى الهجرة إلى الشمال حين بلغت الأزمة ذروتها مستعيناً برصيده عند أصدقائه الذين أتيج له أن يساعدهم فى بداية الأزمة عندما مروا بمحنهم الخاصة ، وإذا كان أبو العباس إسماعيل بن عبدالله أحد أفراد الرحلة إلى صحار وهو ممن ولدوا فى سنة ٢٧٠ هـ فإن الرحلة يتوقع لها أن تكون قد تمت فى نحو ٢٨٥ هـ وهى فترة كان آل ميكال فيها مقيمين فى البصرة ، قبل أن يتولى^(٣٠) الخليفة المقتدر ٢٩٥ هـ ، ويختار عبدالله بن ميكال أميراً على الأهوار :

وهذه هى الفترة التى مهدت لنقل ابن دريد نهائياً إلى البصرة فالأهواز فيبغداد ، وإذا صح هذا الاحتمال فإنه يضيف نحو عقد آخر من الزمان إلى الفترة العُمانية فى حياة ابن دريد فيجعلها تمتد على نحو أو آخر من ٢٥٧ إلى ٢٩٠ هـ تتخللها دون شك رحلات واضحة كتلك التى أشرنا إليها ، وتسبقها فترات من الاستقرار فى البصرة لطلب العلم والرحيل إلى عُمان أو منها . ووفق هذا التصور فلن تكون حفاوة ابن دريد بآل ميكال وإكرامه لهم فى صحار ، مجرد استقبال لغرباء ألقى بهم البحر على الشاطئ ، وإنما يضاف إليه التكريم لأناس يعرف من أقام فى البصرة مكانتهم العالية فى أنحاء العراق ، وهى المكانة التى يشير إليها ياقوت الحموى عندما يذكر هذه الرواية : « سمعت أبا الحسن يذكر آثار الميكالية فوصف بعض أحوالهم بخراسان فقال : آثارهم عندنا بالعراق ، أكثر منها بخراسان لأنهم نافلة من عندنا إلى خراسان »^(٣١) .

ولن تكون كذلك رحلة ابن دريد إلى البصرة مجرد ضرب فى الأرض بحثاً عن أى منفذ أو متقذ وإنما هى اختيار لمكان يعرفه جيداً ، وتربة له بها صلة العلم وصلة اليد

(٣٠) د. أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة - ج ٣ ص ٣٩٥ - الطبعة الثامنة ١٩٨٥ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

(٣١) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء الجزء السابق ص ٦ دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان د.ت .

المدخرة ، ولم يكن مصادفة كذلك أن يرشح للخروج من أزمته لكي يكون معلماً لبعض الصبيان تمهيداً لترشيحه بعد ذلك لكي يكون معلماً لأبناء الأمير وصاحب ديوانه .

وخلاصة القول أن تأمل الأحداث التي مر بها ابن دريد حتى اقترايه من سن الستين ، أو على الأقل مجاوزته للخمسين تظهر أنه كان طالب علم وعالمًا وشاعرًا عُمانياً له صلة قوية بالعراق وبالبصرة خاصة .

العراق وفارس

العقود الأربعة الأخيرة من حياة ابن دريد كانت في العراق وفارس ، على اختلاف في أماكن الاستقرار من فترة لأخرى ، وهي الفترة التي شهدت عطاءه العلمي الكبير وزعامته لمدرسة البصرة ، والاستفادة من علمه على المستوى العام والخاص .

هذه الفترة شهدت قوة اتصاله بآل ميكال ، ووثوق العلاقة معهم سواء قبل توليهم الإمارة في الأهواز أو خلالها ، ولقد توثقت العلاقة خاصة مع تلميذه أبي العباس إسماعيل بن عبد الله^(٣٢) بعد أن أسندت إلى ابن دريد مهمة تعليمه ، وذلك بعد أن ولي والده علي الأهواز ، يقول ياقوت : « لما قلد المقتدر عبد الله ولاية الأهواز ، حمل إسماعيل إليه ، فاستدعى ابن دريد لتأديبه ، وكان واحد عصره^(٣٣) ، وفي مرحلة التعليم هذه كتبت قصيدة ابن دريد الشهيرة «المقصورة» ، وتدل بعض إشارات الروايات القديمة إلى المرحلة التقريبية التي يمكن أن تكون قد تمت فيها كتابة المقصورة ، ففي رواية ياقوت : قال الحاكم عندما سئل عن زمن كتابة المقصورة : أبو العباس إذ ذاك صبي ، فقال : لا والله إلا رجل .. إمام في الأدب ، والفروسية بحيث يشار إليه^(٣٤) ، وإذا كان أبو العباس قد ولد في سنة ٢٧٠ هـ فإن ذلك يمكن أن يكون قد تم وعمره نحو الثلاثين وهو تصور يتفق مع ما هو معروف من أن عبد الله بن ميكال تولى الأهواز من ٢٩٥ هـ حتى ٣٠١ هـ .

(٣٢) من أمارات هذا القرب ذات الدلالة ، الطريقة التي كان يشير بها إسماعيل إلى ابن دريد ، فقد كان يدعوه دائماً بالدريدي لا بابن دريد ، انظر : ياقوت معجم الأدياء ج ٧ ص ٧ .

(٣٣) المرجع السابق ص ٧

(٣٤) المرجع السابق ص ٧

وقد عبر ابن دريد عن قوة الصلة والعرفان بالجميل والأثر العميق الذي تركه اتصاله بالميكاليين على حياته حين قال فى مقصورته^(٣٥) :

حاشا الأميرين اللذين أوفدا	على ظلاً من نعيم قد صفا
هما اللذان أنبتا لى أملا	قد وقف اليأس به على شفا
تلافيا العيش الذى رنقه	صرف الزمان فاستاغ وصفا
وأجريا ماء الحيا لى رغدا	فاهتز غصنى بعدما كان ذوى
هما اللذان سموا بناظرى	من بعد إغضائى على لذع القذى
هما اللذان عمرا لى جانبنا	من الرجاء كان قدماً قد عفا
وقلدانى منة لو قرنت	بشكر أهل الأرض عنى ما وفى

وقد شهدت هذه الفترة كذلك من نشاطات ابن دريد العلمية البارزة وضع فكرة كتاب الجُمهرة عام ٢٩٧ هـ أثناء تبسيط طرق الإمام بدقائق اللغة لتلميذه أبى العباس^(٣٦) ، وهو الكتاب الذى سيعيد بعد ذلك بنحو عشرين عاماً إملأه من الذاكرة على تلاميذه فى بغداد فى النسخة الأخيرة .

وقد علا نجم ابن دريد السياسى والعلمى فى هذه المرحلة العراقية الفارسية ، علا نجمه السياسى عندما تولى ديوان فارس لآل ميكال ، وأصبحت كتب الدولة لا تصدر إلا بأمره ، وأصابه من الوجاهة واليسار ما جعله يعد عند بعض المفكرين من أرسطراطى القرن الرابع الهجرى^(٣٧) وعلا نجمه العلمى عندما عاد إلى البصرة فى أوائل القرن الرابع

(٣٥) انظر شرح مقصورة ابن دريد «سبق ذكرها» ص ٧٣ وما بعدها .

(٣٦) انظر مقدمة الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون .

(٣٧) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ٢ ص ١٧ - الطبعة الخامسة - دار الكتاب العربى - بيروت د.ت .

الهجرى (٣٠١ - ٣٠٨ هـ) والبصرة يومها زاخرة بالعلماء والطلاب ، فعقدت لابن دريد زعامة المدرسة البصرية ، وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل على حد تعبير تلميذه المسعودى ، ثم امتدت هذه المرحلة عندما انتقل إلى بغداد ليواصل العطاء فى كنف الخليفة المقتدر ، وليقد إليه الطلاب من كل مكان ول يحملوا عنه العلم إلى أقاصى المشرق والمغرب كما كان الشأن مع تلميذه الشهير أبى على القالى صاحب كتاب الأمانى الذى حمل علم ابن دريد إلى الأندلس^(٣٨) وأبى الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغانى وتلميذه المقرب الذى عد من أشهر مؤلفى القرن الرابع وغيرهما من التلاميذ الذين حملوا علمه إلى بقية الأرجاء والأزمنة .

(٣٨) انظر مقدمة كتاب الأمانى لأبى على القالى - الطبعة الثانية ١٩٨٤ - دار الحديث للطباعة والنشر - لبنان .

بغداد .. هل كانت نهاية المطاف ؟

تذهب معظم الروايات إلى أن ابن دريد منذ استقر ببغداد سنة ٣٠٨ هـ مكث بها ورصد له الخليفة المقتدر عطاءً جاريًا حتى مات ببغداد عام ٣٢١ هـ ، وتصف بعض الروايات جنازته وساعة دفنه في نهاية النهار ، ورؤية الناس قبيل انصرافهم من الدفن جنازة أخرى قادمة تبين أنها للجبائي عالم الكلام المشهور ، وقد قال الناس يومها : «اليوم مات علم اللغة وعلم الكلام» . بل إن بعض الروايات تحدد مكان الدفن حين تذكر أنه دفن ببغداد بمقبرة العباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم^(٣٩) .

غير أن الحافظ السيوطي يورد رواية أخرى عند حديثه عن ابن دريد في كتابه «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» إذ يقول إنه : «صار إلى عُمان فأقام بها إلى أن مات» .^(٤٠) وهذه الرواية لا تساندها روايات أخرى .. فيما رجعنا إليه .. ومن ثم فإن الروايات التي تحدد الزمان والمكان والملايسات ربما تكون أقرب إلى طبيعة الفترة الأخيرة من حياة ابن دريد . والتي استقر فيها في ذلك المهجر الشمالي - العراق وفارس وهو مهجر كان مألوفًا لكثير من الشعراء والعلماء والتجار من أبناء عُمان .

هذه الوقفة الطويلة أمام المراحل المختلفة من حياة ابن دريد وعلاقتها بفكرة المكان وكثرة الحركة ومن ثم كثرة ما يرد على السمع والبصر من مواقف ومشاهد وأحداث وتجارب تشكل جانبًا هامًا من استيعاب شخصية ابن دريد العلمية والأدبية ومدى قابليتها للتشرب والتمثل والبهت وهي جزئية سوف نقف أمامها مفصلاً في الفقرة التالية .

(٣٩) انظر مقدمة الاشتقاق لابن دريد والمراجع الواردة به .

(٤٠) الحافظ جلال بن عبد الرحمن السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق محمد

أبو الفضل إبراهيم - ج ١ ص ٧٦ - المكتبة العصرية - بيروت د. ت .

لكننا نحب قبل أن نترك هذه الجزئية أن نشير إلى أهمية الوقوف أمام المراحل المختلفة لحياة ابن دريد وعلاقتها بالأمكنة المختلفة ، وإلى قضية صلته بموطنه الأصلي عُمان على نحو خاص ، وإلى أن الخريطة الزمانية والمكانية المتداولة حول سيرة حياته فيها بعض التجاوزات ، وهي تجاوزات يقع فيها حتى بعض الدارسين الأكاديميين المتخصصين في دراسة ابن دريد مثلما حدث لمحقق ديوان ابن دريد الدكتور عمر سالم الذي كتب بالاضافة إلى تحقيقه المفيد كتاباً بالفرنسية عن ابن دريد (١١) . ومع ذلك فإنه عند عرضه للمراحل الرئيسية لحياة ابن دريد في مقدمة ديوانه ذكر أنها يمكن تقسيمها إلى المراحل التالية : (١٢)

١ - المرحلة البصرية الأولى من ٢٢٣ هـ تاريخ ميلاده إلى ٢٥٦ هـ تاريخ هجرته إلى عُمان .

٢ - المرحلة العُمانية من ٢٥٦ هـ إلى ٢٧٠ هـ تاريخ عودته من عُمان عن طريق جزر البحر .

٣ - المرحلة البصرية الثانية من ٢٧٠ إلى ٢٩٥ هـ تاريخ سفره إلى فارس .

٤ - المرحلة الفارسية من ٢٩٥ إلى ٣٠١ هـ تاريخ عودته من فارس .

٥ - المرحلة البصرية الأخيرة من ٣٠١ إلى ٣٠٨ هـ تاريخ سفره إلى بغداد .

٦ - المرحلة البغدادية من ٣٠٨ إلى ٣٢١ هـ تاريخ وفاته .

وهي مراحل بيئاً ووجهة نظرنا في مدى التداخل بينها ، وحاجتها إلى إلقاء مزيد من الضوء عليها .

(٤١) Ben salem A.LDurayd vie oeuvre et influence Masion Tunisie, dedition Tunis 1972

(٤٢) عمر سالم - ديوان ابن دريد ص ١١ - ١٢ .

**الرجل والعصر
التمثل وتعدد المصادر**

الرجل والعصر

التمثل وتعدد المصادر

إذا كان الاقتراب من «خامة» الذاكرة ونوعيتها يساعد في تصور «وعاء العلم» الذى يستقبل به ابن دريد ثراءً غنياً ومدى قدرته على الاستيعاب والتمثل والإسهام بدوره فى حركة التراث اللاحقة وكان الاقتراب من المكان مؤشراً على مدى سعة الدائرة التى أتيح له التحرك فيها ، فإن محاولة التعرف على ألوان «الاستقبال» و«الإرسال» التى مارسها هذه الشخصية يقيد بدوره فى تصور مدى الأفق الذى استطاعت هذه الشخصية العلمية أن تتحرك فى إطاره ، ومن ثم مدى التطور الذى استطاعت أن تسهم به فى حركة الثقافة العربية .

والمعطيات الأولى التى يمكن أن تساعد هذا المنهج على التجسد ، تكمن فيما يطرح تقليدياً تحت أبواب «شيوخه وتلاميذه» .

وتكمن كذلك فى تتبع الحقول العامة لمؤلفاته التى تحدد مجال اهتماماته ، ولقد أتيح لابن دريد أن يعيش الحياة العلمية فى العراق وفارس فى أزهى فترات الحضارة الإسلامية ، وأن يسهم فى العطاء بعد أن أسهم فى الاستيعاب فى مرحلة يرى بعض المفكرين أنها القمة التى وصل إليها العطاء العلمى فى الإسلام ، بل وربما كانت خاتمة هذا العطاء . يقول الأستاذ أحمد أمين : «ربما كان هذا العصر خاتمة العلم الإسلامى ، نعم كان بعده علم ، ولكن ليس إلا ترديداً لعلم القرن الرابع»^(٤٣) .

(٤٣) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ٢ ص ٢٦٠ - الطبعة الخامسة - دار الكتاب العربى دت .

كان شيوخ علوم اللغة والأدب والنحو وعلوم الدين والشعر وأصحاب الترجمات والمؤلفون بعلوم الأوائل ، كان كل أولئك يعمرّون العراق في هذه الفترة يفتدون إليه أو يلتقون فيه أو ينطلقون منه إلى أمصار العالم الإسلامي المختلفة ، وهي أمصار تبدو يومئذ متعطشة للعلم والمعرفة مزهوة بدورها الحضارية مستمرة في حركة المد الفكرية بقوة اندفاع القرون الأولى حتى بعد أن بدأت تخفت قليلاً حركة المد السياسية نتيجة ضعف الرجال وغلبة الأهواء وتفرق الكلمة ، ومن ثم فقد ظل الناس يخافون من الساسة ويحترمون العلماء ويجلونهم ، وربما كان هذا الاحترام يزداد كلما تم التوغل في المناطق غير العربية حيث تبدو زهوة العلم مقتربة برهبة الدين وإجلاله في النفوس ، وربما كانت بلاد خراسان التي سيقدر لابن دريد أن يعيش فيها زمناً ، من أكثر البلاد محبة للعلماء . ينقل آدم ميتز في كتابه «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» صورة نابضة عن هذه المحبة انطلاقاً من شهود العصر فيقول: (١٤)

«ولكن خراسان كانت جنة العلماء ، ولا يزال العلماء يتمتعون فيها بجاه واحترام لا نظير لهما في سائر البلاد ، ومن أمثلة ذلك أن أحد العلماء الزهاد دخل خراسان فخرج أهلها بنسائهم وأولادهم يمسحون أردانه ويأخذون تراب نعليه ويستشفون به ، وكان يخرج من كل بلد أصحاب البضائع بضائعهم ، وينشرونها ما بين حلوى وفاكهة وثياب وقراء وغير ذلك وهو ينهاتهم حتى وصلوا إلى الأساكفة فجعلوا ينشرون المتاعا وهي تقع على رؤوس الناس وخرج إليه صوفيات البلد بمسايجهن وألقينها وكان قصدهن أن يلمسها فتحصل لهن البركة فكان يتبرك بهن ويقصد في حقهن ما قصدن في حقه» (١٥)

(١٤) آدم ميتز . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام - نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده - الطبعة الثالثة ص ٣٠٣ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٧ .

(١٥) طبقات السبكي ج ٣ ص ٩١ نقلاً عن المرجع السابق .

وإذا كان هذا هو تقدير عامة الناس للعلماء فإن كثيرًا من الأمراء والحكام كانوا يزينون مجالسهم بالعلماء ويؤونهم بل كان العالم نفسه وسيلة من وسائل الوصول إلى الوزارة والحكم في ذلك العصر كما كان الشأن مع ابن العميد والمهلبى والصاحب بن عباد ومع صاحبنا ابن دريد الذى أوصله تفوقه فى الأدب واللغة إلى ديوان الميكاليين . لهذا كله كان المناخ مواتيًا للإقبال على العلم والاستزادة منه والبلوغ فيه مدى واسعًا ، إذا أتيح للدارس مثلما أتيح لابن دريد من طول العمر وخصوصية الذاكرة وسعة مجال الحركة ، وقبل هذا كله قوة العزيمة وبعد النظر .

وقد أتيح لابن دريد أن يتوسط بين عصرين وأن يكون حلقة جيدة بينهما يضيف إليهما من ذاته الشيء الكثير ، كانت أصداء جيل الأصمعى وأبى عبيدة معمر بن المثنى ما زالت تتردد فى الحرص على التشبث والتتبع وغزارة المعلومات وقوة إسنادهما وكان هناك بعض الشيوخ فى البصرة يعتزون بأنهم تتلمذوا على هؤلاء الرواد الكبار ، كان من هؤلاء أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى ، وكان يعرف أنه عالم راوية ثقة عارف بأيام العرب ، وقد تتلمذ عليه ابن دريد وظل مصاحبًا له يأخذ عنه حتى فرقت بينهما ثورة الزنج عام ٢٥٧ هـ فهاجر ابن دريد فى بدايتها إلى عُمان واعتصم أستاذه الرياشى بالمسجد مع الناس فدهمهم الزنج داخله وقتلوه .

التقى ابن دريد كذلك بأستاذ آخر هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى الذى كان إمامًا فى غريب القرآن والشعر ، وكان قد أخذ عن أبى زيد الأنصارى والأصمعى وأبى عبيدة وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش وأخذ عنه وخلف مؤلفات شهيرة مثل «إعراب القرآن» وكتاب «المقصود والممدود» ولعل فكرته هى التى أوحى لابن دريد فيما بعد أن يطور فكرة المقصور تأليفًا وشعرًا .

أما أستاذه الذى لم يكن ينكر أنه يرجع عنده هذين العلمين الكبيرين من بعض الزوايا على الأقل فهو أبو عثمان الأشناندى الذى كان نحويًا من أئمة اللغة أخذ عن

أبى محمد التوزى ، وقد كان سر تفضيل ابن دريد له راجعاً إلى قدرته على الإلمام بالمسائل الدقيقة التى قد تند حتى عن كبار العلماء ، يقول ابن دريد ^(٤٦) : «سألت أبا حاتم السجستاني عن اشتقاق «ثادق» اسم فرس ، فقال لا أدرى ، وسألت الرياشي فقال : يا معشر الصبيان ، إنكم تتعمقون بالعلم . وسألت أبا عثمان الأشناندي فقال : «هو من ثدق المطر بالسحاب إذا خرج خروجاً سريعاً نحو الودق». وكان من مؤلفات الأشناندي التى رواها ابن دريد كتابه معانى الشعر .

أما الأستاذ الذى وصله بالأصمعى مباشرة وأكثر ابن دريد من الرواية عنه فهو عبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى ، والرواية عن عبد الرحمن عند ابن دريد تكثر كثرة بالغة فى صغير الأمور وعظيمها ، ومن يتتبع مثلاً كتاب الأمالى لأبى على القالى يجد عبارة مثل : «حدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال :» تتكرر مئات المرات ، وقد دفع اختصار العبارة وشيوعها وغموضها النسبى إلى الشك فى وجود شخصية عبد الرحمن ذاته ، وهو شك صرح به الدكتور طه حسين للدكتور زكى مبارك ^(٤٧) لأن عبارة «ابن أخى الأصمعى» لا تعطى سلسلة من النسب يمكن الاطمئنان إليها ، ولكن الدكتور مبارك وجد أن عبارات مماثلة تشيع فى روايات الأخبار العربية مثل «ابن بنت قطرب» و«ابن أخت الجاحظ» و«صهر الميرد» بالإضافة إلى أن سلسلة نسب عبد الرحمن ذكرت بها بعض المصادر مثل ابن خلكان الذى ذكر أنه عبد الرحمن بن عبد الله غير أن ارتباط اسم عبد الرحمن غالباً بالأحاديث التى كان يرويها ابن دريد مسندة إلى عبد الرحمن فعنه الأصمعى . وشيوع جانب من الخيال فى هذه الأحاديث جعلها عند بعض الدارسين تعد نواة لفن المقامة فيما بعد ، هذا الشيوع مرتبطاً بهذه النزعة جعل بعض الدارسين لا يركزون شكهم على وجود عبد الرحمن ذاته ، بل على صحة الروايات المنسوبة إليه ، ويربطون هذا الشك بالنزعة التى سادت

(٤٦) ياقوت الحموى ، معجم الأدياء ج ١١ ص ٦٣٠ .

(٤٧) النشر الثغنى فى القرن الرابع الهجرى ص ٣٠٣ .

العصر من اختلاق كثير من الروايات واللجوء إلى طريقة الإسناد - وخاصة إلى شخصية مشهورة - تمويهًا وإيهامًا بصحة الخبر ، ويذكر الدكتور زكى مبارك فى هذا الصدد حكاية ينقلها عن ابن فارس أنه كان يقول ^(٤٤) : «سمعت أبا أحمد بن التمار يقول: أبو أحمد العسكري يكذب على الصولى مثلما كان الصولى يكذب على الغلابى مثلما كان الغلابى يكذب على سائر الناس» ويعقب زكى مبارك على الرواية قائلاً : وقد يمكن أن نقول على أساس هذه النكتة : ابن دريد يكذب على عبد الرحمن بن عبد الله مثلما كان عبد الرحمن يكذب على الأصمعى ، مثلما كان الأصمعى يكذب على سائر الناس!

على أنه إذا كان الأمر يتصل غالبًا بالأحاديث التى قدمها ابن دريد للنشر الأدبى وكانت نواة لفن المقامة التى توسع فيها بديع الزمان الهمذانى ومن بعده الحريرى ، فإن مسألة صحة السند والراوى لا ينبغى أن تؤخذ بنفس المعيار الذى يؤخذ به سند الرواية التاريخية أو الدينية ، وإنما بمعيار الصدق الفنى ، فلم يسأل أحد إن كان أبو الفتح السكندرى راوى مقامات بديع الزمان شخصية حقيقية أم لا . ولم يعد السؤال يطرح الآن بالقطع فيما يتصل بأبطال الفن الروائى والقصصى ، ولعل الذى أثار قدرًا من الشكوك حول بعض روايات ابن دريد وبعض رواته أنه كان أولاً فى فن لم تتعوده الأذواق بعد فاحتمل بعض تبعات الريادة .

استقى ابن دريد إذن جزءًا من معارفه من مصادر شيوخ مرموقين ، يصلون بعلمهم إلى شيوخ الجيل الأول ، وكانت رحلاته المتكررة إلى عُمان واتصاله بصفاء اللغة هناك قد أمدّه برافد هام مكثه من السيطرة على المادة اللغوية دراية ورواية وتنسيقًا وفتحًا لأفاق جديدة كما سنرى عند مناقشة عطائه اللغوى .

لكنه كذلك استقى جانبًا من قواه التى تفاعلت مع اللغة وخياله الذى استشرف

(٤٨) المرجع السابق ص ٣٠٧ .

لها آفاقاً جديدة ربما ساعدته على طرق باب جديد للقصص الأدبي ، وساعدت تلامذته البارزين من أمثال أبي الفرج الأصفهاني والمسعودي على التوسع في هذا المجال ، كل في جانبه الذي اختار سواء أكان التاريخ الأدبي في الأغاني أو تاريخ الشعوب والأُمم في مروج الذهب .

على أن رافداً مهماً من روافد التكوين الثقافي عند ابن دريد ، لم يحظ بعناية كافية من قبل دراسيه ، وهو الرافد الفلسفي الذي شكل تياراً عميقاً في ذلك العصر وشكل في بعض المراحل نمطاً ثقافياً يتم من خلاله عادة المفاضلة أو المواجهة بين طائفتين تعترز إحداهما بالثقافة العربية الإسلامية وتعترز الثانية بالثقافة المستحدثة الوافدة وتزهو بها على الطائفة الأخرى .

وكان ابن قتيبة المعاصر لابن دريد والمتوفى سنة ٢٧٦ هـ قد عبر عن هذه الظاهرة في عصره حين تحدث في مقدمة «أدب الكاتب» عن التكوين الثقافي لكتاب العصر وأدبائه واعتماد كثير منهم على التشدد بألفاظ من سمات الثقافة «الحديثة» والاستعاضة بها عن مقومات الثقافة الحقيقية ، والرضا بالقشور عن اللب ، يقول ابن قتيبة (١) : «فأبعد غايات كاتبنا أن يكون حسن الخط قويم الحروف وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب وينظر في شيء من القضاء وحد المتطق ثم يعترض على كتاب الله بالطلعن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله بالتكذيب وهو لا يدري من نقله .. طال عليه أن ينظر في علم الكتاب ، وفي أخبار الرسول .. وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه ، وانحرف عنه إلى علم سلمه له ولأمثاله المسلمون وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم ، فإذا سمع الغمر

(٤٩) ابن قتيبة «أبو عبدالله محمد بن مسلم» أدب الكاتب - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد - الطبعة الرابعة ص ٣ وما بعدها - المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٩٦٣ .

والحدث الغر قوله : الكون والفساد وسمع الكيان والأسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والأخبار المؤلفة راعه ما سمع ، وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفة فإذا طالعها لم يحل منها بطلان .

وجزء من دلالة شهادة ابن قتيبة على العصر ، يكمن فى شيوع ظاهرة التشدد بالثقافة الواردة ، لكن جزءاً آخر يدل على تغلغل هذه الظاهرة فى كثير من الأوساط وامتدادها إلى كثير من جذور المعارف والعلوم ، وكان هناك من ينظر إلى الأمر على أنه مواجهة لا بد منها وأن على العالم أن يختار إحدى الثقافتين دون الأخرى على حين كان هناك من يرى إمكان المزج بينهما نشداناً لصالح الثقافة العربية ذاتها ، وقد تجلّت النزعة الأولى فى عصر ابن دريد فى هذه المناقشة الشهيرة التى جرت سنة ٣٢٠ هـ قبل عام من وفاة ابن دريد بين أبى سعيد السيرافى النحوى ومتى بن يونس القنائى ، فى المنطق اليونانى والنحو العربى ، وقد جرت المناقشة فى بغداد واحتشد لها كثير من العلماء ، ومن أهميتها أرسل الأخشيديون من مصر رسولاً يحضرونها وأرسل السامانيون من فارس رسولاً آخر ، وكان أساس المناظرة أن متى يقول : لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بالمنطق حسبما رسمه أرسطو ، وكان أبو سعيد يرى أن هذه الأمور تعرف بالعقل الفطرى من غير حاجة إلى منطق وليس علم المنطق إلا أشكالاً ، فهب أن الأشكال صحيحة فبم يعرف جوهر الأشياء وحقيقتها ؟ أليس عن طريق العقل ؟ (١٠) .

هذه الثقافة الوافدة التى أحدثت أثرها السطحى عند البعض والعميق عند البعض الآخر ، إلى أى حد اتصل بها ابن دريد وهو القارئ النهم والذاكرة الواعية التى عاشت هذا القرن الحافل ؟

(٥٠) وردت المناظرة فى كتاب «المقاسبات» لأبى حيان التوحيدي واستندنا فى عرضها بتلخيص أحمد أمين فى ظهير الإسلام ج ١ ص ٢٣٠ .

إن كتيباً صغيراً من كتب ابن دريد يمكن أن يفتح لنا نافذة على جانب من ثقافة ابن دريد التي استفاد فيها من تراث الأوائيل ، وهذا الكتاب هو كتاب «المجتنى» وقد صدرت ^(٥١) طبعة له في دمشق سنة ١٩٧٩ بتحقيق السيد هاشم الندوى ، وقد بذل جهداً مشكوراً ، لكن الكتاب مازال في حاجة إلى مزيد من العناية ، وتقوم فكرة الكتاب على اختيار الحكم والأقوال المأثورة من كلام النبي ﷺ وكبار الصحابة وكلام الحكماء وأدعية الأعراب وما جاء من عيون الشعر المستحسن ثم باب من نوادر كلام الفلاسفة وهو الذي يهمنا في هذه الفقرة لأنه يشي بصلة قوية بالثقافة الوافدة في عصره .

وفي هذا الباب الذي عقده يورد عبارات مأثورة منسوبة إلى الفلاسفة من أمثال ^(٥٢) سقراط وذيوجانس الكلبي وأفلاطون وأرسطوطاليس وفيثاغورث وهبو فيثاغورس وهيا جرسيس الأشكوئي وغيرهم . والعبارات التي يوردها تتصل غالباً بأداب السلوك وبالقدرة على النفاذ إلى ما وراء ظواهر الأشياء وبالربط اللفظي بين ظاهرة وأخرى ، وكل هذا يصاغ في عبارات محكمة لا تبدو عليها ركافة الترجمة في مثل قول ذيوجانس الكلبي وقد رأى غلاماً جميلاً لا يحسن الكتابة : «أى بيت لو كان له ساكن؟» أو قوله وقد نظر إلى متعلم يتهاون بتعليمه : «أيها الحدث إنك إن لم تصبر على طلب التعليم ، صبرت على شقاء الجهل» أو قول سخطورس المغنى عندما قيل له : «إن ميروس (هوميروس) يكذب في شعره» فقال : إنما يطلب من الشعراء الكلام الحسن اللذيذ فأما الصدق فيطلب من الأنبياء .

على هذا النحو تتوالى مجموعة من الأمثال والحكم المنسوبة غالباً إلى الحضارة اليونانية والرومانية ، ولا بد أن نشير إلى أن هذا الصنيع لم ينفرد به ابن دريد بين

(٥١) «المجتنى» لإمام اللغة والأدب أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري - دار الفكر - بدمشق ١٩٧٩ .

(٥٢) انظر المرجع السابق من ٨٤ إلى ٩٢ .

الأقدمين وأن كتابًا من أمثال الجاحظ وابن قتيبة وأبي حيان التوحيدي وغيرهم كانوا يوردون حكمًا مختارة للفلاسفة ، وهى النصوص التى يمكن أن تكون فى غالب الظن المصدر الذى اعتمد عليه متفتحو اللغويين والأدباء فى ذلك العصر لاستشراف جانب من آفاق الثقافة الأجنبية وامتصاص بعض رحيقها والإفادة منها فى تطوير العربية وتوسيع آفاقها .

والتساؤل الذى يطرح حول المصدر الذى يمكن أن يكون قد استسقى منه ابن دريد هذه النصوص ، يمكن أن يقودنا إلى مجموعة من الافتراضات ترجح جميعها سعة اطلاعه وتعدد مصادره ، لقد قارنا بين صياغة هذه النصوص وبين ما أتيج لنا الاطلاع عليه من كتب النصوص الفلسفية ، وأشملها - كما يرى الدكتور عبد الرحمن بدوى - هو كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» لأبى الوفاء المبرش بن فانك ^(٥٣) . وهذا الكتاب الذى يقترب من أربعمائة صفحة يخصص كله لنصوص من حكم أرميس وأسقيلوس وأبقراط وذيوجانس الكلبي وأرسطوطاليس وسقراط وفيثاغورث... إلخ . ومؤلف الكتاب عاش فى القرن الخامس الهجرى فى مصر فى حكم الدولة الفاطمية ، ومن ثم فلا يمكن أن يكون هو فى ذاته مصدرا لابن دريد ، لكن الكتاب مع ذلك يبقى كما أشرنا أوفى كتاب فى العربية استقصى أقوال الفلاسفة والحكماء ، ومادته تزيد عشرات المرات عما ورد فى نظائره ^(٥٤) . والكتاب نفسه يعتمد على مصادر لمؤلفين معاصرين لابن دريد مثل اعتماده على كتاب نواذر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء «لحنين بن إسحق المتوفى عام ٢٦٤ هـ وهو مخطوط فى الإسكوريال» ^(٥٥) .

ولا شك أن مؤلف حنين هذا كان فى متناول يد من يبحث عن هذا النوع من

(٥٣) مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبى الوفاء المبرش بن فانك - حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن بدوى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠ (٥٤) .

(٥٤) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٥٥) المرجع السابق ص ٢٠ .

المؤلفات في العراق أو فارس في عهد ابن دريد ، ومع ذلك فإن المقارنة بين النصوص التي أوردها ابن دريد ونصوص مختار الحكم ، يثبت كثيرًا من المفارقة والتفرد لا على مستوى الصياغة وحدها التي كان يتميز بها صائغو الحكمة من الأدباء العرب ولكن أيضًا على مستوى مصادر المعلومات حيث يورد ابن دريد كثيرًا من الحكم لم ترد في المختار ، ويتطابق معه في حكم (٥٦) أخرى ويلتقيان أحيانًا في الموضوع مع اختلاف التفصيل والصياغة (٥٧) .

وتدل هذه الاختلافات المبدئية التي قد تحتاج إلى مزيد من الدرس والتحليل على احتمال تعدد مصادر ابن دريد الفلسفية ، ومن ثم تعدد قراءاته أو تطرح الاحتمال الذي قد لا يوجد دليل يدحضه وهو احتمال معرفة ابن دريد المباشرة بإحدى لغات الثقافة الأجنبية في عصره ، وهو احتمال يظل واردًا بالنسبة له ولبعض الرواد في عصره من أمثال الخليل بن أحمد والجاحظ وأبي حيان التوحيدي والمتنبي ومن بعدهم المعري على سبيل المثال .

إن تعدد مصادر ابن دريد إذن ما بين القنوات التي تؤدي إلى منابع الأصمعي وأبي عبيدة ومعر بن المثنى ومن خلفهم بحر العربية الواسع الذي يحتاج منه كل على قدر ما يستطيع ، من ناحية ، ومن ناحية ثانية إلى منابع سقراط وأفلاطون وذيوجانس الكلبي ومن خلفهم أيضًا بحر آخر يمثل ثقافة أخرى وفكرًا آخر ، هذا التعدد للمصادر الذي استأنسنا في معرفته حينًا بالرجال الذين جلس إليهم طالبًا ، وحينًا بالمؤلفات التي صدرت عنه كاتبًا ، ليدل ذلك على مدى صلة الذاكرة القوية ، والعقل الشره والعمر الممتد ، بالعصر الغني والإمكانات المتاحة ، والجهد الدؤوب .

(٥٦) انظر مثلاً حكمة المال المختبى في الصدر ، والجميل الذي تعلم ، ومر تسمية ذيوجانس بالكلبي في حوارهِ مع الإسكندر في المختبى ص ٨٤ ، ٨٥ وفي المختار ص ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ .

(٥٧) انظر مثلاً قصة الجاهل وخاتم الذهب في المختبى ص ٨٥ وفي المختار ص ٧٨ .

وإذا كنا من خلال هذه التساؤلات قد وقفنا أمام جانب من صلة الرجل بالعصر من حيث الاستيعاب والتمثل فإننا بحاجة إلى أن نقف وقفة ماثلة أمام صلة الرجل بالعصر من حيث العطاء وهى صلة يمكن أن تتشعب إلى عدة فروع ، فهناك عطاء يتمثل فى التلاميذ الذين تخرجوا عليه ، وآخر فى المؤلفات التى تركها ، وهذا كله يمكن أن يعد عطاء علمياً فى مقابلة لون آخر من العطاء هو العطاء الفنى الذى قد يلبس ثوب النثر الأدبى أو ثوب الشعر ، وسنحاول التلخيص قليلاً أمام كل جانب من هذه الجوانب.

التلاميذ وأستاذ الجيل

التلاميذ وأستاذ الجيل

إذا كان هناك عالم يصلح أن يطلق عليه لقب «أستاذ الجيل» في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري والربع الأول من القرن الرابع ، فذلك العالم هو ابن دريد . ذلك أن جيلاً في حضارة متحركة وتخصصات متفرعة ومشارب متفاوتة بعضها ينزع إلى المنطق والفلسفة وبعضها يجابهها ، بعضها يأنس إلى الرواية ويتوسع في سبلها ، وآخر يعبر الحاجز بين دقة السند وخصوبة الخيال ، بعضها يجنح إلى القراءة المستوعبة والآخر يضم إليها خلاصة التجربة ، بعضها يميل إلى النقد والموازنة والتحليل وإعمال الدراية ، وآخر يميل إلى الأنس بتجارب السابقين والميل إلى الرواية ، بعضها طامح إلى الشعر وآخر جانح إلى النثر ، ثم أخيراً بعضها محافظ متورع يقترب من الفقهاء والآخر متجاوز متساهل يميل إلى متنوع الأدباء والشعراء .. هذه المشارب كلها في ذلك الجيل تلتقى نماذج منها في مدرسة ابن دريد ، وتأخذ عنه وتنشر علمه في الآفاق ، وتطور به مناحي الدرس والتأليف .

فمن العلماء الذين تتلمذوا عليه ، أبو سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ شارح أبيات سيبويه ، وواحد من أبرز وجوه المدافعين عن المنهج القديم في وجه المنطق ، وقد رأينا كيف ناظر متى بن يونس المنطقي في بغداد مناظرة احتشدت لها الوفود من أرجاء العالم الإسلامي .

لكننا في الوقت نفسه نجد من تلاميذ ابن دريد نحوياً آخر مثل علي بن عيسى الروماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ يمزج النحو بالمنطق مزجاً يجعل معاصره الكبير أبا علي

الفارسي يقول : «إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله فليس معه منه شيء» (٥٨) .

وتجد بين تلامذة ابن دريد واحداً كأبى حمدان أبى عبدالله الحسينى بن أحمد ابن خالويه (٥٩) المتوفى سنة ٣٧٠ هـ اشتهر بسعة الرواية والبحث عن الفروق والدقائق حتى أنه ليذكر فى «كتاب الأسد» خمسمائة اسم فى اللغة لمسمى واحد هو الأسد ، وحتى أنه ليكون الفائز من بين جلساء سيف الدولة بجائزة شوارد اللغة حين يطرح السؤال عن اسم ممدود وجمعه مقصور ، فيجيب ، حين يعجز الآخرون ، بمثالين هما صحراء وعذراء ، ويعجبه من سيف الدولة أنه يستطيع التفريق بين «قعد» و«جلس» .

وتشتهر عنه هذه النزعة فى معرفة ما خفى بما قاله السابقون ، ويظل بالانضمام إلى زميليه السابقين فى مدرسة ابن دريد ، السيرافى والرمانى ، من أبرز حراس نحو اللغة كل على طريقته فى عصر غنى الاتجاهات متعدد المذاهب .

وربما كان إعمال رأى الفردى واللجوء إلى الذوق والتحليل ، والأخذ فى الاعتبار بأراء المتعاملين مع اللغة من المعاصرين ، ربما كان متمثلاً فى جيل تلاميذ ابن دريد عند الناقد المخلص أبى القاسم الحسن بن بشر الأمدى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ صاحب الكتب الشهيرة فى النقد الأدبى والتى تقف «الموازنة» على رأسها ، وهو يقدم مذاقاً مختلفاً فى التعامل مع المادة الأدبية واللغوية حين يقول لقارائه فى كتاب «الموازنة بين الطائيين ، أبى تمام والبحترى» وأنا أبتدىء بما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى عند تخاصمهم فى تفضيل أحدهما على الآخر ، وما يتعاه بعض على بعض ، لتتأمل ذلك وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك إن شئت أن

(٥٨) انظر : ياقوت الحموى ، معجم الأديباء ج ١٤ ص ٧٣ وما بعدها .

(٥٩) المرجع السابق ج ٩ ص ٢٠ وما بعدها .

تحكم واعتقاده فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به»^(٦٠) وهو بهذا يفتح زاوية جديدة في نمو مفهوم الجمال اللغوي والصحة اللغوية الذي تنبعث أضواؤه عند أصحاب «الرواية» من ألسنة الأجيال الماضية وحدها ، على حين تتيح لدى أصحاب الدراية والذوق والخبرة مجالاً لأبناء الأجيال المعاصرة للإسهام في النقاش حول مفهوم الجمال اللغوي والأدبي .

وإذا كانت النزعة القصصية في التأليف قد لاقت رواجاً في ذلك العصر وخففت عن الناس جانباً من جفاف العلم وقسوته فإنها امتدت من خلال الرواج إلى جوانب كثيرة من فروع المعرفة ، فعلم التاريخ أضيفت إليه عناصر التجربة والمشاهدة والرحلة وحكاية عجائب الأجناس المعاصرة بدلاً من الاختصار من قبل على روايات السند المطولة وأخبار العالم الموغل في القدم ، وجانب كبير من هذا التطور يعود إلى واحد من تلاميذ ابن دريد المقريين هو أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي ، الذي كان كتابه «مروج الذهب» من بعض الزوايا فاتحة باب للأجيال المعاصرة لكي تسهم بدورها في صنع «النموذج التاريخي» كما كانت كتابات زميله الناقد الأمدى دعوة للأجيال المعاصرة لكي تسهم في صنع «النموذج الجمالي» . كانت «التجربة المروية» جانباً هاماً أثاره المسعودي في عصره ، حين توجه إلى قارته بالاعتذار في فاتحة كتابه : «ونعتذر من تقصير إن كان وتنتصل من إغفال أو عرض لما قد شاب خواطرننا ، وغمر قلوبنا من تقاذف الأسفار ، وقطع القفار ، تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة ، فتارة بأقصى خراسان، وتارة بأواسط أرمينيا وأذربيجان ، وطوراً بالعراق ، وطوراً بالشام»^(٦١) .

(٦٠) الموازنة ص ٣ وانظر في الحديث عن قيمة الذوق في فهم الأمدى ، د. محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ص ٩٩ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د. ت. وانظر كذلك د. محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد الأدبي والبالغة حتى القرن الرابع الهجري ص ٢٣٢ وما بعدها - منشأة دار المعارف بالإسكندرية

د. ت.

(٦١) نقلاً عن ظهر الإسلام لأحمد أمين ج ٢ ص ٢٠٦ .

ولأن التجربة والقصص اختلطت بالحقائق التاريخية، فقد ظل عمل المسعودي الجغرافى المؤرخ، تلميذ ابن دريد اللغوى الأديب، عملاً متميزاً يستفيد من سعة الأفق وتعدد مناحى المعرفة التى كان لابن دريد جانب من الفضل فى غرسها فى تلاميذه .

ولا تحتاج النزعة القصصية عند تلميذه الآخر أبى الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ إلى تأكيد أو إشارة، فكتابه الأغاني من أشهر الكتب وأحبها إلى نفوس عشاق الأدب على اختلاف مستوياتهم، يلجأ إليه أهل المتعة والطرب، ولا يستغنى عنه أهل التعليم والطلب، ولا يستطيع تجاهله المحققون والمدققون، وقد ظل الناس يحملون نسخة منه فى أسفارهم عندما يحتاجون إلى كتاب يغنى عن مكتبة، ويتنافسون على مسوداته ومبعضاته فى أسواق الوراقين^(٦٢) زمناً طويلاً، ولا يزال من مشاغل الناس إلى يومنا هذا.

أما التلميذ الآخر أبو على القالى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ فقد حمل النزعة القصصية إلى بلاد الأندلس حين أملى كتابه الأمالى، ونشر معه روح علماء الشرق وسعة آفاقهم وفى مقدمتهم أستاذه ابن دريد، الذى أفرط فى الرواية عنه فى الكتاب، حتى لم تكف تخلو صفحة واحدة من الكتاب من عبارة «حدثنا أبو بكر رحمه الله» أو «أنشدنا أبو بكر رحمه الله». وحتى كان الكتاب يعد من نهاية المطاف علم ابن دريد مروجاً على يد تلميذه أبى على القالى .

وإذا كانت صورة ابن دريد قد انطبعت فى نفوس تلاميذه من علماء اللغة والنحو والتاريخ والأدب، فإن كبار أدباء العصر كذلك مروا بحلقة ابن دريد ومجلسه، يقول بلاشير عند حديثه عن المتنبي: «وإذا ما علمنا بميل أبى الطيب الشديد إلى التعلم، أمكن الافتراض أن الشاعر الشاب أفاد من مكثه فى بغداد بقاء كثيرين من أكابر

(٦٢) انظر كثيراً من الأخبار فى معجم الأدباء لياقوت ج ١٣ ص ٩٤ وما بعدها .

العلماء فيها ، ولعله حضر حلقات العالم اللغوي ابن دريد^(١٣٧) وتأثر المتنبي دون شك قد يختلف عن تأثر تلاميذ مقربين أطلوا الصحبة كالقالي والمسعودي وأبي الفرج ، لكن حضوره حلقات ابن دريد أو حتى إيراد أخبار عن احتمال حضوره يؤكد مدى هيمنة وشهرة هذه الحلقات في العراق في القرن الرابع الهجري ، حتى ليتصور أنه لا يمكن أن يمر طالب معرفة بالعراق دون اللقاء بأستاذ الجيل في هذه الفترة .

ولا يقف التنوع والتعدد في تلاميذ ابن دريد عند نزعاتهم الفكرية من محدثين وسلفيين ، أصحاب رواية أو دراية ، ذوى نزعات علمية أو فنية ، وإنما يمتد إلى نزعاتهم السلوكية ، فمن تلامذته من كان يميل إلى الورع ويتبرك الناس بكتبه كما كان الشأن مع أبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ إمام النحو الشهير وصاحب كتاب الجمل الكبير ، فقد كان يقال^(١٣٨) عن كتابه «الجمل» أنه صنفه بمكة حرسها الله ، وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً ودعا الله أن يغفر له وينفع به قارئه «وشاع بين الناس أن هذا الكتاب من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا وانتفع به .

وفى نفس الوقت نجد من بين التلاميذ أبا عبد الله المرزباني المتوفى سنة ٧٣٨ هـ الذي كان^(١٣٩) راوية صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات كثير السماع وكان ثقة صدوقاً، لكنه كان كما تقول إحدى الروايات «يضع المحبرة وقينة النبيذ فلا يزال يكتب ويشرب» وكان إلى جانب ذلك كريماً حقيقياً يزواره من أهل العلم ، وكان في بيته خمسون ما بين لحاف ودراج معدة لأهل العلم الذي يبيتون عنده . وقد نسب السخاء والشراب كلاهما لابن دريد ودارت حول شرايه أحاديث للقدماء بعضهم يروى طرفها كتصدقته على سائل ببعض النبيذ وقوله لغلامه عندما راجعه «لن تنالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون» وتلقيه في اليوم نفسه عشرة أمثال ما تصدق به من النبيذ ، وبعضهم يشنع عليه

(63) REGIS BLACHERE op cit 52

(٦٤) ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عباس ج ٢ ص ١٣٦ .

(٦٥) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٦٨ .

بالشراب ويحاول أن يهز الثقة في روايته من أجل ذلك ، يقول الأزهرى صاحب التهذيب: «وألفيته أنا على كبير سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره» وهى حدة فى اللهجة يمكن أن يفسرها تنافس العلماء المنتمين إلى حقل واحد. ولقد دارت روايات كذلك عن وجود أعواد معلقة فى مجلس ابن دريد وليس بمستبعد أن يكون شاعر مثله ممن يميلون إلى الغناء ويطربون ، وها نحن نجد تلميذه أبا الفرج الأصفهاني يكتب أكبر كتاب عن الأغاني فى تاريخ الأدب العربى ، ونجد كذلك تلميذه أبا عبدالله المرزبانى ينسب إليه كتاب «أحوال الغناء وأخبار المغنين» .

الخروج إذن بمجال العلم والمعرفة من الآفاق المحددة إلى الآفاق الواسعة ، ومن الدرس والاستظهار إلى إضافة ملامح الشخصية الدارسة تجرية أو خبرة أو تأويلاً ، وإفادة العلوم والفنون فيما بينها ، فلسفة تفيد لغة ، ونزعة قصصية تطور تدويناً تاريخياً ، ومعرفة بالموسيقى والغناء تقرب بين الأدب وعشاقه وحاجة كل من العالم والأديب إلى بعضهما البعض .

هذه الملامح العامة هى التى جمعت بين النحوى والمنطقى والمؤرخ والناقد والرواية والقصص من تلاميذ ابن دريد ، وهى ملامح فى الحقيقة تكونت فى نفسه هو أولاً وتمثلها وزاد عليها وطورها تلاميذه أعلام القرن الثالث والرابع ، أبو سعيد السيرافى وأبو على القالى وأبو الفرج الأصفهاني وأبو الحسن على بن عيسى الرمانى النحوى وابن خالويه وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى وأبو عبدالله المرزبانى والحسن بن بشر الأمدى وعلى بن الحسن المسعودى وأبو الطيب المتنبى .. وغيرهم كثيرون . وهؤلاء هم دون شك «أعلام الجيل» فى عصر الحضارة الناهضة ، وابن دريد يستحق بانتمائهم إليه وتأثرهم به أن يكون «أستاذ الجيل» .

المؤلفات

والبحث عن صوت متميز

المؤلفات والبحث عن صوت متميز

إذا كنا قد رصدنا جانباً من علاقة الرجل والعصر في زاوية العطاء من خلال انطباع صورة ابن دريد في نفوس تلاميذه وأفكارهم وعطائهم ، وهو ما يمكن أن يسمى بالعطاء غير المباشر ، فإن جانب العطاء المباشر يمكن أن يتمثل في حلقات الدرس والمؤلفات ، وعطاء ابن دريد وافر في كليهما ، ومن الطبيعي أن تكون المؤلفات أدنى منالاً وأقدر على تحقيق صورة للأمرين معاً .

وقد تنوعت مؤلفات ابن دريد وتعددت ، فقد ترك آثاراً كثيرة سلم بعضها ووصل إلينا مخطوطاً أو محققاً ، ووردت إشارات إلى البعض الآخر في كتب التراجم والفهارس ، واختفى جانب مع الزمن دون شك ، وقد اهتم الأستاذ عبد السلام هارون محقق كتاب الاشتقاق والدكتور رمزي منير بعلبكي محقق الجُمهرة بإعداد قائمة لمؤلفات ابن دريد ستعتمد عليها هنا مضيفين ما وقع تحت أيدينا زيادة عليها :

١ - الاشتقاق : طبع للمرة الأولى في جوتنجن بألمانيا ١٩٥٤ م بتحقيق فيرديناند وستينفيلد مع مقدمة بالألمانية في ست صفحات ، وفهارس لأسماء الرجال واللغات ، وصدرت له طبعة أخرى محققة تحقيقاً جيداً ومشروحة على يد الأستاذ عبد السلام هارون وقد صدرت عن دار المسيرة ببيروت طبعة ثانية ١٩٧٩ م .

٢ - ديوان ابن دريد : طبع مرة أولى بتحقيق بدر الدين العلوي الأستاذ بجامعة «على قره» بالهند ، وطبعته له لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م ، وطبع مرة ثانية بتحقيق الأستاذ عمر بن سالم ، وقد صدر عن الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٠ م .

٣ - معانى الشعر ، طبع فى دمشق ١٣٤٠ هـ .

٤ - المجتنى : «مختارات من الأخبار والأشعار والمعانى والحكم» وقد طبع أولاً فى حيدر آباد سنة ١٣٤٢ هـ بتحقيق كرنكو .

وطبع مرة أخرى فى دمشق سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م بتحقيق السيد هاشم الندوى ، وصدر عن دار الفكر بدمشق - وهذه الطبعة هى التى رجعنا إليها .

٥ - المقصورة : ولها مخطوطات وطبعات كثيرة أشهرها طبعة أحمد عبد الغفور عطا على شرح ابن هشام لها (بيروت ١٩٨٠م) والطبعة التى رجعنا إليها هى شرح مقصورة ابن دريد للأستاذ عبد الوصيف محمد من علماء الأزهر طبعتها له مكتبة الحلبي بمصر سنة ١٩٣٩م / ١٣٥٨ هـ .

٦ - كتاب الملاحن : وقد صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائرى ، وصدر عن دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٩٨٧ م . وكان قد نشره من قبل رايت فى لندن ١٨٥٩ وثوربكة فى جونا ١٨٨٢ .

٧ - الجهرة ك طبعها وحققها الدكتور رمزى منير يعلى فى بيروت ، وصدرت عن دار العلم للملايين (د.ت) وكانت قد صدرت طبعة فى حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٤ هـ وقام على تصحيحها المستشرق الالماني فريتس كرنكو والشيخ محمد السورتى .

٨ - رواد العرب : طبع فى لندن سنة ١٨٥٩م فى مجموعة «جزرة الحاطب وتحفة الطالب» باسم «السحاب والغيث وأخبار الرواد وما حمدوا» ويوجد مخطوط بدار الكتب المصرية بعنوان «كتاب المطر والسحاب» ، حققه عز الدين التنوخى وطبع فى دمشق ١٩٦٣ م .

٩ - الأمالى : وقد لخصه جلال الدين السيوطى وسماه «قطف الوريد» .

- ١٠ - أدب الكاتب : أشار إليه ابن النديم فى الفهرست وقال إنه على مثال كتاب ابن قتيبة وقال إنه لم يجرده من المسودة فلم يخرج منه بشىء يعول عليه .
- ١١ - الأنباى : «أى الألقاب» وقد ورد ذكره فى الجمهرة .
- ١٢ - الأنواء وقد ذكره ابن النديم .
- ١٣ - البنين والبنات ولعله كتاب لغوى فى الكنية .
- ١٤ - التوسط : كتاب فى التعليق على رد المفضل بن سليمة على الخليل بن أحمد .
- ١٥ - الخيل الصغير .
- ١٦ - الخيل الكبير .
- ١٧ - السرج واللجام طبع فى المجموعة التى تمت الإشارة إليها فى ليدن .
- ١٨ - كتاب غريب القرآن .. لم يتمه .
- ١٩ - كتاب فعلت وأفعلت .
- ٢٠ - كتاب اللغات فى القرآن .
- ٢١ - كتاب المنتهى فى اللغة .
- ٢٢ - كتاب المقصور والممدود .
- ٢٣ - كتاب الوشاح فى الشعراء الذين غلبت عليهم ألقابهم .
- ٢٤ - كتاب تقويم اللسان : ذكره السيوطى فى بغية الوعاة وأشار إلى أنه لم يبيض .
- ٢٥ - تعليق من أمالى ابن دريد : تحقيق السيد السنوسى ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت سنة ١٩٨٤ م .

هذه قائمة المؤلفات ابن دريد ربما تكون فى حاجة إلى مزيد من التحرى والتفصيل
لنكتب وطبعاتها ، والمخطوطات وأماكن وجودها والمنسويات إليه ومدى صحتها ، وهو
جهد ربما يساعد بدوره على كشف جوانب أخرى من حياة هذا العالم الجليل .

ولا نريد بالطبع - فى هذه الدراسة الموجزة - أن نقف بالتفصيل أمام هذه
المؤلفات ، فذلك شأن فروع كثيرة متخصصة فى الدراسات الأدبية واللغوية والإنسانية
بعامة ، برز فيها ابن دريد وأسهم فى تحديد مسارها ولكننا فقط نود أن نستشف من
بعضها ، على الأقل ، لون العطاء المتميز الذى شارك به ابن دريد ، وجعل صوته يصل
إلينا واضحا من بين مئات الأصوات لعلماء أجلاء فى هذا القرن المزدهم بالحضارة .

ولابد أن يستشعر المرء نوع الصعوبة التى كانت تواجه طالب التميز فى عصر
كهذا ، وفى فروع كفروع الدراسات اللغوية والأدبية على نحو خاص ، ذلك أن مادة
البحث فى هذه الفروع وهى اللغة العربية كانت تشكل فى وقت واحد مظهرين
متقابلين ، فهى تمثل من ناحية هدفاً غاليا مقدسا ، يمثل الخاصة الرئيسية للجماعة التى
تقود الحضارة فى ذلك العصر ، وتمثل كذلك اللغة المقدسة لدين الأمة ، وفى سبيل
الحفاظ على هذا الهدف انطلق آلاف الدارسين والرواة والحافظين والشارحين والمتأولين
إلى البوادر تارة وإلى مجالس الشيوخ وبطون الكتب تارة أخرى و «اهتموا من خلال
ذلك بملاحظة لغتهم الخاصة وأتقنوها كما لم يحدث لشعب غير الشعب العربى» . كما
يقول فرديناند وتستفيلد (٦٦) .

أما المظهر المقابل فهو يتمثل فى أن هذا الهدف الثمين يبدو قريب المنال ، فاللغة
يتكلمها الناس ، وهى على ألسنتهم وبين أذانهم ليل نهار ، وإجادتها مطلب ميسور
المنال يتحقق للكثيرين من حفظة القرآن وعشاق الشعر ومعلمى الصبيان ، بل إن

(٦٦) انظر المقدمة الألمانية لتحقيق كتاب الاشتقاق جوتجن ١٨٥٤ م .

البعض كان يتصور أنه يستطيع فى أيام معدودات أن يتعلم من الأسس الضرورية ما يساعده على تقويم لسانه .

وقد جاء رجل إلى ابن خالويه - تلميذ ابن دريد - يسأله : «أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لسانى» فقال له ابن خالويه : «أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لسانى»^(٦٧) .

وهذا الحوار الموجز يمثل فى الواقع أزمة العصر ، فكثيرون يظنون أن علم العربية سهل المنال ، وكثيرون كذلك يظنون بعد الإلمام بأوليات القواعد أنهم أصبحوا علماء بها ، وهنا تأتى صعوبة البحث عن «تميز الصوت» بل ولعل البحث عن هذا التميز هو الذى تشعبت من أجله مدارس اللغة والنحو وقتها إلى بصرية وكوفية وبغدادية ، واختلفت الآراء فى الشيء الواحد والظاهرة الواحدة تعليلاً أو تحليلاً من مجلس إلى مجلس ، ولا شك أن هذه النزعة قد أفادت الثقافة والحضارة وأثرتها ، لكن المبالغة فيها ألحقت بها كثيراً من الأضرار وخاصة فى العصور اللاحقة .

وكثير من مؤلفات ابن ابن دريد تبدو فيها اللمحة التمييزية التى تشق طريقاً جديداً من طرق البحث كان من الصعب على الأدعياء وعلى أنصاف العلماء وعامتهم أن يهتدوا إليه ، رغم ظنهم بأنهم يلمون بالقدر الكافى من اللغة وعلومها ، وسنكتفى بالإشارة إلى ثلاثة من مؤلفات ابن دريد تنضح فيها هذه النزعة المتميزة .

وأول هذه الثلاثة هو معجمه اللغوى الشهير «الجمهرة» الذى اختط طريقاً جديداً للمعاجم العربية ، ونقلها من مجال المعرفة بالسمع وهو مجال مناسب لعصر ما قبل التدوين والكتابة ، إلى مجال المعرفة بالعين وهو الأكثر مناسبة لعصر الكتب والدفاتر ، الذى امتد إلى عصر المطابع وما يليه ، ذلك أن المعجم الشهير الذى سبق ابن دريد وهو

(٦٧) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ج ٩ ص ٢٠ .

معجم العين للخليل بن أحمد كان يقوم على أساس الترتيب الصوتي المخرجي بمعنى أن ترتيب الأصوات عنده كان يسير على الطريقة التي جمعها بعض الناطقين في قوله: (٦٨) .

والعين والحاء ثم الهاء والحاء	والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها	صاد وسين وزاى بعدها طاء
والذال والتاء ثم الظاء متصل	بالظاء ذال وثاء بعدها راء
واللام والنون ثم القاء والباء	والميم والواو والمهموز والياء

أى أن الباحث في معجمه عن معنى كلمة من الكلمات كان عليه أولاً أن يجردها من حروف الزيادة ثم ينظر في أصواتها ليرى أيها أعمق مخرجاً فيبحث عنه ، فإذا اهتدى إلى المخرج العميق فعليه أن يهتم بتصنيف آخر كان يعتمد عليه الخليل وهو تصنيف على أساسه قسمت الكلمات إلى فصول مثل الثنائي والثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل واللفيف والرباعي والخماسي وكل تلك عوامل كان من شأنها أن تشترط في الباحث عن المعنى اللغوي للكلمة أن يكون عالماً أولاً بمخارج الحروف والتقسيمات الصرفية المتعددة ويكاد ذلك يحصر المستفيدين من المعجم في دائرة العلماء لا المتعلمين .

ومن هنا جاءت نظرة ابن دريد في التقاط حاجة العصر إلى توصيل الفائدة اللغوية إلى قطاع أكبر من الناس ، وكانت ملاحظته التي ساقها في مقدمة معجمه «الجمهرة» حول معجم سلفه الكبير الخليل أنه قيم صعب الفائدة ، يقول : «وقد ألف أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، ولكنه رحمه الله ، ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره ، وأملينا الكتاب والنقص في الناس فاش .. وأجريناها على

(٦٨) انظر حول معجم العين وطريقته ، البحث اللغوي عند العرب د. أحمد مختار ص ١٧٨ وما بعدها .

تأليف الحروف المعجمة إذ كانت بالقلوب أعلق وفي الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة»^(٦٩).

هذه اللقطة الذكية من ابن دريد هي التي جعلت معاجم العلماء في خدمة المتعلمين ، ولا شك أن ذلك الحدث كان له صدى كبير في عصره ، فهو يمثل خطوة - برغم ملاحظات الدارسين عليها - متميزة بكل المقاييس ، ولعل هذا يفسر سر تركيز خصوم ابن دريد على كتاب الجهمرة في هجومهم عليه ، فنفظويه يقلل من أهمية الانتقال الذي حدث في كتاب الجهمرة ويقول :

ويدعى من حمقه وضع كتاب الجهمر
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

والأزهري صاحب التهذيب ، وهو من أشد من هاجموا ابن دريد يقول^(٧٠) : «وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجهمرة ، فلم أره لا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة ، وعثرت في هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها» .

وقد قال السيوطي تعقيباً على هذه التهم في المزهري^(٧١) : «معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجهمرة رأى تحريره في الرواية» .

الجهمرة إذن نموذج «لتميز الصوت» في مجال الدراسات المعجمية ولاهتداء ابن دريد - رغم أنه لم يكن صاحب الفكرة الأولى في عمل المعاجم - إلى فكرة تضمن لهذه المعاجم شيوعها وكثرة الفائدة منها وتخط لها طريقاً جديداً ومنهجاً مبتكراً .

من بين كتب ابن دريد كتاب صغير الحجم أقرب إلى حجم الرسائل ، وهو كتاب

(٦٩) مقدمة الجهمرة نقلاً عن البحث اللغوي عند العرب ص ٢٠٤ .

(٧٠) أبو منصور الأزهري ، مقدمة التهذيب ، تحقيق أحمد العطار ص ٧٦ .

(٧١) المزهري ج ١ ص ٢٦٩ نقلاً عن عبد السلام هارون في مقدمة الاشتقاق ، وانظر مناقشاته المفيدة للتهم الموجهة لابن دريد .

«الملاحن» لكنه ذو دلالة فيما نعرض له من قضية الصوت المتميز ، والكتاب يجيب بطريقة غير مباشرة ولا معلنة عن أسئلة دقيقة مثل : من يزعم أنه يفهم اللغة فهمًا كاملاً؟ وهل هناك مستوى واحد من الدلالة يمكن أن يستوعبه كل أفراد الجماعة عند سماعهم عبارة ما ؟ وهل يكفي الإنسان أن يكون عربياً خالصاً حتى يدرك كل مستويات التخاطب ؟ وهل يتم الفهم والإفهام من خلال إدراك المعنى القريب المباشر للمفردة والجملة ، أم أن هناك مستويات رمزية أخرى لا تدرك إلا بمجهود خاص وفي أذهان جماعات خاصة ؟

لقد سمي ابن دريد كتابه «الملاحن» وكان يعنى «الفطن» استناداً إلى قول الرسول ﷺ «لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض»^(٧٢) واللحن عند العرب الفطنة ، وفي مقدمة الكتاب يورد ابن دريد قصة يدور فيها الحوار بين عرب خلص ، وتستخدم فيها اللغة العربية على مستوى خاص فيستعصى فهم مغزاها الدقيق على سامعها وحتى على حاملها ومبلغها ، لكنها عندما تعاد تلاوتها على صاحب «فطنة» خاصة تحل شفرتها وتؤدي غايتها في التوصيل الخاص إلى طائفة خاصة ، والقصة تتصل بالعنبري الذي كان أسيراً في بنى بكر بن وائل ، وسألهم أن يعدوا له رسولاً لكي يبلغه رسالة يذهب بها إلى قومه ، فخاف الأسرون أن يبلغهم شيئاً يضر بهم فاشتروا أن يبلغ رسالته في وجودهم ، فوافق وجيء بعبد أسود فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إنى لعاقل ، وأشار بيده إلى الليل فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ، ثم ملأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لا أدري وإنه لكثير ، قال : أيهما أكثر النجوم أم التراب ؟ قال : كل كثير ، أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا أسير بكر فقومه لى مكرمون ، وقل لهم : إن العرفج «شجر بالبادية» قد أدبى «خرج منه الدبى وهو صغار الجراد» وقد شكت النساء ، وأمرهم

(٧٢) كتاب الملاحن للإمام أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي ، صححه وعلق عليه أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائري ص ٨ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧.

أن يعرفوا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملى الأصهب ، بأية ما أكلت معهم حيسا ، وأسألوا الحارث عن خبرى .

فلما أدى العبد الرسالة إليهم قالوا : لقد جن الأعور ، والله ما تعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب ، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : لقد أندرکم ، أما قوله أدبى العرفج ، فیرید أن الرجال قد استلأموا «أى لبسوا الدروع» ولبسوا السلاح ، وقوله قد شكت النساء أى اتخذن الشكاء للسفر ، وقوله عروا ناقتى الحمراء ، أى ارحلوا عن الدهناء (الفلاة) واركبوا الجبل ، وقوله بأية ما أكلت معكم حيسا، یرید أن أخلاطاً من الناس قد غزوكم لأن الحيس یجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا نحن كلامه»^(٧٣) .

هذا النمط من الحديث أقرب إلى ما يعرف الآن بالرمز ، والمستوى الخاص للأداء اللغوى ، وهو مستوى یكثر النقاد المحدثون من الإشارة إليه فى مجال الشعر خاصة ویرون أن معنى «الفهم» المباشر من خصائص اللغة النثرية ، وأن تعددية المعنى وطبقات دلالاته جزء من غنى اللغة الراقية ولغة الشعر على نحو خاص . والبلاغيون العرب لم یغفلوا بدورهم الإشارة إلى تعدد المستويات فى الفهم فى مباحث كالتورية والتعريض والملاح بما يشبه الذم وغيرها من المباحث .

وابن درید ینطلق من هذه القصة لکى یقدم لمعاصريه معجماً صغیراً لعبارات «الملاحن» ذات الدلالة المزدوجة ، ویحاول أن یقترب بها من مجال النفع العملی فى الاستخدام اللغوى الیومی لا الاختصار على المجال الجمالى وحده وهو یغلف هدفه بلمسة دينية شأن كثير من كتب العصر ، فيقول إنه كتب هذا الكتاب «ليضرع إليه المجبر المضطهد على اليمين ، المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم

(٧٣) المرجع السابق ص ١٧ وانظر كذلك الأمالى لأبى على الفالى ج ١ ص ٥ وما بعدهما حيث أفاض فى ذكر العلماء فى مفهوم اللحن حتى انتهى إلى مذهب أبى بكر ثم أورد قصة الأسير كاملة .

من عارية الظالم ويتخلص من حيف الغاشم» ويضرب ابن دريد أمثلة على هذه الأيمان حين يقول : «وتقول : «والله ما رأيت فلاناً قط ولا كلمته» ، فمعنى ما رأيته أى ما ضربت رثته ، ومعنى كلمته أى جرحته ، وتقول : «والله ما عندي نبئ ولا أمملكه» ، والنبئ الصبى المنبوذ ، وكل شيء ألقبته من يدك فقد نبذته . وتقول : «والله ما سألت فلاناً حاجة قط» والحاجة ضرب من الشجر له شوك والجمع حاج^(٧٤) .

ومع أن الجمل التى أتى بها ابن دريد تستجيب لحاجات عملية عاجلة فإن وراء ذلك فكرة التميز وتنبيه من يتصورون أنهم يعرفون لغتهم جيداً ، وهم بعيدون عن ذلك ، لأن ذلك شأو يحتاج إلى تبهر وتعمق ، اكتفى ابن دريد بالإشارة إليه ثم فتح مجال مستويات الدلالة وهى مجالات تقدم فيها بقدر بعض علماء البلاغة والنقد الأقدمين ، لكنها ما تزال فى حاجة إلى جهد كبير .

أما كتاب «الاشتقاق» فقد كان بدوره ، بل ولعله ما يزال ، صوتاً متميزاً يشير إلى خصوصية فى الالتفات إلى زوايا جديدة فى التأليف والمعالجة ، وإلى غزارة معرفة واتساع ، وإلى حمية قومية واضحة جعلت واحداً مثل المستشرق بدرسن يشير إلى أن دافع تأليف ابن دريد لكتاب الاشتقاق كان «الغيرة الوطنية ضد الشعوبية وغيرهم»^(٧٥) .

ولنلاحظ أولاً أن مصطلح «الاشتقاق» شاع فى عصر ابن دريد عند نظرائه من علماء اللغة لكنه كان يحمل معنى آخر ألفت على أساسه كتب مغايرة تحمل عنوان الاشتقاق ، وذلك المعنى الآخر يتصل بإمكانات «القياس اللغوى» ومدى السماح للمحدثين أن يقيسوا على ما قاله القدماء ويتوسعوا بذلك فى اللغة ، وقد تحمس لفكرة الاشتقاق بهذا المعنى ، العالم اللغوى أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى ، وكان أبو على يقول : «لأن أخطئ فى خمسين مسألة فى الرواية ، أحب إلى من أن أخطئ فى

(٧٤) المصدر السابق ص ٨ ، ١٩ ، ٣٤ .

(٧٥) بدرسن ، دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة ابن دريد ج ١ ص ١٥٩ .

مسألة واحدة قياسية . ويقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب^(٧٦) ، وقد تطور هذا المبحث خاصة على يد ابن جني .

وعرف العلماء من أنواعه ما يسمى بالاشتقاق العام أو الاشتقاق الصغير وما يسمى بالاشتقاق الكبير ثم ما يسمى بالاشتقاق الأكبر^(٧٧) .

غير أن الاشتقاق لابن دريد لم يكن يندرج تحت هذا الباب ، وإنما كان يهتم باشتقاق أسماء الرجال ، ومن ثم فقد أشار الأزهرى إلى الكتاب على أنه «كتاب اشتقاق الأسماء» وأشار إليه ياقوت الحموى على أنه «كتاب اشتقاق أسماء القبائل» وحدد ابن دريد نفسه المجال الذى اهتم به فى كتابه بقوله : «قد شرحنا فى كتابنا هذا أسماء القبائل وأفخاذها وبطونها ، وتجاوزنا ذلك إلى أسماء ساداتها ووثيانها وشعرائها وفرسانها وجرارى الجيوش من رؤسائهم ومن ارتضت بحكمه فيما شجر بينها ، وانقادت لأمره فى تدبير حروبها ومكايدة أعدائها»^(٧٨) فاهتمامه إذن منصب على أسماء القبائل وأسماء الشخصيات البارزة فى التاريخ العربى فى مجالاته المختلفة ، وهو يشير إلى مجال آخر من مجالات الأسماء لم يشأ أن يقترب منه حين يقول :^(٧٩) «ولم تتعد ذلك إلى اشتقاق أسماء صنوف النامى من نبات الأرض نجمها وشجرها وأعشابها ولا إلى الجامد من صخرها ومدرها وحزنها وسهلها لأننا إن رمنا ذلك احتجنا إلى اشتقاق الأصول التى تشتق منها وهذا ما لا نهاية له» .

البحث إذن فى الاشتقاق يدور حول «أسماء الرجال» من الناحية اللغوية والتاريخية ، وهو منحى فى البحث لم يسبق إليه ابن دريد ، بل ولم تؤلف فيه بعده

(٧٦) انظر فى مناقشة هذه القضية والآراء الواردة فيها ، أحمد أمين ، ظهر الإسلام ج ٢ ص ٩١ .

(٧٧) لمزيد من التفاصيل انظر : د . إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، ص ٦٢ وما بعدها ، الطبعة السابعة - سنة ١٩٨٥ مكتبة الأجلو المصرية .

(٧٨) الاشتقاق ، طبعة وتسنيفلد ١٨٥٤ ص ٣ .

(٧٩) المرجع السابق ص ٣ .

كتب كثيرة معروفة ، وما أُلّف حول الأعلام وسيرهم وطبقاتهم وهو كثير ، كان يهتم
بالتاحية التاريخية أكثر من غيرها ، وما أُلّف فى علم الأنساب وهو كثير أيضا ، لم يهتم
بالتاحية اللغوية اهتمام ابن دريد .

ومن المصادفات العلمية أن يكون العلم الذى اهتم بأسماء الرجال فى العصر
الحديث من التاحية اللغوية والتاريخية والإحصائية هو «معجم أسماء العرب» الذى
صدر عام ١٩٩١ م عن سلطنة عُمان^(٨٠) فى إطار موسوعة السلطان قابوس لأسماء
العرب ، وأن تكون عُمان بذلك مصدر الأعمال العلمية التى تهتم بأسماء الرجال ،
قابن دريد صاحب المعجم القديم فى الاشتقاق ينتمى إليها والعمل العلمى الحديث
«معجم أسماء العرب» يصدر تحت إشرافها .

لكن لماذا كتب ابن دريد عن أسماء العرب واشتقاقاتها ؟

إن ابن دريد يشير فى مقدمته إلى أحد الدوافع المباشرة إشارة تؤكد صحة
ملاحظة المستشرق بدرسن التى اقتبسناها من قبل ، وذلك أن بعض أنصار الشعوبية
فى ذلك العصر امتد انتقاصهم من العربية وما يتصل بها إلى أسماء أعلامها وسخروا
من أن بعضها يسمى كليا وكليا ومثلها من الأسماء «القييحة» وبعضها الآخر يندرج
فى أسماء يستعصى فهمها حتى على علماء اللغة مثل ما يروى من «أن الخليل بن
أحمد سأل أبا الدقيش ، ما الدقيش ؟ قال : لا أدري إنما هى أسماء نسمعها ولا نعرف
معانيها» ويعلق ابن دريد قائلا : «وهذا غلط على الخليل وادعاء على أبى الدقيش وكيف
يخفى على أبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد - نضر الله وجهه - مثل هذا وقد سمع
العرب سميت دقيشا ودقيشا ودنقشا فجاءوا به مكبرا ومصغرا ومعدولا به من بنات
الثلاثة إلى بنات الأربعة»^(٨١) .

(٨٠) انظر معجم أسماء العرب «قسم من موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب» صدر فى مجلدين - جامعة
السلطان قابوس - مكتبة لبنان ١٩٩١ . وانظر كذلك «سجل أسماء العرب» صدر فى أربعة مجلدات
من نفس الموسوعة .

(٨١) الاشتقاق ص ٤ .

فالدافع الاجتماعى كان الرد على هؤلاء الذين يطعنون «جهلاً أو تجاهلاً» على أسماء العرب من حيث لا يجب الطعن ، ويعيبون من حيث لا يستنبط العيب على حد قول ابن دريد ، لكن العطاء جاء أغزر بكثير من مجرد الاستجابة لهذا الدافع ورد تلك التهم ، فقد أقام ابن دريد من التسمية علماً له بواعثه ودوافعه ومسبباته وجعل منها نافذة تطل على تراث واسع متشابك وترصد ماضى وحاضر شبكة العلاقات فى كتلة بشرية كبيرة تمثل الكتلة العربية ، كانت قد بدأت فى الانتشار والذوبان فى كتلة أخرى أكثر اتساعاً هى الكتلة الإسلامية .

وابن دريد تحقيقاً لهذا الهدف يعالج المادة اللغوية المتمثلة فى الأسماء والمطروحة أمامه على مستويات مختلفة فهو :

- ١ - يشرح الاشتقاق اللغوى لأسماء القبائل والرجال .
 - ٢ - يبسط القول فى المواد اللغوية ذاتها التى اشتقت منها هذه الأسماء .
 - ٣ - يفسر الآثار الدينية والأدبية التى تمت بصلة إلى هذه المواد .
 - ٤ - يبين أنساب قبائل العرب ووطنها وأفخاذها وتشعب بعضها عن بعض .
 - ٥ - يمد الباحث بكثير من المعارف التاريخية النادرة ، التى تتعلق بقبائل العرب ورجالها وبعض من تمت بصلة تاريخية إلى تلك القبائل وأولئك الرجال .
- وتلك فى مجملها أهداف لم يجمعها أحد فى مؤلف قبل ابن دريد ، ومن ثم كانت نتاجاً من نتاجات «الصوت المتميز والعقلية المفكرة والعلم الواسع» .
- حدد ابن دريد فلسفة العرب فى التسمية حين أشار إلى رواية نقلها عن أستاذه أبى حاتم السجستاني قال : « قيل للعتبى ما بال العرب سمت أبناءها بالأسماء المستشعة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة ؟ فقال : لأنها سمت أبناءها لأعدائها

وسمت عبدها لأنفسها» وقد علق ابن دريد على إجابة العتبي بأنها جملة مستحسنة لكنها محتاجة إلى شرح وتوضيح وهو ما تولاه الكتاب .

وقد حدد الكتاب أسباب التسمية عند العرب فى مجموعة من النقاط منها :

١ - التفاؤل بالانتصار على الأعداء مثل تسمية : غالب ، منازل ، مقاتل ، طارق .. إلخ .

٢ - التفاؤل بنجاح المسعى مثل تسمية : نائل ، ناج ، سالم ، عامر ، سعيد ..

٣ - ترهيب الأعداء باتخاذ أسماء السباع والحيوانات مثل تسمية : أسد ، ليث ، ذئب ، فراس ، وضرغام .

٤ - التفاؤل بإطلاق أسماء الشجر الغليظ القوى طويل العمر على الأبناء مثل تسمية : طلحة ، سلمة ، قتادة .. إلخ .

٥ - التسمية بما خشن من الأرض ملمسًا وموطنًا مثل : حجر ، صخر ، فهر ، جندل ، حزن ، حزم .. إلخ .

٦ - التفاؤل بما يلقاه الأب من الحيوانات أو الطيور أثناء مخاض امرأته فيطلق اسمه على المولود ، تفاؤلًا بجريان الحياة والنشاط فيه ، ومن هذه الناحية ظهرت أسماء كثيرة مثل : ثعلب ، ضب ، كلب ، حمار ، قرد ، جحش ، غراب ، بكر ، عنز .. إلخ .

وتناول ابن دريد للأسماء فى التحليل تناول دقيق يعالج الجوانب اللغوية والتاريخية ويقدم معلومات إحصائية فى بعض الأحيان ، وهو يبدأ بسلسلة نسب رسول الله - ﷺ - ويقف أمام كل اسم من السلسلة فيشرح الجذور اللغوية والفروق بينها وبين الجذور المتشابهة ، فيتعرض فى مادة «محمد» إلى الفرق بين الحمد والشكر ، وبين صيغة محمد وصيغة محمود ، ثم يشير إلى من سمى «محمدًا» فى الجاهلية ، ويخص منهم أربعة ، ومنه ينتقل إلى أحمد فيشير إلى من سمى به وإلى يحمى وحميد وحميدان وحمام ، وهكذا يفعل مع بقية الأسماء التى يتعرض لها فى سلسلة النسب الشريفة ومن بعدها فى أسماء القبائل ووطنها ورجالها .

وتتناثر خلال تحليله معلومات تاريخية قيمة عن القبائل والأماكن والبلدان تصلح في ذاتها أن تكون نواة لدراسات مستفيضة ، ومن الطبعي أن يولى الأزد وعُمان قدرًا من رعايته ، فيتكرر الحديث عنده عن الأزد خمسًا وعشرين مرة في كتابه يرد خلالها التعريف ببطونهم كالحمد وسلامان ويكر وينى سعيد وأزد السراة وصرم والأشافر .. إلخ ويتتبع في كل مرة أماكن معيشتهم وأسماء من حالفهم أو عادهم أو والاهم .

ويأتى ذكر عُمان في كتابه اثنتى عشرة مرة ، وهى مرات قليلة إذا قيسَت بمدينة البصرة ورد ذكرها خمسًا وسبعين مرة أو الشام التى ورد ذكرها ثلاثًا وثلاثين مرة أو اليمن التى وردت تسع عشرة مرة ، لكن ابن دريد كان مقيّدًا بحركات الأعلام وأماكن استقرارهم أو استقرار أخلافهم ، وهو خلال تعرضه لعمان يعرف ببعض أهلها أو بعض من عمل بها ، فقبيلة «التناعم» تقيم بالبصرة لكنها تنسب إلى موطنها الأصلي وهو «تنعم» بعمان ، وبنو مازن بن شيبان عُمانيون ينتسب إليهم أبو عثمان المازنى النحوى لأن أمه منهم ، وعبيد الله بن ظبيان من فتاك العرب وقد قتل بعمان ، ونعام بن الحارث فارس من العتيك وهو أول رجل أغار على الفرس بعمان ، وسبيعة بن غزال كان ممن وفد إلى أبى بكر الصديق رحمه الله فى أمر أهل عُمان .

وبنو مالك بن فهم ، تفرقوا وكانوا عشرة فلهقوا بعمان .

وهكذا يقدم «الاشتقاق» فيما يقدم ، علامات يمكن أن تساعد على رسم صور لكثير من الجماعات والأمكنة فى التاريخ العربى ، إلى جانب ما قدمته من ملاحظة متمكنة فى بحر واسع هو اللغة العربية بطريقة منهجية منظمة دلت - مرة أخرى - على أن ابن دريد كان مؤلفًا ذا عطاء متميز من خلال تلاميذه ومؤلفاته ، وأن أثره من خلال ذلك كله تجاوز عصر القرن الثالث والرابع الذى استحق بجدارة أن يكون أستاذ الجيل فيه إلى القرون التالية ليكون واحدًا من رواد الثقافة العربية الجادة العميقة .



ابن دريد الأديب الشاعر

ابن دريد الأديب الشاعر

حين يتصل الحديث بشاعرية ابن دريد ، فإننا نجد أنفسنا أمام واحد من كبار شعراء القرنين الثالث والرابع الهجري ، وليس هذا حكماً مسبقاً على شاعر قبل بدء الحديث عنه ، ولكنه انطباع قوى يخرج به قارئ كتب الأدب العربى القديم ، وهو انطباع إن لم تؤكد كثره الآثار أكدته تواتر الأخبار .

فقد شاعت عنه عبارة أبى الطيب اللغوى : «ما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحاما» فى صدر خلف بن الأحمر وابن دريد . وتوجه الأقدمون بلقب دى دلالة هو «أشعر العلماء وأعلم الشعراء» ورفع أبو العلاء المعرى شعر ابن دريد إلى الجنة، حملة معه ابن القارح فى رسالة الغفران وطرق به باب الشاعر الجاهلى المسيحي عدى ابن زيد العبدي الذى طلب منه ابن القارح أن يسمعه قصيدته «الصادية» التى هى بدعية من أشعار العرب والثى مطلعها :

أبلغ خليلي عبد هند فلا زلت قريباً من سواد الخصوص
وعندما ينتهى عدى من إنشادها يقول الشيخ ^(٨٢) «أحسنت والله لو كنت الماء الراكد لما أسنت» وقد عمل أديب من أدباء الإسلام قصيدة على هذا الوزن وهو المعروف بأبى بكر بن دريد قال :

يسعد ذو الجد ويشقى الحريص ليس لخلق عن قضاء محيص

(٨٢) انظر رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى - تحقيق محمد عزت نصر الله - ص ٥١ - المكتبة الثقافية - بيروت ٢٠٥ .

ويقول فيها :

أكرم من نصت إليهم قلوب
جيفر الوهاب أودى به
دهر على هدم المعالي حريض
إلا أنك يا أبا سودة أحرزت فضيلة السبق .

وما كان لأبي العلاء أن يفاخر شاعراً جاهلياً كعدى بن زيد بشاعر إسلامي في قصيدة عصية القافية ولا يجعل الجاهلي يفضلّه إلا بالسبق الزمني ، ما كان ليفعل هذا ، لو أن قامه ابن دريد في نظر جيل أبي العلاء لم تكن على مستوى المفاخرة والموازنة . وما كان لأبي العلاء - وهو الناقد الحصيف - أن يعقد مقارنة يقال له بعدها كيف وازنت بين عدى بن زيد وبين رجل حفظه من الشعر قليل ، فشهادة أبي العلاء العارضة هي شهادة جيل كامل ومتناخ ثقافي سائد .

على أن شهادة أبي العلاء تؤدي إلى ناحية أخرى ، تتصل بالقدر الكبير الذي ضاع من شعر ابن دريد ، والقصيدة التي أوردها أبو العلاء نموذج لذلك فهذه القصيدة لم يبق منها بين أيدينا إلا هذه الأبيات الثلاثة التي أشار أبو العلاء إلى أن أحدها مفتتح القصيدة والآخرين جاءا في ثناياها ، وقد نقلها جامع الديوان عن رسالة الغفران دون أن يضيف إليها شيئاً . وقد أشار القدماء إلى غزارة إنتاج ابن دريد الشعري ومنهم تلميذه المسعودي الذي قال في مروج الذهب : «إن شعره أكثر من أن تحصيه أو تأتي على أكثره أو يأتي عليه كتابنا هذا» وقال القفطي في أنباء الرواة : «وشعره كثير ، قال من رآه في خمس مجلدات وقيل أكثر من ذلك» والقفطي صاحب الرواية رجل عاش في القرن السابع الهجري وتوفي سنة ٦٤٦ هـ وقد قال إنه حدثه من رأى الديوان ومعنى ذلك أنه بعد حوالي ثلاثة قرون ونصف من وفاة ابن دريد كانت نسخ كاملة من الديوان موجودة ومعروفة في أرجاء من العالم الإسلامي كالشام حيث كان يعمل القفطي ، أو كمصر حيث ولد في جنوبها وكانت له بمعاهدها ومكتباتها صلات وكانت

بالتأكيد موجودة في العراق وخراسان مواطن ابن دريد العلمية والأندلس موطن تلميذه ، الذي نشر علمه فيه ، أبو علي القالي .

وليس من الضروري أن تكون المجلدات الخمسة مجلدات كبيرة فقد كان استخدام مصطلح «مجلد» يطلق أحياناً على المجلد المتوسط أو الكراسه ، لكن كلمة «شعره كثير» في أول الرواية ترجح أن هذه المجلدات كانت متوسطة على الأقل .

وهذه المجلدات الخمسة لم يعثر عليها حتى الآن ، ولعلها حبيسة خزانة من خزائن الكتب في عُمان أو البصرة أو خراسان أو مصر أو الشام ، أو لعلها - للأسف - أكلتها العوادي التي مر كثير منها على بلدان العالم الإسلامي ، ولم يجد من عنى بجمع ديوان له في عصرنا هذا سوى مقطوعات وقصائد قليلة احتفظت بها بعض كتب التاريخ والأدب ، وسوى المقصورة التي كانت تعد دائماً عملاً مستقلاً حفظت من الضياع واهتم بها الأدباء وتناولوها في أزمنة مختلفة بالمعارضات والتخميس والتوشيح والإعراب والشروح التي بلغت زهاء خمسة وثلاثين شرحاً ، وامتد الاهتمام بها إلى اللغات الأخرى فترجمها هوتسما إلى اللاتينية ، وطُبعت^(٨٣) بها سنة ١٧٧٣م ، وسنقف أمام بعض الملامح الرئيسية الموجودة فيما تبقى أمانتا من شعر ابن دريد والتي جمعها الديوان الذي بين أيدينا والذي كان في الواقع جزءاً من أطروحة تقدم بها عمرو سالم إلى جامعة باريس سنة ١٩٦٥م ، وطبع الديوان بعد ذلك في تونس عام ١٩٧٣م وكانت قد سبقته محاولة أخرى لجمع الديوان على يد محمد بدر الدين العلوي نشرت في القاهرة عام ١٩٦٤م .

وعلى الرغم من مجهود العلمي الذي بذله محققا الديوان ، فما زال في حاجة إلى مزيد من الجهد العلمي ، وعلى سبيل المثال أورد المحققان قصيدة المثلثة لابن دريد ، على حين أن بعض مقاطع هذه القصيدة وردت في «تعليق من أمالي ابن دريد» منسوبة إلى أحد الجاهليين .

(٨٣) انظر مقدمة الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون .

خصائص فى بناء القصيدة

لعل أول خاصية تكمن فيما أعجب به أبو العلاء نفسه فى القصيدة الصادية التى فاخر بها عدى بن زيد ، وهى «اختيار المركب الصعب» فى بناء القصيدة ، وتلك خاصية كان الشاعر ابن دريد يستعين فيها بالعالم ابن دريد فيمده بمخزون ثقافى هائل وحصيلة لغوية كبيرة ، وكانت هذه الخاصية تتمثل عند ابن دريد فى أشكال عديدة . كان منها اللجوء إلى القوافى الصعبة غير المطروقة مثل قافية الثاء والصاد والضاد والطاء والظاء ، وهى قواف تقطع الكتابة عليها فى العربية ، وقليل من الشعراء يلزم نفسه بأن يشرع فى قصيدة مثل هذه القصيدة :

مقل الجأزر نبلها الألفاظ ما إن لها فذ ولا إرعاط^(٨٤)
أو لم يجزن وقد ملكن قلوبنا فآلتها وقلوبهن غلاظ
يا مالهن لدغن بالبرق التى سفع الحشام من لدغن شواظ

وإذا كانت القافية السابقة قد خرجت فى قصيدة مدح ، تألق صاحبها فى اختيار قوافيها إظهاراً لقدراته اللغوية ، فإن موقعاً آخر يخلو من التكلف عادة وهو الرثاء تحبب معه هو أيضاً قواف صعبة وما هو يرثى واحداً من أعز الناس عليه وهو عمه الحسين بن دريد الذى كفه ورباه وعلمه فتأتى النقطة على حرف الضاد :

نجم العلى بعدك منقضى وركنه الأوثق منهض

(٨٤) القصيدة فى مدح يحيى بن عبد الوهاب ، الديوان ص ٦٣ والجاذر أولاد البقرة الوحشية والفذ : الريش المحيط بالسهم ، والإعاط : الثقب الذى فى رأس السهم ، والسفع : الفلح بالشمس ، والشواظ : اللهب .

يا واحداً لم تبق لى واحداً
يرجى به الإبرام والنقض
أدبل بطن الأرض من ظهرها
يوم حوت جثمانه الأرض
ولى الردى يوم تولى به
ووجهه أزهر مبيض

والأبيات سلسلة رغم صعوبة القافية . ويبدو أن ابن دريد كان ولعاً بإظهار مقدرته الشعرية من خلال القوافى على نحو خاص ، وهو منزع كان سائداً فى العصر عند كبار الشعراء ، ولا ننسى أننا قرييون من عصر «اللزوميات» لأبى العلاء المعرى وهو النمط الذى يبلغ فيه الصراع مداه بين هاجس القافية وطبيعية الأداء ، والذين يعدون ذلك تكلفاً أو عرضاً فى الأداء الشعرى لا تتفق معهم حتى أكثر الدراسات الأوربية حداثة حول القافية . وشاعر السريالية الفرنسى المعاصر «أراجون» يقول : «إن القافية هى التى تملى على البيت مساره»^(٨٥) وكان ابن خلدون من قبل قد أشار إلى هذا المعنى بوضوح فى مقدمته^(٨٦) .

لقد كان التمكن من القافية واللعب بها محكاً يطرح عليه كبار الشعراء والعلماء فى العصر قدراتهم على إدارة الصراع الخفى فى البيت الشعرى بين الحفاظ على المعنى والوفاء بشروط الفن ومتطلباته ، ويحكى أبو العلاء موقفاً طريفاً فى رسالة الغفران يشير فيه إلى ظاهرة تتصل بالقافية والمقدرة على تقليبها ودلالة ذلك على التمكن من اللغة والسيطرة على شواردها ، فهو حين يقارن بين أنهار العسل المصفى فى الجنة وما عرفه الشعراء وما وصفوه من عسل الدنيا ، يورد أبيات النمر بن تولب التى تمتلئ فيها بحبوبيته «أم حصن» طعماً شهياً من العسل المصفى والدقيق الممزوج بالسمن حيث قال :

(٨٥) انظر الفصل الخاص بالقافية فى ترجمتنا العربية لكتاب «بناء لغة الشعر» لجون كوين - الطبعة الثانية ص ٨٤ الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ١٩٩٠ .

(٨٦) يقول ابن خلدون : «وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه يضعها وينى الكلام عليها إلى آخره لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها فى محلها «تاريخ العلامة ابن خلدون ص ١١٠٦ دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٢ .

ألم بصحبتي وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلًا مصفى إذا شاءت وحوارى بسمن

ثم أعقب البيتين بذكر حكاية خلف الأحمر مع أصحابه حولهما ، ومعناها أنه قال لهم : لو كان موضع «أم حصن» «أم حفص» ماذا كان يقول فى البيت الثانى^(٨٧) وبعبارة أخرى يدور التساؤل هل قدم لها حوارى «بسمن» لأن اسمها «أم حصن» ومن ثم فإن القافية هى التى حددت نوع الطعام ؟ وإذا كانت فكيف يكون الطعام لو أن اسمها ينتهى بالصاد ؟ أى كيف تؤثر القافية على نوع ما يقدم لها ؟ وقد سكت تلاميذ خلف الأحمر فيما يروى أبو العلاء فقال لهم : حوارى بلمص أى بالفالوذج ، ثم أعجبت اللعبة أبا العلاء نفسه فقرر أن يغير اسم الغبوبة على جميع حروف المعجم فتتغير القافية تبعًا لذلك ، ويتغير معها لون الطعام وسارت اللعبة على النحو التالى :

الاسم المقترح للمحبوبة	نوع الطعام المقدم
أم جزء	حوارى بكشء .. أى بلحم مشوى
	حوارى بنسء .. أى دائم الخير
أم حرب	حوارى بصرب .. أى بلبن حامض
	حوارى ببارب .. أى عضو من شواء
أم صمت	حوارى بكمت .. أى بتمر أسود
	حوارى بخمت .. أى بتمر شديد الحلاوة
أم شت	حوارى ببث .. أى بتمر متفرق
أم لج	حوارى بدج .. أى بفروج

(٨٧) رسالة الغفران ص ٢٢ .

حوارى ببح .. أى ببيض

أم شح

حوارى ببح

أم دح

وهكذا تسير اللعبة فيتغير اسمها مع كل الحروف فتكون أم سعد وأم عمرو وأم كرز .. إلخ ، وتتغير معها القافية وألوان الطعام ، وقد يأتي مع الحرف الواحدة بأربعة أو خمسة احتمالات .

وإذا كان خلف الأحمر هو الذى أثار اللعبة وأبو العلاء هو الذى أكملها فإن للرجلين صلة خاصة بشاعرية ابن دريد فأولهما كان يقارن به من حيث ازدحام العلم والشعر فى صدريهما ، وثانيهما - كما رأينا - هو الذى صعد بشعر ابن دريد إلى الجنة ونافس به شعر عدى بن زيد ، وإذا كان ما قدمه أبو العلاء من «بدائل» يصلح أن يكون اقتراحات يستفيد منها طلاب القافية من الشعراء فإن ابن دريد قدم من قبل التجربة الحية لهذه البدائل فى عمل فنى متكامل متوازن هو «المربعة» .

و «المربعة» التى يحتفظ بها ديوان ابن دريد عمل فنى هندسى محكم ، لم يشع فى الشعر العربى القديم ولم تقع لأحد غير ابن دريد على هذا النمط الموسيقى ، بل إن كثيراً من علماء العروض المعاصرين لم يصلوا إلى هذا الفن ولم يصنفوه بين الإمكانيات التى عرفها الشعر العربى لتنوع القافية ، وكذلك فعل كثير من مؤرخى الأدب الذين وقفوا أمام ألوان أخرى كالمزدوجات والخمسات والمسمطات والرباعى وعلاقة ذلك بالثنوى أو الدوبيت فى الأدب الفارسى^(٨٨) ، والتعريف الذى قدمه العروضيون المحدثون «للمربع» يختلف تماماً عما صنعه ابن دريد فى «المربعة» فالدكتور إبراهيم أنيس يعرف «المربع» بأنه^(٨٩) «ذلك الشعر الذى يقسم فيه الشاعر قصيدته إلى

(٨٨) انظر على سبيل المثال : د. محمد مصطفى هدار ، اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص ٥٧٤ وما بعدها - دار المعرفة الجامعية د.ت ، وانظر المراجع المثبتة به ونص ابن رشيقي الذى أورد عن ألوان التجديد .

(٨٩) د. إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ص ٣٣٦ دار القلم - بيروت د.ت .

أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر ويراعى الشاعر فى هذه الأشطر الأربعة نظاماً ما للقافية فقد تكون كلها مقفاة بقافية واحدة وذلك ما يسمى بالدوبيت .. وفى بعض الأحيان نرى الشطر الثالث من هذه الأشطر الأربعة مختلف القافية .

والواقع أن «مربعة» ابن دريد تختلف اختلافاً تاماً عن هذا النظام ولها نظامها الخاص ، الذى يمكن إجماله فى النقاط التالية :

١ - يتكون كل مقطع من المربعة من أربعة أبيات أى ثمانية أشطر .

٢ - يعتمد كل مقطع على قافية موحدة فى آخر الأبيات الأربعة وفى الوقت نفسه يلتزم المقطع بتكرير حرف القافية الذى اختاره فى أوائل الأبيات فيما يمكن أن يسمى بنظام «القافية المعكوسة» أى أن الأبيات الأربعة إذا كانت تتخذ حرف الهمزة قافية لها وتكرره فى نهاية الأبيات كما هو مألوف فى القافية العربية ، فإنها تلزم نفسها أيضاً بتكرير نفس الحرف فى أول كل بيت وذلك نوع من «القافية المعكوسة» ليس مألوفاً فى العربية وإن كان يحتمل أن يكون معروفاً فى لغات إسلامية شرقية أخرى .
وأحسب أن ابن دريد قد نقل هذه الظاهرة من لغات كان يعرفها ربما أثناء إقامته بخراسان خاصة .

٣ - تتوالى مقاطع المربعة على نظام توالى الحروف الأبجدية أى أن المقطع الأول يلتزم حرف الهمزة بدءاً وقافية ويلتزم المقطع الثانى حرف الباء بدءاً وقافية ، والثالث حرف التاء بدءاً وقافية ، ويلتزم المقطع الرابع حرف الثاء بدءاً وقافية .. وهكذا تصبح المربعة تسعة وعشرين مقطعاً أى مائة وستة عشر بيتاً .

٤ - يلتزم كل مقطع باتباع بحر معين ، لكن المربعة فى مجملها تنوع البحور ، وقد وردت فيها سبعة أبحر تفاوتت أنصبه المقاطع منها وجاءت منها على الخفيف ثمانية ، وعلى الطويل سبعة ، وعلى الكامل ستة ، وعلى المتقارب ثلاثة ، وعلى الوافر مقطعان ، ومقطع واحد على كل من المنسرح والرجز .

٥ - يدور محتوى المقاطع كلها حول شعر الغزل ، ويقدم كل مقطع فكرة مستقلة ليس لها بالضرورة علاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها إلا علاقة الخيط العام ومن خلال اتباع المربعة لهذا الهيكل المحكم تسير أبياتها على النحو التالي :

أبقيت لى سقمًا يمازج عبرتى	من ذا يلذ مع السقام لقاء
أثمت بى الأعداء حين هجرتنى	حاشاك بما يشمت الأعداء
أبكيته حتى ظننت بأننى	سيصير عمري ما حييت بكاء
أخفى وأعلن باضطرار أننى	لا أستطيع لما أجن خفاء



بقلبي لذع من هواك مبرح	نعم دام ذاك اللذع ما عشت للقلب
بك استحسنت نفسى الصباية والصبا	وقد كنت قبل اليوم أزرى على الصب
بذلت له الدمع الذى كنت صائئًا	لأدناه إلا فى الجليل من الخطب
بليت ببعض الحب والحب موعدى	مجاورة بعد المنية فى الترب



تمنيت المنية يوم قالوا	غداً مجموع شملكم شتيت
تعيش صبايتى وموت صبرى	ونفسى لا تعيش ولا تموت
ترأى لى الأسى فصدفت عنه	فقال إليك إنك لا تفوت
تكلم ماء عينى عن فؤادى	وقلبي من سجيته السكوت

وتتوالى مقاطع «المربعة» على هذا النحو ولا يبدو عليها كثير من الإرهاق رغم ما كبلت به نفسها من قيود ، وتظل ملامحها الخاصة وعلاقتها بأداب أخرى أو بروح الفن

الإسلامى فى عصرها أو بفلسفات التربيع وسرياتها فى كثير من ألوان الفكر للثك
العصر ، أو بفكرة «الدائرة المغلقة» فى الشعر والتي لا تتمثل فقط فى النظام الموسيقى
كما وضحته دوائر الخليل بن أحمد ، وإنما يمكن أن تتعداه إلى دوائر «الحروف» كالصنيع
الذى نراه هنا ، أو حتى بفكرة ترسيخ الترتيب الأبجدي لحروف اللغة وهى الفكرة التى
حمل لواءها ابن دريد المعجمى فى جمهرة اللغة عوضاً عن فكرة الترتيب اغرجى لها
والتي حمل لواءها سلفه الكبير الخليل بن أحمد ، تظل هذه الأفكار وعلاقة «المربعة»
بها قابلة لمزيد من النظر والتأمل والاستنتاج والتوسع .

لم تكن «المربعة» هى الفن الهندسى الوحيد الذى تمتعت به قصائد ابن دريد ،
لكنه عرف فنوناً أخرى أهدها للقصيد العربية فى عصرها الذهبى ، مثل فن «المثلثة»
ذلك الفن الذى يقوم على بناء القصيدة من مجموعة من مقاطع يتشكل كل واحد
منها من ثلاثة أشطر تقوم على قافية موحدة فيما بينها ، ويستقل كل مقطع من حيث
القافية عما يسبقه وما يلحقه ، وقد وردت فى الديوان مثلثة تتكون من واحد وثلاثين
مقطعاً بنيت جميعها على بحر الرجز ، واختلفت قوافيها على النحو الذى أوضحناه
واتخذت من الحكمة موضوعاً لها .

ويبدو أن هذا الفن بدوره أيضاً ليس شائعاً فى التراث الشعرى ، وأن ما شاع
قريباً منه كان لوناً من تثليث القافية فى «بيت الموشحة» السداسى حيث يساق البيت
فى الموشحة من ستة أشطر تكون الثلاثة الأولى منها ذات قافية واحدة والثلاثة الأخيرة
ذات قافية واحدة مثل قول الموشح :

كَلِمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حَرْقَى	غَادَرْتَنِي مَقْلَتَاءَ دَنْقَا
تَرَكْتُ أَخَافُهُ مِنْ رَمَقَى	أَثَرُ النَّمْلِ عَلَى صَمِّ الصَّفَا
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقَى	لَسْتُ أَخَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا

والدكتور إبراهيم أنيس - وهو عالم عروض متبحر - يعلن أنه لم يجد في الشعر العربي قصيدة تسير على نظام المثلثات ، ويقول : ^(١٠) وقد كنا نتوقع أن يروى لنا شعر كثير تلتزم فيه قافية خاصة من كل ثلاثة من الأَشطر ولكن مثل هذا النظام لا يكاد يرى إلا في صلب الموشحات .. ولهذا تتساءل : هل نظم الشعراء ما يمكن أن يسمى بالمثلثات ؟

ونحن نجيب الدكتور أنيس على تساؤله بنعم وها هو ابن دريد يقدم لنا هذه المثلثة المحكمة مسهماً بعباء آخر في غنى هندسة القصيدة العربية وموسيقاها ، يقول ابن دريد :

ما طاب فرع لا يطيب أصله حمى مؤاخاة اللثيم فعله
وكل من وأخى لثيمًا مثله

من أمن الدهر أتى من مأمته لا تستثر ذا لبـد من مكمنه
وكل شيء يبتغى في معدنه

لكل ناع ذات يوم ناعى وإنا السعى بقدر الساعى
قد يهلك المرعى عتب الراعى

وهكذا تستمر المثلثة كما قلنا واحدًا وثلاثين مقطعًا في نفس شعري صاف ، ومحتوى يذكر بالجانب الذى أشرنا إليه من ثقافة ابن دريد والمتعلق بحب الحكمة والإبحار بحثًا عنها حتى في الثقافات الأجنبية أو المترجمة كما تلمسنا ذلك من كتابه «المجننى» ، وهاهو يضيف إلى ما اختار نتاجه الشعري في عالم الحكمة مصوغًا في قالب موسيقى طريف، ومضيفًا إلى ذلك التراث الذى عرفه الشعر العربى منذ الجاهلية ، وأكثر منه الشعراء بدءًا من العصور التى ترجمت فيها كتب الأوائل وكتب الحكمة

(١٠) المرجع السابق ص ٢٢٥ .

خاصة عن الهندية والفارسية واليونانية وغيرها واشتهر بها شعراء منذ القرن الثاني^(٩١) مثل أبي بكر العرزمي ومحمود الوراق وصالح بن عبد القدوس الذى يمكن أن يتشابه نفس ابن دريد فى شعر الحكمة مع نفسه ومع تجربته فى الحياة والناس ، ويمكن أن يلمح ذلك فى مثل قول صالح بن عبد القدوس:

المراء يجمع والزمان يفرق	ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولأن يعادى عاقلاً خير له	من أن يكون له صديق أحق
فارغب بنفسك لا تصادق أحقاً	إن الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام إذا نطقت فإيما	يبدى عيوب ذوى العقول المنطق
وإن امرؤ لسعته أفعن مرة	تركته حين يُجر حبل يفرق

وقد كان حنّا ابن دريد - فيما بقى بين أيدينا من شعره فى الحكمة - حظاً عابراً لم يخصص له سوى المثلثة ، وجاءت أبياتها الأخرى متناثرة بين الأغراض المختلفة ، ولا شك أنه كان يدرك بالفطرة ما عبر عنه من بعد ابن رشيق القيرواني حين قال : « فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم فى الصناعة لإكثاره من ذلك » .^(٩٢)

(٩١) انظر حول شعر الحكمة فى القرن الثانى الهجرى ، د. محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربى فى

القرن الثانى الهجرى ص ٤٧٣ وما بعدها .

(٩٢) العمدة ١ : ١٩٣ نقلاً عن المرجع السابق .

المقصورة : قراءة جديدة

إذا كانت «المثلثة» قد قدمت شكلاً هندسياً غير شائع ، وكانت «المربعة» قد قدمت نمطاً في القافية المعكوسة والترتيب الأبجدي وطول النفس غير مألوف بدوره ، وقدمت كلتاهما إسهاماً في إثراء شكل القصيدة العربية ، فإن «المقصورة» دون شك قدمت نموذجاً في بناء القافية ، ظل على كثرة النماذج التي سبقتة أو حذت حذوه أشهر نموذج لقصيدة كتبت على هذا النحو ، بل لا نبالغ حين نقول : إن «مقصورة ابن دريد» واحدة من أشهر القصائد المفردة في تاريخ الشعر العربي ، وإذا استثنينا قصيدة في المديح النبوي كالبردة ومعارضاتها وتخميمساتها فإن القصائد المفردة الأخرى التي تقف في جانب المقصورة من حيث الشهرة والاهتمام على الأقل سوف تكون قليلة .

وقد يتساءل الإنسان : ما الذي أغرى الأجيال بهذه القصيدة ؟

هل لأنها تخدم هدفاً تعليمياً على نحو خاص ؟ وقد شاع إلصاق الصفة التعليمية بالمقصورة ، ربما لأنها كتبت وابن دريد يومها معلم ابن ميكال وإن كانت القصيدة تحمل من تعليم الحكمة أكثر مما تحمل من تعليم اللغة ، بل إن ابن دريد له «مقصورة» أخرى تتوجه وجهة خالصة لتعليم اللغة وهي التي وضعت في الديوان تحت عنوان «المقصور والممدود» وقد صدرت في طبعة مستقلة بعنوان «شرح المقصور والممدود لابن دريد»^(٩٣) في دمشق سنة ١٩٨٦م ، وفي هذه القصيدة الأخيرة تبدو النزعة التعليمية واضحة ، حيث الحديث عما يفتح أوله فيقصر ويمد والمعنى واحد ، أو ما يكسر أوله فيقصر ويفتح فيمد والمعنى واحد .. إلخ ومع ذلك فلم تكتسب هذه القصيدة شهرة «المقصورة» .

(٩٣) انظر دراسة حول هذا العمل للدكتور أحمد عبد اللطيف الليثي بعنوان : ابن دريد من خلال كتابه شرح المقصور والممدود منشورة في «معالجات الملتقى الأدبي في سلطنة عمان سنة ١٩٩٠ ص ١٢١ وما بعدها .

ومن ثم فإن الناحية التعليمية قد تقدم سبباً من أسباب شهرة القصيدة ولكنه لن يكون سببها الأول فضلاً عن أن يكون سببها الوحيد . هل القافية المقصورة وراء شهرتها ؟ قد يتساءل المرء عن سر الاهتمام بموسيقى القافية المقصورة لدى القدماء مع أنها في الواقع تقدم جرساً خافتاً بالقياس إلى الأحرف الأخرى كالسين والصاد والميم .. إلخ ، فعندما يستمع الإنسان إلى مثل :

يا ظبية أشبه شيء بالمها	ترعى الخزامى بين أشجار النقا
أما ترى رأسى حاكى لونه	طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض فى مسوده	مثل اشتعال النار فى جزل الغضا

عندما يستمع إلى مثل هذه الأبيات فإن رنين القافية عنده سوف يكون أقل ملاحظة من مجرد بيت واحد مصرع مثل :

يسعد ذو الجذ وبشقى الحريص	ليس خلقت عن قضاء محيص
---------------------------	-----------------------

ومع ذلك فقد ظلت القافية «المقصورة» ذات مذاق خاص وكأنها فى عالم القافية أشبه شيء «بالأرجوزة» فى عالم الوزن ، تنتمى إلى الكل لكنها تحتفظ بمذاقها الخاص ، وظلت المقصورات تروى فى المجالس وكتب النوادر ، وها هو أبو على القالى يروى أنه قرأ على أبى عمر فى نوادر ابن الأعرابى قال : أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابى لأبى صفوان الأسدى ^(٩٤) «مقصورة من ٦٦ بيتاً» :

نأت دار ليلى وشط المزار	فعيناك ما تطعمان الكرى
ومر بفرقتها بإرح	فصدق ذاك غراب النوى
فأضحت ببغدان فى منزل	له شرفات دوين السما

(٩٤) الأمالى ج ٢ ص ٢٣٧ .

وها هو المتنبي صوت الشعر العالى فى العصر وتلميذ ابن دريد يكتب مقصورته
فى هجاء كافور (٩٩) :

ألا كل ماشية الخيزلى فدا كل ماشية الهيدبى
وكل نجاة بجأوية خشوف وما بى حسن المشى
ولكنهن حبال الحياة وكيد العداة وميط الأذى

وتنظم مقصورة ابن دريد بين هذه المنظومات لكى تصبح ألقها وأشهرها .
وربما يكون اتساع البناء الفنى الداخلى للقصيدة وتماسك أجزائها على اتساع
رقعتها ، ذا أثر رئيسى فى الإعجاب المتجدد بها .

ذلك أن الشاعر نجح فى أن يجعل للقصيدة محورًا واحدًا رغم طولها ، وهذا المحور
هو شخصية الشاعر ذاتها التى قدمت بدورها تقديمًا غير مغطى ، فلم تعتمد على مجرد
الفخر والاعتزاز أو النصيحة والعظة وإنما اعتمدت على فكرة التجربة الغنية والملاحم
الخاصة وكسب التعاطف من خلال رسم ملامح الحن التى تعرض لها الشاعر فى
صورة مشاهد متوازية تصب بطرق مباشرة حينًا وغير مباشرة حينًا آخر فى الجرى
الرئيسى للقصيدة . ومدخل الشاعر الرئيسى أنه جنوبى مهاجر إلى الشمال وأن النأى
والنوى هى المأسى التى زادت قسوتها عنده على الشيب والجوى .

وضرم النأى المشت جذوة ما تأتلى تسفع أثناء الحشا
واتخذ التسهيد عينى مألفا لما جفا أجفانها طيف الكرى
فكل مالاقيته مغتفر فى جنب ما أساره شحط النوى

(٩٥) ديوان أبى الطيب المتنبي ، شرح أبى البقاء العكبرى ج ١ ص ٣٦ - مطبعة الحلبي - القاهرة ١٩٧١
والخيزلى مشى النساء والهيدبى مشى النياق التى يفضل منها الجأوية السريعة التى تصون الحياة وتدفع
كيد العدى .

لو لايس الصخر الأصم بعض ما يلقاه قلبى فض أصلاذ الصفا

وهذه النغمة التى ترد قرب بداية القصيدة بدءًا من البيت السابع وحتى البيت العاشر ، سوف تجد صداها قرب نهايتها وكأنها الجواب الذى ينتظر القرار ، والصوت الذى يبحث عن الصدى ، فيها هو بدءًا من البيت الرابع والثلاثين بعد المائتين ، يعود للحديث عن أسى ترك الوطن والرحيل عنه، يقول :

وسائلى بمزعجى عن وطن ما ضاق بى جنابه ولا نبا
قلت : القضاء مالك أمر الفتى من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألنى ، واسأل المقدار هل يعصم منه وزر أو مدرى
وإذا كانت القصيدة قد بدأت بصوت «الاغتراب» فقد سعدت أثره الممض على النفس فى لحظة معبرة :

لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاه بقطان لأصمانى الردى
لكنه ليس الانهيار وإنما هى نفثة مصدور .

لكنها نفثة مصدور إذا جاش لغام من نواحيها غما
وإذا كان التجلد والسمود يحتاجان للتأسى فإن الشاعر يورد صورًا من تجارب الذين عبروا المحن قبله ثم اجتازوا أو خانتهم الظروف ، واللافت للنظر أنهم جميعًا من عرب الجنوب تأكيدًا لوحدة ملامح الشخصية التى ترسم لبطل القصيدة وكل الأبطال يتحركون نحو هدف نبيل :

إن «امرأ القيس» جرى إلى مدى فاعتاقه حمامه دون المدى
وخامرت نفس «أبى الجبر» الجوى حتى حواه الختف فيمن قد حوى

وأبو الجبر هو أحد ملوك كندة ، وقد خرج إلى كسرى ليستنجد به على قومه ، كما كان امرؤ القيس قد خرج إلى قبصر ليطلب العون لأخذ ثأر أبيه ، وتنتهى قصتهما معاً بخيبة المسعى ، وتستمر غاذج أبطال الجنوب التى تقدمها المقصورة : ابن الأشج : عبد الرحمن بن الأشعث الكندى والى الحجاج على سجستان والثائر عليه .. والوضاح : جذية بن مالك بن فهم الأزدي قاتل أبى الزباء ، التى انتقمت منه بالخذية بعد أن تزوجته .. ويزيد بن المهلب : الثائر على بنى أمية والمستولى على البصرة منهم ، وقد دسوا من قتله .. وعمرو بن ربيعة : ابن أخت الوضاح ، وقد ثأر له من الزباء .

هذه النماذج كلها تتجمع فى حشد ملحمى من الماضى القريب والبعيد ، لكى تقدم عوناً للشاعر فى عزمه على المغامرة ، وتحمل قسوة الدهر ، ولا يسند الشاعر هذه النماذج إلى أصولها ولا يمتد بجذورها إليها فى شكل الفخر المباشر التقليدى ولكنه يتركها تمر أمام عيوننا وعند التأمل القليل ندرك أنها تحمل جميعاً ملامح موازية فهى كلها قادمة من الجنوب موطن الشاعر ساعية إلى غاية سامية متحملة دونها المشاق سواء حققتها أم عاقها المقدور .

وابن الأشج القليل ساق نفسه	إلى الردى حذار إشمات العدى
وأضرم الوضاح من دون التى	أملها ، سيف الحمام المنتضى
فقد سما قبلى يزيد طالباً	شأو العلى فما وهى ولا ونى
وقد سما عمرو إلى أوتاره	فاحتط منها كل على المستمى
فاستنزل الزباء قسراً وهى من	عقاب لوح الجو أعلى منتمى

وهكذا فإن موجة الأسى والاغتراب الأولى عادلته موجة من التأسى والمحاولة بكل نتائجها فاستقرت النفس فى حالة توازن :

ما اعتن لى يأس يئاجى همتى	إلا تحده رجاء فاكتمى
---------------------------	----------------------

وإذا كانت الحركة هي النغمة الأساسية التي سادت كل شخص القصيدة من البدء حتى الآن ابتداء بتغرب الشاعر ومروراً بأبطال التأسي المتحركين ، فإن الشاعر يقف أمام أهم وسيلتين للحركة في الصحراء القديمة ، الإبل والخيل ، ويرسم له في محبتهم مشاهد تصويرية دقيقة ، لكنه لا يسعى إلى رسم المشاهد في ذاتها وإنما إكمالاً للصورة المتحركة التي تحيط ببطل القصيدة ، وتختلف وسيلة الحركة ودرجة إيقاعها بحسب الهدف المنشود منها ، فحركة الإبل ترتبط بالحاج الورع الطائف وحركة الخيل ترتبط بالشاعر العاشق المحارب المغامر المادح الناصح الحكيم ، وترتبط كل الأوجه من خلال ضمير المتكلم الذي يوحدنا جميعاً ويردها إلى شخصية البطل محور القصيدة . والشاعر في كل الحالات ينجح في نزع القصص من محور الثرية والسرد إلى محور الشعاعية والتصوير ، وأي صورة أدق من هذه الديومة في حركة الإبل في الصحراء^(٩٦) .

يرسين في بحر الدجى وبالضحى يطفون في الآل إذا الآل طفا
أخفافهن من حفا ومن وجى مرثومة تخضب مبيض الحصا

وهذه الصور الهادئة الصبور للإبل تقود إلى مشاهد من المناسك التي تحتاج بدورها إلى الصبر الذي يقود إلى السكينة والهدوء ، لكن صور الخيل عندما تعقبها تتلاحق الأنفاس ويتطاير الشرر من الخوافر وتطوى المسافات بين الوهاد والقمم^(٩٧) .

يرضخ باليد الخصى فإن رقى إلى الربى أرى بها نار الحبا

ويتحرك الفارس عليه لا يهاب الموت نفسه ولو تجسد له ، ويروم حتى المهج التي تحميها الأقدار وتغدو المنايا طائعات أمره :

(٩٦) الآل السراب ، طفا : علا ، الحفا : رقة أخفاف الإبل من كثرة المشى ، الوجى : وجع يصيب الرجل

الخفاء ، مرثومة : مشقوقة من تأثير الحجارة والخصى .

(٩٧) يرضخ : يكسر ويهشم ، الحباء : السحاب المتراكم القريب من الأرض .

لو مثل الختف له قرناً لما صدته عنه هيبة ولا انثنى
ولو حمى المقدار عنه مهجة لرامها أو يستبيح ما حمى
تغدو المنايا طائعات أمره ترضى الذى يرضى وتأبى ما أبى
أما القوة والسرعة لفرس الشاعر ، فهما يرسمان مغلفين بمبالغة رقيقة ، لكن
الأسلوب الصورى الذى يلجأ إليه فى رسم هذه المبالغة يجعل جزئياتها تمر على العين
وكأن انتماء الفرس إلى عالم خيالى أمر لا غرابة فيه ^(٩٨).

لو اعتسفت الأرض فوق متنه يجوبها ما خفت أن يشكو الوجى
يجرى فتكبو الريح فى غاياته حسرى تلوذ بجراثيم السما
نظنه - وهو يرى محتجباً عن العيون إن نأى وإن ردى
إذا اجتهدت نظراً فى إثره قلت سننى أومض أو برق خفا

ويمثل هذه الصور الجيدة المبتكرة ردد الناس «المقصودة» أكثر من ألف عام ، وهل
يمكن أن تفلت من الإعجاب صورة الريح التى تحاول أن تلاحق الفرس فتكبو على
وجهها ثم تلوذ حسرة بالأتربة اغتمية بجذوع الشجر تدفن نفسها فيها وترضى بالهزيمة.
وإذا كانت الحركة هى محور القصيدة الرئيسى فإن هناك لوحات «سكون عابر»
لكنها تمر سريعاً من خلال مشهد حركة يسبقها أو يتلوها ، ومن اللافت للنظر أن تكون
اللوحات الرئيسية التى كان يظن دائماً أن القصيدة كتبت من أجلها وهى لوحة مدح أبناء
ميكال ، تنتمى إلى هذا اللون وتمر عابرة بالقياس إلى التأتى والنفس الطويل الذى
تشهده اللوحات الأخرى ، لقد استغرق مدح أبناء ميكال خمسة عشر بيتاً فقط
(الآيات ١٠٢ - ١١٦) من بين مائتين وستة وخمسين بيتاً هى حجم القصيدة ،

(٩٨) اعتسفت : قطع الأرض دون رفق بالفرس ، الوجى : وجع يصيب الدابة من كثرة المشى ، تكبو : تتعثر
لوجهها ، الجراثيم : الأتربة المتجمعة ، السحا : نوع من الشجر البرى . ذأى وردى : جرى جرىاً سريعاً.

وحوصرت هذه الأبيات بدورها بين مشهدين متحركين يمثل أولهما الأبيات التى أولها:
إن العراق لم أقارق أهله عن شنان صدنى ولا قلى

وهى تشمل الأبيات (٩٧ - ١٠١) ويمثل الثانية الأبيات التى أولها :

إن الألى فارقت من غير قلى ما زاع قلى عنهم ولا هفا

وهى تبدأ بعد مشهد المديح مباشرة من البيت (١١٧) وتمتد لكى ترسم لوحة «العاشق» المتممة للوحة الفارس ، ويرتبط العشق عنده بالبصرة ودروبها وأحيائها ووديانها ، وعلى البعد يحىء الماء بالرى والسقى فى مشاهد تسمح للصورة المكثفة المركبة بالعودة من جديد ، بعد أن كانت لوحة المديح العابرة قد جنحت إلى لقطات الصورة العابرة المتفرقة ، ومع أن مشهد السقى يدور فوق سماء البصرة فإنه يرتبط بالريح «الجنوبية اليمانية» التى تعيد الرمز من جديد إلى محوره ^(٩٩) الجوهري :

جون أعارته الجنوب جانباً	منها وواصت صوبه يد الصبا
نأى يمانياً فلما انتشرت	أحضانها وامتد كسراه غطا
فجلل الأفق فكل جانب	منها كأن من قطره المزن حبا
وطبق الأرض فكل بقعة	منها تقول الغيث فى هاتا ثوى
إذا خبت يروقها غنت لها	ريح الصبا تشب منها ما خبا
وإن ونت رعوده حدا بها	حادى الجنوب فحدث كما حدا

إن البيتين الأخيرين من هذا المقطع وهما يمثلان حركة السحاب الدائبة تحت دوافع ريح الصبا وحداء الجنوب يكادان يعكسان حالة ابن دريد نفسه البطل الجنوبي

(٩٩) الجنون : السحاب المتراكم ، واصلت : واصلت ، كسراه : أطرافه ، غطا : انسط وامتد ، جلل : غطى ، حبا : امتلا قريبا من الأرض ، هاتا : هذه ، ثوى : أقام ، حدا : ساقها بالحداء والغناء .

الذى يستمد دوافع الحركة والعطاء عنده من حميا المواطن الأصلية ومناخ المهجر
 الخصب ، وربما يكون هذا هو الجسر الفنى الذى يجعل الشاعر يستطيع العبور من
 «اللوحة الموازية» إلى اللوحة المباشرة حين تسوقه هذه الصورة إلى صورة الرجل المتجلى .
 والتى تبدأ هذه المرة بضمير المتكلم «الأبيات ١٤٥ - ١٥٧» .

لست إذا ما بهرتنى غمرة ميمَن يقول : يبلغ السيل الزبى
 وتنتهى بصورة المعتدل المتسامح الصائن للعرض (١٠٠) :

إذا امرؤ خيف لإفراط الأذى لم يخش منى نزق ولا أذى
 من غير ما وهن ولكنى امرؤ أصون عرضاً لم يدنس الطخا
 وصون عرض المرء أن يبذل ما ضن به بما حواه وانتصا

لكنها صورة يتخذها مرة أخرى جسراً فنياً ولغوياً يعبر به من الحديث عن الذات
 إلى الحديث عن الغير ، وهو يستغل هنا الانزلاق من «امرؤ» إلى «المرء» ليدخل فى
 الدائرة العامة ومن ثم يسوق مجموعة من شعر الحكمة الأبيات ١٦١ - ١٧٤ «ربما كانت
 فى ذاتها من الأهداف التعليمية الرئيسية للقصيدة ، لكن المرء يشعر فور وصوله إلى
 هذه الأبيات أنه لامس مياهاً مختلفة ، خفت فيها حدة الموج ورهبة البحر وتلبذ الغيوم
 التى كانت تعبر عنها كثافة الصورة الماضية وتعقد أطرافها ، ونجدنا مع شعر الحكمة قد
 انتقلنا إلى الصورة المفردة والجملة التقريرية والمعنى الواضح :

من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعز عنه جانباه واحتسمى
 من لم يعظه الدهر ، لم ينفعه ما راح به الواعظ يوماً أو غدا
 من لم تفدده عبراً أيامه كان العمى أولى به من الهدى

(١٠٠) الطخا : العيب ، حواه : جمعه وملكه ، انتصى : اختار واجتنبى .

وبعد أن تأخذ الحكمة مداها خلال هذه الجولة الطويلة من الأبيات الهادئة ، تعود من جديد موجة «الصورة المتحركة» تهدر شيئاً فشيئاً لكى تعيد مناخ السفر والتجوال والجنوب والشمال والوطن والحنين والشعر والمغامرة ، وتبدأ هذه الجولة الأخيرة بصورة شاعرية لسفر الرفاق وإناختهم طلباً للراحة ، وقد أناخ الليل معهم وسامرهم النوم فسامروه ، وظلت إيلهم مسترخية لا تصنع أكثر من أن تنبش أوكار عصفير الليل ، وهذا كل شيء ، فلا يفد على السمع إلا صوت بومة تصيح أو صدى صوت متفرد يمزق الصمت .

وفتية سامرهم طيف الكرى فسامروا النوم وهم غيد الطلى
والليل ملق بالموامى بركه والعيس ينبش أنفاحيص القطا
بحيث لا تهدى لسمع نبأة إلا تثيم اليوم أو صوت الصدى
قلت لهم : إن الهوينى غبها وهن فجدوا تحمدوا غب السرى
وهو من هذا البيت يعبر إلى الحركة ومن سكينه الليل ودعته إلى ضوضاء النهار
وحره ويستقبل الصحراء بعدته التى أشار إليها من قبل ، بحصانه النجيب الذى يمر
دون هيبة فى كل أرجاء الصحراء :
والشخص فى الال يرى لناظر ترمقه حيناً وحيناً لا ترى
وتبلغ الرحلة باليوم مداه الذى تصوره اللقطة الشعرية الجيدة :

أوفيت والشمس تيج ريقها والظل من تحت الخداء يحتذى
ويعود إلى الوحدة وسكون الليل ، وإبقاء النار التى تحذب نحوه طارقاً غريباً نافراً
يأنس بالذئب إذا عوى ويحتقر هول دجى الليل ويبدو للشاعر كأنه من روى الأحلام
ويتساءل أى ربح ألفت إلى «فارس» وقفارها بهذا الغريب العربى ، وسيقودنا التأمل فى
ملاحم هذا الطارق النافر ومن خلال اتباع منهج المزج بين «اللوحه الموازية» و«اللوحه

المباشرة» إلى أن هذا الطارق المواجه للشاعر «فى رؤى الأحلام» ليس إلا الشاعر نفسه الذى يعود إلى ضمير المتكلم ليتحدث عن وطنه والدوافع التى أزعجته عنه مع أنه لم يصدق به ، ولننظر إلى الأبيات التى تمثل هذه الصورة المكثفة العميقة :

وطارق يؤنسه الذئب إذا	تصور الذئب عشاء وعوى
أوى إلى نارى وهى مألّف	يدعو العفافة ضوءها إلى القرى
لله ما طيف خيال زائر	نزقه لقلب أحلام الرؤى
يجوب أجواز الفلا محتقراً	هول دجى الليل إذا الليل انبرى
سائله إن أفصح عن أنبائه	أنى تسدى الليل أو أنى اهتدى
أو كان يدرى قبلها ما «فارس»	وما مواميتها القفار والقرى
وسائلى بمزعجى عن وطن	ما ضاق بى جنبه ولا نبا
قلت القضاء مالك أمر الفتى	من حيث لا يدرى ومن حيث درى

وهكذا يقوده المطاف إلى «وطنه» البعيد الذى أزعجته المقادير عنه والذى كان قد بدأ به قصيدته ليحدث نوعاً من الترابط المحكم فى أرجاء القصيدة الواسعة ، حول وحدة شخصية الجنوبي الطموح المغامر الفارس العاشق ، الحكيم . وكل ذلك من خلال منطلق الشعر وأدواته وكثافة الصورة حياً ، وخفتها حياً آخر وظهورها فى كتل متراصة تارة ، وفى أحاد منفردة تارة أخرى ، تبعاً لإيقاع النفس ودرجة الحس ، وإشارات الشاعرية الصناع . وكل ذلك هو الذى ضمن لمقصورة ابن دريد هذا الحظ الوافر من الشهرة والذيق والتأثير .

قد يتسع الحديث إذا امتد بنا إلى بقية نتاج ابن دريد الشعرى من حيث البناء الفنى واللغوى ، ومن حيث العوالم التى يستثيرها فى نفسه ويطبّعها فى نفوسنا ونحن

لم نعلم إلى الوقوف خاصة أمام شعر ابن دريد الذي يغرى بالتناول إلا من خلال موقعه من تكون ثقافته وأثرها على تطور النص ، ولعل هذا الوقوف المفصل أمام أطول قصائد ابن دريد وأشهرها جعلنا نأخذ حسوات كافية من ماء تلمسنا مذاقه وشارفنا جانباً من خصائصه وروافده ونأمل أن يكون قد أحدث في نفوسنا بعض الرى .

ابن دريد الأديب الناثر
الخصائص الفنية لأحاديث ابن دريد

ابن دريد الأديب الناصر

الخصائص الفنية لأحاديث ابن دريد

برغم طول باع ابن دريد في مجال اللغة ، وأخذه لزعامة مدرسة البصرة ذات الاتجاه النحوى اللغوى الواضح ، وبرغم تخرجه على يد شيوخ اللغة فى عصره وتخرج أئمة النحو واللغة على يديه ، برغم هذا كله فقد كانت سمته الأدبية شديدة الوضوح ، وعد فى عصره من كبار من يؤخذ الأدب على يديهم ، ومن الشائع فى تراجم ذلك العصر أن يقال إن فلاناً رحل إلى البصرة أو بغداد فسمع الحديث من فلان وقرأ النحو على فلان وأخذ العربية والأدب من ابن دريد ، وقد انتهى معاصروه وتلاميذه - كما سبقت الإشارة - إلى القول بأنه رجل ازدحم العلم والشعر فى صدره ، وإذا كان أبو حيان التوحيدى قد حيرهم بتفوقه فى مجالى الفلسفة والأدب معاً فعدوه فيلسوف الأدياء وأديب الفلاسفة فقد كان لابن دريد الشأن ذاته فى تفوقه فى مجالى الأدب والعلم معاً فهو من هذه الناحية أديب العلماء وعالم الأدياء إذا كان لايد من التصنيف .

والذى يلاحظ على بعض معاجم الأدب التى تكتب باللغات الأجنبية حين تعرضها للأدياء العرب وهى تستصفى من كل أديب خلاصة ما يمكن أن يقال عنه فى سطور معدودة ، أنها حين تستصفى ما يقال عن ابن دريد تضع أدبيته فى صدر ما يذكر حوله ، يذكر فيليب فان تيجم فى معجمه الفرنسى عن الآداب أن ابن دريد «الذى عاش من عام ٨٣٧ م إلى ٩٣٣ م كان لغوياً شاعراً أديباً عربياً ، وأنه مؤلف قاموس وعدة أعمال لغوية ذات صلة شديدة بالأدب»^(١٠١) .

(101) PHILIPPE VAN TIEGHME DICTIONNAIRE DES LITTÉRATURES TOM II P.
1912 PUF PARIS 19688.

وأدبية ابن دريد يمكن أن يلتقى بها المرء في كثير من مؤلفاته ، وحتى المؤلفات ذات الصبغة اللغوية الخالصة ، نجدها مليئة بالمادة الأدبية التي ترفدها والتناول الأدبي الذي يؤولها ، لكننا سنكتفى فقط بالوقوف أمام الأدب الخالص المتمثل في النصوص النثرية الإبداعية المنسوبة لابن دريد ، كما وقفنا أمام جانب من نصوصه الشعرية من قبل .

ولا شك أن أشهر النصوص النثرية لابن دريد هي «أحاديث ابن دريد» التي نقل بعضها منها تلميذه أبو علي القالي فيما أملاه على الأندلسيين في كتاب الأمالي .

وغالب الظن أن هذه الأحاديث لم يصل إلينا منها إلا قدر يسير ، وأن كثيرًا منها لم يدون أصلاً أو دُوِّن وضاع فيما ضاع من تراث ابن دريد ، والذي يحملنا على هذا الظن هو ما يلي :

١ - أنه ليس بين يدينا من بين كتب ابن دريد كتاب دون فيه أحاديثه أو حكاياته التي لا نعلم من أي فترة من العمر بدأ يصوغها ، والتي تدل صياغة ما بقى منها على أنها كانت جزءاً من نسيج الرواية الأدبية واللغوية عنده أو جانباً من طريقته في الدرس ، وكلا المظهرين امتدا في حياة ابن دريد فترة ، لنقل على الأقل أنها شغلت معظم النصف الثاني من عمره من نحو سنة ٢٨٠ إلى ٣٢١ هـ .

٢ - أن ما وصلنا من هذه الأحاديث وصل مدوناً في أمالي أبي علي القالي ، الذي «أملاه من حفظه» كما قال ، في دروس الخميس بمسجد قرطبة والمسجد الجامع بالزهراء وقد وصل القالي إلى بغداد عام ٣٠٣ هـ ، في حين مات ابن دريد عام ٣٢١ هـ أي أن الفترة التي يحتمل فيها لقاء التلميذ بالأستاذ ، ثم إعجابه بالطريقة ، ثم اشتداد الصلة ، ثم التدوين فترة لا تتجاوز الخمسة عشر عاماً بكثير ، أي أنها أقل من نصف الفترة التي قضاها ابن دريد محاضراً في حلقات الدرس وروياً لأتار القدماء وأحاديثهم .

٣ - ذكر عن هذه الأحاديث أنها «أربعون حديثاً» لكن هذا التحديد لا ينبغي أن يخدعنا ، ولا أن يفهم منه الرقم على حقيقته ، ولنعد إلى أقدم نص ورد فيه هذا التحديد ، فقد ذكر أبو إسحاق بن علي الحصري القيرواني ، المتوفى عام ٤٥٣هـ في كتابه «زهر الآداب» عند حديثه عن بديع الزمان الهمداني ما يلي : ^(١٠٢) «ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنتجها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر وأهداها للأفكار والضمائر في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية فجاء أكثر ما أظهر تنبو عن قبوله الطبايع ، وكلا ترفع له محبتها الأسماع ، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمئة مقامة في الكدية تدوب ظرفاً وتقطر حسناً لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى ، وعطف مساجلتها ووقف مناقلتها بين رجلين سمى أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح السكندري ، وجعلهما يتهاديان الدر ويتنافثان السحر في معان تضحك الحزين وتحرك الرصين».

ولقد ورد في هذا النص أن أحاديث ابن دريد «أربعون» وأن مقامات بديع الزمان «أربعمئة» وكان بديع الزمان نفسه قد أشار إلى أنه أملى في الكدية «أربعمئة مقامة لا مناسبة بين المقامتين لا لفظاً ولا معنى» وأشار مرة أخرى في رسائله إلى أنه يقدر على «أربعمئة صنف من الترسيل» ^(١٠٣) وهذه الإشارات التي أخذ بها الحصري هي التي حيرت الشيخ محمد عبده عندما حقق مقامات الهمداني ولم يجد العدد المطلوب وأشار إلى ذلك في المقدمة : «وقد قالوا إنه أنشأ من المقامات زهاء أربعمئة مقامة ،

(١٠٢) زهر الآداب وثمر الآليات لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، مفصل ومفبسط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ص ٣٠٥ - الطبعة الرابعة ١٩٧٢ دار الجيل - بيروت .
(١٠٣) رسائل البديع ص ٧٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٥١٦ ، نقلًا عن الخسارة الإسلامية في القرن الرابع ص ٤٤٢ .

لكن لم يظفر الناس منها اليوم بغير عدد قليل ينيف على الخمسين ، طبع مجموع فى الأستانة العليا» (١٠١) .

والواقع أن رقم الأربعمئة عند البديع غير دقيق وقد أشار إلى هذا آدم ميتز فى عبارة خاطفة عندما قال : «وينبغى ألا تعتبر الأربعمئة رقمًا دقيقًا» (١٠٢) فلم تكن هناك فى الحقيقة أربعمئة مقامة ، ولكن كانت هناك مقامات كثيرة ، ولم يكن هناك أربعمئة صنف من الترسل ، وإنما كانت هناك أصناف كثيرة ، وبالمثل فلم يكن هناك أربعون حديثًا لابن دريد ، وإنما كانت هنالك أحاديث كثيرة ، ومفهوم الأرقام فى اللغة العربية (١٠٣) يسمح باستخدام أعداد معينة للدلالة على المبالغة لا على التحديد المطلق مثل رقم السبعة ورقم السبعين ، وقد جاءت فى القرآن الكريم آيات مثل : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ وهناك اتفاق على أن السبعين هنا تعنى الكثرة دون التحديد ، ويبدو أن الأربعة ومضاعفاتها فى اللغة تعطى أيضًا هذا الانطباع ، والآثار التى تحض على صلاة العشاء والفجر فى جماعة «أربعين ليلة متوالية» يفهم منها الحض على الإكثار دون التوقف عند الليلة الواحدة والأربعين ، والتراث الشعبى ما زال يحمل كثيرًا جدًا من دلالات المبالغة فى رقم الأربعة ومضاعفاتها وعندما تسمى إحدى الزواحف بأنها «أم الأربعة وأربعين» فإن الدلالة هى كثرة أرجلها لا حصر عددها ، وعندما تتحدث القصص الشعبية عن «على بابا والأربعين حرامي» فمعنى الكثرة وحده هو المفهوم .

ولا شك أن هذا هو المعنى الذى فهم فى القرن الرابع عندما سار بأن لابن دريد

(١٠٤) مقامات أبى الفضل بديع الزمان الهمذاني وشرحها للعلامة الفاضل الشيخ محمد عبده المصرى ص ٦ - الدار المتحدة للنشر - بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ م .

(١٠٥) هامش ٢ ص ٤٤٢ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع .

(١٠٦) حول دلالات الأعداد على المبالغة فى اللغات والأدب العالمية ، انظر كتابنا نظرية الأدب المقارن وتجلياتها فى الأدب العربى ، ميحت «ألف ليلة وليلة» - مكتبة غريب - القاهرة سنة ٢٠٠١ م .

«أربعين حديثاً» أى أحاديث كثيرة ، فجاء الهمداني لكى يقول أنا لى عشرة أمثالها
«أربعمائة حديث» وصنوف الترسل عندى لا نهاية لها تضم أربعمائة صنف .

وعلى هذا النحو فقد أتعب الشيخ محمد عبده نفسه حين أخذ ينتظر بقية
المقامات الأربعمائة ، وأنعينا نحن أنفسنا أيضاً حين أخذنا نعد فى أمالى القالى
الأحاديث الأربعين فوجدناها لا تقف عند هذا العدد ولا تنحصر فيه ، وإنما تدل فقط
على كثرة ما كان لابن دريد من أحاديث وصل إلينا قدر منها على يد تلميذه أبى على
القالى وكذلك صنع الدكتور شوقى ضيف حين ربط بين تأليف بديع الزمان لمقاماته
والدروس التى كان يلقيها على الطلاب فى نيسابور وهى دروس يظن الدكتور ضيف
أنها كانت أحاديث ابن دريد : «ونظن ظناً أنه كان يعرض عليهم أحاديث ابن دريد
الأربعين التى اتجه بها إلى غاية تعليم الناشئة أساليب العرب ولغتهم» لكن هذا الربط
الذى صنعه يجعله يحار فى كيف يصنع الهمداني أربعمائة مقامة فى معارضة «أربعين
حديثاً» وربما كان ذلك غلطاً من ناسخ الرسائل ، فمجرد معارضة بديع الزمان لابن دريد
فى أحاديثه الأربعين يقتضى أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضاً ، ويظهر أنه صنع
فى نيسابور أربعين مقامة فقط ، ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخر بعد مبارحته لها ،
فزاد ستاً فى مديح خلف بن أحمد أثناء نزوله عنده كما زاد خمساً أخرى وبذلك
أصبحت المقامات ثيقاً وخمسين» (١٠٧) .

وهكذا فإن فهم العدد على حرفيته هو الذى دعا إلى ضرورة افتراض المطابقة
بين الأعمال التى فيها معارضة ، وإلى افتراض خطأ النساخ فى نقل العدد وكتابته ،
غير أن كتاباً آخرين يتجهون إلى عدم صحة العدد بالمعنى الحرفى ؛ يقول مارون عبود

(١٠٧) د. شوقى ضيف : المقامة ص ١٦ وما بعدها سلسلة فنون الأدب العربى الفن القصصى - دار المعارف
القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٨٠ .

عن الهمذاني : «وفى نيسابور أُملى مقاماته المشهورة ، ويزعم المؤرخون أنها أربعمائة عددًا ولكن هذا غير صحيح لم يقل بهذا غير الهمذاني نفسه» (١٠٨) .

نحن إذن أمام فن نثرى لابن دريد هو الأحاديث ، كتب منه قدرًا كبيرًا ووصلنا جانب منه ، ومن خلال هذا الذى كتبه نشأ فن المقامة عند العرب على يد بديع الزمان متأثرًا بابن دريد ، وامتد فن المقامة بدوره من البديع إلى الحريري وغيره من الكتاب العرب ، ثم انتقل إلى الأدب الفارسى وترك بعض آثاره فى الآداب الأوروبية وفى فن القصص خاصة (١٠٩) .

ويقتضى الإنصاف العلمى إلى أن يشار إلى من كان له الفضل فى الإشارة إلى الصلة بين أحاديث ابن دريد وفن المقامات وهو الدكتور زكى مبارك . والظروف التى قادت زكى مبارك إلى كشف هذه الصلة ، يمكن تلمسها من خلال تاريخ مؤلفاته ، فقد وقعت طبعة قديمة من كتاب زهر الآداب للحصرى فى يد زكى مبارك وكانت مطبوعة على هامش كتاب العقد الفريد من غير ضبط ولا شرح ، وقد وصفها زكى مبارك حين قال : «وكان يكفى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثلاً فى المسخ والتشويه» ودخلت هذه النسخة المعتقل مع زكى مبارك عام ١٩٢٠ م ، حين قضى به تسعة أشهر (١١٠) قرأ خلالها الكتاب وعنى بضبطه وتصحيح أخطائه تمهيدًا لإصداره سنة ١٩٢٥ م ولا شك أنه خلال ذلك تنبه لنص الحصرى الذى نبه فيه إلى العلاقة بين الأحاديث والمقامات .

(١٠٨) مارون عبود : بديع الزمان الهمذاني ص ١٨ سلسلة نواحي الفكر العربى - الطبعة الخامسة - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٠ .

(١٠٩) لمزيد من التفصيل حول هذه القضية انظر د. غنيمي هلال ، النقد الأدبى الحديث ص ٤٩٦ وكذلك كتابه الأدب المقارن ص ٢٢٣ وما بعدها ، وانظر كذلك د. شوقي ضيف : المقامة ص ١٦ وما بعدها ، وزكى مبارك : النشر الفنى فى القرن الرابع ص ٢٤٨ ، وبروكلمان فى دائرة المعارف الإسلامية مادة مقامة . (١١٠) انظر مقدمة الطبعة الأولى لزهر الآداب .

ثم سافر مبارك بعد ذلك إلى فرنسا ، وهناك أعد رسالة لدكتوراة الدولة حول النشر الفتى فى القرن الرابع الهجرى نوقشت عام ١٩٣١ م وأثار خلالها الصلة التى تضمناها نص الحصرى وسبق ابن دريد إلى هذا الفن ، وقد نبهه أستاذه ديمومينى إلى أن المستشرق الألمانى بروكلمان سبقه بإشارة إلى نفس الصلة فى مقال له بدائرة المعارف الإسلامية ، وعاد مبارك إلى مقال بروكلمان ونقل فى كتابه - النص الفرنسى لإشارة بروكلمان وترجمته : «أى أن الهمدانى يكون قد استوحى الأربعين لابن دريد ونحن لا نستطيع أن نصدر أى حكم بهذا الشأن ، لأن هذا الكتاب لم يصل لنا» .

وإذن فيروكلمان كان بدوره قد قرأ فى كتب الأدب العربى القديم عند الحصرى أو غيره عن احتمال وجود العلاقة بين الأحاديث والمقامات ، وتولى زكى مبارك التركيز على القضية والإشارة إلى نص الحصرى وإثارة بعض التساؤلات حول أوجه الربط والتشابه .

ولكن ما هى أهم نقاط المشابهة والمقارنة بين أحاديث ابن دريد ومقامات البديع ؟

إن الباحث يمكن أن يعتمد على كتاب الأمالى لأبى علي القالى ، وهو مكتظ بالرواية عن ابن دريد لتتكون لديه صورة معقولة عن عالم أحاديث ابن دريد ودوافعه وأبطالها ولغتها والهدف منها ، وهى صورة وإن لم تكن كاملة فإنها يمكن أن تكون معبرة يشير الجزء الوافى المطروح بين أيدينا إلى الكل «الغائب» وقد اعتمدنا فى رسم ملامح الصورة على نحو مائة وتسعين رواية أوردها القالى لابن دريد تتنوع ما بين خبر وحديث ، ووضعنا فى الاعتبار كمًا آخر أورده القالى تحت عنوان أنشدنا أبو بكر أو قرأت على أبى بكر وما يرد تحت هذا العنوان يتضمن غالبًا نصوصًا شعرية تعقبها تفسيرات لغوية وقد تجر بدورها إلى سرد خبر أو حديث .

لكننا قبل أن نبدأ فى رسم ملامح هذه الصورة نود أن نشير إلى حديث منفرد

من أحاديث ابن دريد لم يشر إليه صاحب الأمالي ، وإنما أشار إليه زكى مبارك نقلاً عن جامع ديوان أبي نواس ، وهو حديث يحمل قدرًا كبيرًا من الفكاهة والدعابة وإشارات إلى البادية والعشق ، وهي ملامح تميز بها النثر في تلك الفترة وحملتها ألوان كثيرة منه ، ويدور هذا الحديث حول حج أبي نواس لبيت الله الحرام وما يثيره هذا الموضوع من تصور المقارقات بين العاشق الماجن والحاج الورع في نفس أبي نواس .

ويدور حديث ابن دريد حول ما عرض لأبي نواس أثناء رحلة الذهاب إلى الحج حين انهمر المطر غزيرًا في أرض بنى فزارة فلجأ أبو نواس إلى الخيام فإذا جارية حسناء مبرقة تنظر إليه بجفن ساحر وإذا هو يحدثها تنتنى وتندلل وهي تقدم له الماء فينسى أبو نواس ورع الراحل إلى الحج ويدخل معها في غزل مكشوف وهي تُطعمه قليلًا حتى يدق طبل الرحيل فيرحل وفي قلبه حسرة وعزم على المعاودة أثناء الرجوع من الحج وهو عزم لم يثنه عنه أداء مناسك الحج فمر على الخيام في طريق العودة ، وأعاد المحاولة ولكنها انتهت بخيبة أمله^(١١١) .

وإذا انتقلنا بعد هذا إلى ما رواه صاحب الأمالي فإننا سنجد الأحاديث في مجملها تنزع منزعًا تعليميًا لغويًا بمعنى أنها تسوق الحكمة أو النادرة أو الطرفة في قالب لغوي يستدعي غالبًا من سامعه أن يسأل عن كثير من معاني ألفاظه بعد أن يكون قد أحاط بالخيوط العام أو الرواية ، وهنا يأتي دور العالم اللغوي ابن دريد ، فيظهر خبرته الواسعة في فهم الألفاظ وتصريفها والمعرفة بالأخبار وتأويلها ، وهذا الهدف في ذاته ، جعل كثيرًا من هذه الأخبار يصاغ في لغة تجنب إلى الغريب ، وهو مستوى لغوي كان أهل القرن الخامس الهجري أنفسهم يعتبرونه غريبًا ، ولعل ذلك يفسر عبارة الحصري في النص الذي أشرنا إليه : «في معارض أعجمية وألفاظ حوشية فجاء أكثر ما أظهر

(١١١) انظر القصة في : العقد الفريد لابن عبدربه ج ٦ ص ٣٠٤ وما بعدها ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، تقديم خليل شرف الدين - بيروت ١٩٨٦ م . ويلاحظ أنه لم تأت في رواية العقد الفريد الإشارة بوضوح إلى ابن دريد على أنه صاحب الرواية ، وإنما أشير إلى أبي بكر ، وكذلك فعل صاحب حدائق الأزهار ... وفي المسألة إذن نظر .

تنبؤ عن قبوله الطبايع ولا ترفع له حججها الأسماع» ومع أن الهمذاني بنى مقاماته المعارضة لابن دريد على أساس تلافى خاصة «الإغراب» فإنه لم يتقدم كثيرًا إذ ظلت مقاماته هو أيضًا مليئة بالغريب، بل ظلت الغرابة والبحث عن تفسيراتها وما يتبع ذلك من هدف تعليمي سر بقاء المقامات زمنيًا طويلًا من ناحية وسر انكماشها وعدم تطورها من ناحية أخرى، ومن هنا فإن المقامات تعتبر امتدادًا للأحاديث من حيث الهدف التعليمي والمستوى اللغوي حتى وإن اختلفت الدرجة قليلًا هنا أو هناك.

أما الإطار الذي قدمت فيه كل من الأحاديث والمقامات فقد اختلف قليلًا وساعد ذلك على تطور أسرع ونمو أكبر للمقامات، وإن كان هذا الاختلاف يضع إطارهما من الناحية الفنية على سلم تطوري واحد، ذلك أنه يمكن وصف إطار الأحاديث بأنه «إيهام بالصدق» على حين أن إطار المقامات يوصف بأنه «تصريح بالخيال»، فقد كان ابن دريد يصدر كل خبر أو حديث بسلسلة من الرواة وهي سلسلة تبدأ بأناس معروفين وتنتهي بأناس معروفين أحيانًا ومجهولين في أكثر الأحيان، فالقائل يصدر أحاديث ابن دريد بأسانيد على هذا النحو :

١ - «حدثنا أبو بكر رحمه الله قال : أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيًّا ..»

٢ - حدثنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرني عمه عن أبيه عن ابن الكلبي قال : وفد عليه بن مسهر الحارثي والمنتشر أحد فوارس الأرياح إلى ذي قانش الملك الحميري ..»

٣ - حدثنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا الرياشي عن ابن سلام قال : بلغني أن الأحوص دخل على يزيد بن عبد الملك ..»

هذه هي الأنماط الثلاثة التي تدور غالبًا حولها الأحاديث وكلها تبدأ برواة معروفين لكنها تنتهي بمرؤس عنهم تختلف درجاتهم، فقد لا يحظى بأى درجة من التعريف مثل «أعرابي» أو «امرأة من العرب» أو «غلام يصف دار أبيه» أو «غلام يمتنى

يصف عنزة ضائعة» وهى أوصاف لا تقدم أى تحديد ، وتشيع فى الأحاديث ومثل النمط الأول من الرواية .

أما النمط الثانى من الأحاديث فهو ينتهى بشخصيات نصف أسطورية مثل ذى قانس الملك الحميرى وحديث علبة بن المسهر والمنتشر عنده ، ومثل عامر بن الظرب وحممة بن رافع الدوسى واجتماعهما عند بعض أقيال حمير . ويلاحظ أن هذا النمط ينتهى غالباً بروايات تسند إلى تاريخ الجنوب القديم وهو تاريخ لم يكن مدوناً ولا موثقاً وكان هذا يعطى فرصة لخيال الرواة حوله .

أما النمط الثالث فكان ينتهى بمرور عنهم معروفين مثل الأصوص ويزيد بن عبد الملك ، وكثير من روايات هذا النمط تنتهى إلى أسماء شعراء معروفين كدريد بن الصمة والخنساء وكثير عزة وجميل ، أو شخصيات سياسية بارزة كعمر بن عبد العزيز وزياد والحجاج ، وبعضها روايات تنتهى إلى أقوال الرسول ﷺ .

- ويلاحظ فى هذا النمط من الروايات أنها تقف عند العصر الأموى وما سبقه من العصر الإسلامى وعصر ما قبل الإسلام ولا تمس العصر العباسى مع أنه كان قد مضى عيه نحو قرنين من الزمان عند وفاة ابن دريد لكنه كان بالتأكيد مازال يمثل «المعاصرة» عند أبناء القرن الثالث ، والرابع ، وجودة الخبر تقتضى جنوحه إلى الغرابة والقدم .

هذه الأنماط التى اتبعتها ابن دريد فى رواية أحاديث أدبية كانت تتفق فى كثير من ملامحها مع سلسلة الرواية التى كان يتبعها هو وغيره من العلماء فى رواية أحاديث علمية مثل إسناد الشعر وإسناد الأخبار التاريخية ، وإسناد الروايات اللغوية ، ومن قبل ذلك كله طرائق الإسناد المحكمة فى روايات الأحاديث النبوية ، وما صاحبها من قيام علوم تحميتها من العبث مثل علوم الجرح والتعديل .

وهذا الخلط - فيما يبدو لى - بين طريقة إسناد «علمية» من شأنها التمسك بالحقائق وطريقة إسناد «أدبية» من شأنها الجنوح إلى الخيال هو الذى أخلق بعض الضرر بأحاديث ابن دريد ، فقد انتهز المتشددون الفرصة ليشتكوا فى صحة السند وليتهموا ابن دريد بالكذب والتلفيق ، ولتنتقل المناقشة من ثم ، فتدور حول سند الرواية لا حول الرواية ذاتها ، وفسد تبعاً لذلك متعة العمل الأدبى بسبب ما قدم فيه من إطار علمى .

ويبدو أن ابن دريد نفسه كان يحس فى بعض المراحل بحاجته إلى مزيد من «الإيهام بالصدق» فيصدر خبره بمزيد من عوامل التشويق والتأكيد ، كان يقول فيما يرويه القالى مثلاً : ^(١١٢) «حدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : كان أبو حاتم يضمن بهذا الحديث ، ويقول : ما حدثنى به أبو عبيدة حتى اختلفت به مدة ، وتعملت عليه بأصدقائه من الثقفين وكان لهم مواخياً قال : حدثنا أبو حاتم قال : حدثنى أبو عبيدة قال : حدثنى غير واحد من هوازن من أولى العلم وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جده ، قال : ... وواضح أن سلسلة الإيهام والتأكيد على صدق الحديث شديدة القوة ، فراويه الأول يضمن به على الناس ، وطالبه يضطر أن يصادقه زمناً من أجل الحصول على الخبر فلا يستطيع ، فيستعين بجماعة من أصدقائه الثقفين ، بينه وبينهم مواخاة فيحملهم عليه ، فإذا لان الراوى أكد بدوره أن سلسلة الإسناد التى اعتمد عليها متينة وروايتها إن لم يكونوا قد شهدوا الجاهلية فإن آباءهم أو أجدادهم على الأقل كانوا من شهدوها - وكل تلك مشوقات ومؤكدات على صدق الخبر المتوقع فإذا جاء الخبر بعد ذلك لا نجد فيه كثيراً من الإثارة فهو لا يعدو أن يكون دعوة ملك من ملوك حمير لحكيمين هما عامر بن الظرب وحممة بن رافع الدوسى وتركهما يطرحان تساؤلات بينهما أمامه ، مثل : أين تحب أن تكون أياديك ؟ من أحق الناس بالمقت ؟ من أحق الناس بالمنع ؟ من أجدر الناس بالصنيعة ؟ ولا تخرج الإجابة عن إطار ما هو مألوف فى الحكمة العربية .

(١١٢) انظر الأمالى ج ٢ ص ٢٧٦ .

هذا الإطار الذى دعونه «الإيهام بالصدق» والذى غلف الأحاديث بأغلفة كثيفة وأثار حولها بعض الظنون تلافاه البديع فى مقاماته فى إطار «التصريح بالخيال» وذلك حين اختصر قصة السند الطويل إلى رجل واحد هو «عيسى بن هشام» وقصة الأبطال المتعددين من واقعيين وأنصاف واقعيين ومتخيلين إلى بطل واحد هو «أبو الفتح السكندرى» وكان واضحاً منذ البدء أنهما من صنع خياله ، لم يدع غير ذلك ولم يجعله موضعاً للنقاش فتركزت المتعة كلها فى «الرواية» دون التنغيص بمشاكل الراوى ، وخرجت «المقامات» من مأزق دخلت فيه «الأحاديث» وحاولت من خلاله أن تعبر مرحلة وسطا بين تذوق الصدق الحقيقى ، وتذوق «الصدق الفنى».

إذا كانت فكرة «الإطار» واحدة من الأفكار التى تطرح من خلالها المقارنة بين الأحاديث والمقامات ، فإن فكرة «الماضى والحاضر» يمكن أيضاً أن تشكل ملمحاً آخر فى هذه المقارنة ، والذى يلاحظ كما ألقنا من قبل أن أحاديث ابن دريد تتخذ من الماضى القريب والماضى البعيد مجالاً لها دون أن تلامس تخوم الحاضر بمعناه الواسع ، وإذا كانت تصعد من عصر الأمويين فى الشخصيات التاريخية فإنها تنتهى إلى مجاهل التاريخ القديم فى شبه الجزيرة العربية وعلى نحو خاص فى جنوب الجزيرة ، وهو الشطر الذى ينتمى إليه ابن دريد ، وفى هذا الإطار تساق أحاديث مثل حديث بنت قيل من أقيال حمير منع الولد ثم ولدت له بنت فعزلها عن جنس الرجال واكل بخدمتها من النساء ، فأشرن عليها يوماً بالزواج فسألتهن عن أهميته وفوائده ، وراحت كل واحدة منهن تحكى مزايا الزواج ، فاقتنعت ، وأخذن يبحثن لها عن الزوج المناسب ، واختارت من بين المرشحين من توسمت فيه الخير ، ثم أجزلت العطاء لمستشاراتها^(١١٢) . أو أن نجد محاورة بين قبيلين من حمير تنازعا حيناً طويلاً ثم اهتديا إلى سلام بينهما^(١١٣) أو حديثاً

(١١٢) المرجع السابق ١ : ٨٠ .

(١١٤) المرجع السابق ١ : ٩٢ .

بين ذى قانش الحميرى وعلبة الشاعر^(١١٥) أو رجلاً من حمير يسأل أبناءه عن خبرتهم فى الزمن^(١١٦) أو عن حزن ذى رعين أحد ملوك اليمن وقد مات أخ له^(١١٧) وإلى هذا البعد الزمنى الموعلى ينتمى أيضاً لون من أحاديث ابن دريد يتصل بالكهانة والكهان وتساق خلاله خطبهم المسجوعة ونبوءاتهم التى تصدق فى بعض الأحيان ، وإعلان بعضهم الاعتراف بنهاية عصر الكهانة بعد ظهور عصر النبوة ، أو اختيار بعض الناس لسواد بن قارب ومعرفته بالخبأ^(١١٨) والحاضر فى أحاديث ابن دريد يمكن أن يظهر فقط فيما ينسب إلى الأعراب من أحاديث دون تحديد إطار زمنى لها ، أو بعض ما ينسب إلى الأصمعى وأبى عمر بن العلاء وهى أخبار تدور عادة فى إطار التفسير اللغوى لا القصصى .

أما مقامات البديع فقد تقدمت من هذه الناحية خطوة نحو «الحاضر» وأدارت بعض أحاديثها حول أناس معاصرين ، ومن أبرزها هذه المقامات الست التى كتبها الهمداني فى مدح خلف بن أحمد صاحب سجستان - مثل المقامة الناجمية والمقامة الخلفية النيسابورية والمقامة الملوكية ، وهناك مقامات تتحدث عن أناس قريبي العهد مثل المقامة الجاحظية التى تتحدث عن أسلوب الجاحظ والمقامة الصيمرية التى تتحدث عن محمد بن إسحق الصيمرى المتوفى سنة ٣٢٥ هـ .

ولعل نزعة ابن دريد إلى أن يؤكد نزعة «الإيهام بالصدق» فى حديثه جعلته يلجأ إلى الماضى البعيد حيث مظنة الغموض والغربة ، وابتعاد خاطر التحقق من صحة الأحداث أو عدمها ، وفى المقابل فإن الجانب «الواقعى» فى مقامات الهمداني ، غلف بالخيال الصريح فى شخصية الراوى والبطل فتعادت الأمور تعادلاً جعل محكمها الصدق الفنى وليس الصدق الواقعى .

(١١٥) المرجع السابق ١ : ٢٣٠ .

(١١٦) المرجع السابق ١ : ١٥٢ .

(١١٧) المرجع السابق ٢ : ٩٨ .

(١١٨) المرجع السابق ١ : ١٢٦ ، ١٣٤ ، ٢ : ٢٨٩ .

«الْقَالِبُ الْقَصَصِيُّ» واحد من النقاط المشتركة كذلك بين الأحاديث والمقامات^١

على اختلاف في الدرجة والإحكام والأطراد ولا شك أنه في كل منها توجد طرائق قصصية في التعبير أحياناً وطرائق أخرى مباشرة في الحكم أو الموعظة أو التعليم أو المدح أو الذم أحياناً أخرى ، وإن كان الفارق الرئيسى المتمثل في غياب أخبار ابن دريد كاملة، وعدم تسجيلها مكتوبة لا على يد ابن دريد ولا سماعاً منه ، وإنما تسجيلها فقط من حفظ أبي على القالى وإملائه على تلاميذه بقرطبة ، بعد فترة من سماعها من ابن دريد ، هذا الفارق يترك الباب مفتوحاً دائماً لاحتمال وجود سمات فنية ضاعت نتيجة لاختلاط الأخبار في الذاكرة الحافظة أو اختلال الترتيب بها فضلاً عن احتمالات ضياع جانب كبير وضياع سماته معه .

وفيما يرويه القالى عن ابن دريد يمكننا أن نجد أمثاطاً كثيرة : فهناك «الخبر» المجرد الذى لا يهتم كثيراً بالبحث عن الشكل القصصى بقدر اهتمامه بسياق الحكمة أو تفسير الغريب ، وهو شائع فى مثل قوله : «^(١١٩)حدثنا أبو بكر قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : صن بالحلم عقلك ومروءتك بالعفاف ونجدتك بمجانبة الحلياء وخلتك بالإجمال فى الطلب» .

وهناك إلى جانب ذلك «المشهد القصصى» الذى يحكى جانباً من حدث لا يصل بالضرورة إلى نهايته فى مثل قوله «وحدثنا أبو بكر قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : رأيت أعرابياً يصلى وهو يقول : «^(١٢٠)أسألك الغفيرة والناقة الغزيرة والشرف فى العشيرة فإنها عليك يسيرة» فمع أن بعضاً من خيوط القصص بدأت بتحديد البطل والهيئة والحدث وما يترتب على ذلك من توقعات ومفارقات فإن المشهد وقف عند هذا مكتفياً بتحقيق الغرض وهو غرابة الدعاء وإثارة السامع من خلاله .

(١١٩) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩ .

(١٢٠) المرجع السابق ٢ : ٢١ .

وهناك «الموقف القصصى» الذى قد يكون قصيرًا لكنه يساق مكتملاً متضمنًا النتيجة والتعبير البليغ عنها أو الحكمة المستخلصة منها كالرواية التى تقول : (١٢٧)
«وحدثنا أبو بكر قال : أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : قيل لأعرابي : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى	بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفاً	أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى ونمى	تداول بين أخبت ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى	فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقي فى المعيشة كل ضر	كذلك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى	عقاب دائم فى الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريماً	من الخيرات مملوء الميدين
وتدرك ملك ذى يزن وعمرو	وذى جدت وملك الحارثين
وملك المنذرين وذى نواس	وتبع القديم وذى رعين
فعرس عزباً فإن لم تستطعه	فضرّباً فى عراض الجحفلين

فمع أن الحدث القصصى جاء قصيرًا والتعبير النثرى عنه جاء موجزاً إلا أن النتيجة التى صاغها الندم شعراً تضمنت فى ذاتها كثيراً من المواقف المتحركة كالخروف بين النعجتين - كصورة سعيدة متمنة - والنعجة بين الذئبتين كواقع تعيس ، والرضا الذى يهيج السخط ، وليالى العتاب المتصل ، وكل ذلك جعل اللقطة على قصرها تشكل موقفاً قصصياً مكتملاً .

وهناك «الحكاية» ذات العناصر القصصية المتشابهة» وهى تلك التى تتداخل فيها الأزمنة أو الشخصيات ويطول فيها الحدث نسبياً وتكتمل بعض عناصره ، ومن نماذجها النموذج الذى أوردناه حول بنت الملك الحميرى التى لم تخالط الرجال ، فهناك الملك وطفله والوصيفات والأميرة ثم الملكة والمستشارات والزوج الوافد .. إلخ.

وفى هذا الإطار تدخل قصة «زبراء الكاهنة»^(١٢٢) حيث نرى ثلاثة أبطن من قضاة هم بنو ناعب وبنو داهن وبنو رثام ، وهم يقيمون فى منطقة بين الشحر وحضرموت ، وتجد عجوزاً من بنى رثام تسمى خويلة ولها جارية تسمى «زبراء» تعمل بالكهانة وهى تذهب مع خويلة ذات يوم للقوم المجتمعين فى ناديتهم لتنذرهم بسجع الكهان بأن هجوماً وشيك الوقوع عليها وأنها تشم عرق الرجال تحت الحديد ، ويسخر منها بعضهم ويرتاب البعض الآخر فى الأمر فيقرر أربعون منهم الرحيل ويبقى الثلاثون فى شرايتهم ولهوهم ، وينامون فى مشربهم ، وتأتى خويلة فى الصباح فتجدهم قد قتلوا جميعاً فتقطع منهم خناصرهم وتشكل منها قلادة وتخرج بها حتى تأتى مرضاوى بن سعوة المهري فتستحبه شعراً على الثأر ، فيحرم على نفسه المتعة حتى يثأر لقومه ، ثم يطرق قبيلتى ناعب وداهن المهاجمتين فيوجع فيهم .

على هذا النحو تتشابه العناصر وتتداخل المواقف وتتطور الأحداث ، ويجد الخيال فرصة للحركة ، وصنوف التعبير فرصة للظهور ، واللغوى فرصة للشرح ، والقاص فرصة للإثارة ، وتوجد عدة نماذج فى أحاديث ابن دريد تنتمى إلى هذا النمط وهو فى الواقع أقرب الأغاط إلى الشكل القصصى السائد فى المقامات ، والذى يتم من خلاله إمتاع طائفة كبيرة من المستمعين أو القارئ ولا يتوقف عند إمتاع طالب الحكمة أو الباحث عن غريب اللغة .

(١٢٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٦ .

وكما يتحقق ذلك النمط فى المشاهد المتحركة كما رأينا فى الحكاية السابقة ، قد يتحقق أيضًا فى حكايات أقل حركة ، ولكنها تستعيز عن قلة الحركة بالكمون والغربة والتوقع ، ومثالها هذه الحكاية العجيبة التى يحكى الأصمعى نفسه أنه كان شاهداً وكان واحداً من أطرافها ، وتساق الحكاية على هذا النحو^(١٢٣) «حدثنا أبو بكر ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعى قال : نزلت يقوم من غنى مجتورين هم وقبائل من بنى عامر بن صعصعة فحضرت نادياً لهم وفيهم شيخ طويل الصمت عالم بالشعر وأيام الناس يجتمع إليه فتیانهم ينشدونه أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض قرعةً بمحجن فى يده فينفذ حكمه على من حضر «بكره» للمنشد (أى بناية قوية تعطى مكافأة له) ، وإذا سمع ما لا يعجبه قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة إن كان ذا غنم وابن مخاض إن كان ذا إبل (أى أن منشد الشعر الردىء عليه أن يغرم شاة أو جملًا صغيرًا)^(١٢٤) ، فإذا أخذ ذلك ذبح لأهل النادى فحضرتهم يوماً والشيخ جالس بينهم فأنشد بعضهم يصف قطاة «فأحسن الصورة» فقرع الأرض بمحجنه وهو لا يتكلم ، ثم أنشده آخر يصف ليلة :

كان شميظ الصبح فى أخرياتها ملاء ينقى من طيالسة خضري
تخال بقاياها التى أسار الدجى ثمذ وشيعاً فوق أردية الفجر
فقام كالجئون مصلتاً سيفه حتى خالط مبارك الإبل ، فجعل يضرب يميناً وشمالاً
وهو يقول :

لا تفرغن فى أذننى بعدها ما يستفز فأريك فقدھا
إنسى إذا السيف تولى نذھا لا أستطيع بعد ذاك ردها

(١٢٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٥ .

(١٢٤) لو طبق ذلك على أدعياء الشعر المجترئين عليه فى عصرنا لنقدت الأشياء والجمال .

والحكاية تظهر متذوقاً للشعر به خليط من شدة الحساسية والنشوة والجنون ، وجماعة حوله لا تخالف له أمراً في المكافأة والغرامة ، وأبياتاً تعلو على مستوى المكافأة المعتاد ، وتبلغ في الحسن مدى يهيج له الرجل ، ويطلب من سامعيه ألا يقولوا بعدها كلاماً يستفز أذنيه فيغامر بقطعهما ولا يستطيع ردهما ، وهذه الثورة المتفجرة تأتي بعد الصمت الطويل المطبق ، وبين جماعة من المكافئين والمعاقبين ، ومعهم الأصمعي فتكتمل مشاهد حكاية متحركة رغم هدف الأصمعي وابن دريد الواضح بضرورة إجلال نقاد الشعر وإنقاذ كلمتهم .

هذه الأنماط المختلفة التي أشرنا إليها في أحاديث ابن دريد «الخبر والمشهد القصصى والموقف القصصى والحكاية ذات العناصر المتشابهة» يحتفى بعضها في المقامات ويظهر البعض الآخر ، وقد تزداد درجة اطراده وإحكام أدائه ، على أنه ينبغي أن يشار أيضاً إلى أن المقامات أيضاً لم تكن جميعها قصصية فهناك مقامات للمديح ، وقد أشرنا إليها ، وأخرى تتخذ من خصائص الأدب ونقده موضوعات لها مثل المقامة العراقية والمقامة الشعرية والمقامة القريضية^(١٢٥) ، وهناك مقامات كذلك تتخذ من الوعظ الدينى موضوعاً لها مثل المقامة الأهوازية والمقامة الوعظية^(١٢٦) وهذه المقامات فى مجملها تنتمى إلى طريق السرد المباشر أو التعليق المباشر ، وهى من ثم أقرب إلى صورة الخبر عند ابن دريد مع فارق فى الحيز حيث يحتل الخبر حيزاً صغيراً غالباً على حين تمتد المقامة لكى تشكل وحدة مستقلة ذات عنوان وموضع فتشغل بالضرورة حيزاً أكبر من الخبر .

على أن المقامات تطور كثيراً فن «الحكاية» ذات العناصر القصصية المتشابهة وتمدها بعناصر من الحوار ومفارقات الموقف ، والسخرية ، تبلغ بها مدى فنياً عالياً كما

(١٢٥) انظر مقامات أبى الفضل بديع الزمان ، تحقيق محمد عبده ص ٢٢٢ وما بعدها و ١٤١ وما بعدها و ١ وما بعدها ، وانظر كذلك د. شوقي ضيف ، المقامة ص ٢٥ وما بعدها .

(١٢٦) مقامات أبى الفضل بديع الزمان ص ٥٢ وما بعدها و ١٢٨ وما بعدها .

نرى في المقامة البغدادية^(١٢٧) الشهيرة التي يتم فيها الإيقاع يرفى من أهل السواد ينزل بغداد وهو يسوق بالجهد حماره ويربط أحد طرفي الإزار إلى الآخر وكيف تحابل عليه عيسى بن هشام وادعى أنه يعرفه ليسوقه في النهاية داعيًا إلى مطعم فاخر ، يأكلان فيه الشواء والحلوى وفاخر الأطباق والرقاق ثم يتركه رهينة عند صاحب المطعم بحجة البحث له عن ماء مثلج ويغر تاركًا المسكين يضطر لفك عقد إزاره بأسنانه باحثًا عما ادخره للشراء لكي يدفعه ثمنًا للحلوى والشواء . والواقع أن هذه القصة وأمثالها كالمقامة المضيرية والمقامة الإيليسية لا تكتفى فقط بتشابه العناصر في الحكاية وإنما تعتمد إلى جزئيات الحكاية فترسم كلاً منها بعناية دون أن تغفل الزمان والمكان والمفارقات فتطور بذلك العناصر القطرية المتشابهة في الحكاية إلى عناصر فنية محكمة.

ما هي العوالم التي تنقلها كل من الأحاديث والمقامات من الواقع إلى الفن ؟

إن هذا السؤال ما زالت تثار نظائر له بالنسبة للأجناس القصصية والروائية المعاصرة حتى اليوم ، وقد جعله الناقد الأيرلندي فرانك أوكنور محورًا لكتاب شهير له حول «القصة القصيرة»^(١٢٨) وانتهى فيه إلى أن القصة القصيرة تفضل أن ينتمى أبطالها إلى الطوائف المغمورة وهي الطوائف التي تعيش على حافة المجتمع كالقساوسة وعمال المناجم والحراس الليليين وصغار الموظفين .

- وإذا كان هذا المعيار قد صلح للتطبيق على عالم فن حديث كالقصة القصيرة وكتاب محدثين مثل تشيكوف وموباسان وإبسن وغيرهم فإن معايير قديمة منه سادت الإنتاج الثرى الفنى فى الأدب العربى فى هذه الحقبة القديمة ، وحظيت بعض طبقات المجتمع التى ظهرت نتيجة لعوامل سياسية واقتصادية وعنصرية كثيرة ، حظيت هذه

(١٢٧) المرجع السابق ص ٥٥ .

(١٢٨) الصوت المنفرد ، تأليف فرانك أوكنور ، ترجمة الدكتور محمود الربيعي ، المجلس الأعلى للفنون والآداب - القاهرة سنة ١٩٧٠ .

الطبقات بعناية فريق من الشعراء وكتاب النثر، وكان من بين هذه الطبقات طبقة أهل الكدية والتسول الذين اهتمت بهم مقامات الهمذاني اهتماماً رئيسياً جعل ممثلهم أبا الفتح السكندري يظهر في معظم المقامات ويتنكر في كثير من الوجوه .

والواقع أن الاهتمام بالكدية لم يبدأ عند البديع بل ربما كان البديع قد اقتبسه من ابن دريد كما أشار إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف حين أشار إلى أنه «قد تكون الفكرة التي أدار حولها «البديع» مقاماته ونقص الكدية أو الشحاذة استمدها مباشرة من خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام التي رواها صاحب الأمالي عن ابن دريد»^(١٣٨) .

وقد وردت في الواقع خطبتان على الأقل في أحاديث ابن دريد من هذا النوع إحداهما في المسجد الجامع بالبصرة وجاءت في حديث من أحاديث ابن دريد منسوب إلى أبي حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال^(١٣٩) : «وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال : قلَّ الثَّيْلُ ونقص الكيل وعجفت الحُيْل والله ما أصبحنا ننفع في وضح، وما لنا في الديوان من وشمة فهل من معين أعانه الله يعين ابن سبيل ونضو طريق ؟ فلا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ولا عمل يعد الموت» .

أما الثانية فقد وردت في حديث لابن دريد منسوب إلى أبي حاتم^(١٤٠) : بينما أنا في المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابي فقال : يا مسلمون إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، إنني امرؤ من أهل هذا الملقاط الشرقي المواصي أسياف تهامة عكفت على سنون منجش فاجتلبت الذرى وهشمت العرى وجمشت النجم وأعجت البيهم .. فهل من أمر بيمر أو داع بخير وقاكم الله سطوة القادر وسوء الموارد وفضوح المصادر . قال : فأعطيته ديناراً وكتبت كلامه واستفسرته ما لم أعرفه» .

(١٣٩) د. شوقي ضيف ، المقامة ص ١٨ .

(١٤٠) الأمالي ج ٢ ص ١٩٤ .

(١٣١) المرجع السابق ج ١ ص ١١٣ .

وإذا كان ابن دريد قد سبق الهمذاني دون شك إلى اتخاذ الكدية قالباً أدبياً تصاغ من خلاله الحيل وتظهر المفارقة فإن الجاحظ كان قد سبق ابن دريد^(١٣٢) بنحو قرن ونصف ، إلى اتخاذ الكدية موضوعاً تفصل أطرافه وحيله في رسالة نقلها عنه البيهقي في كتابه «الحاسن والمساوئ» وهو معاصر لابن دريد في بداية القرن الرابع ثم قدر لموضوع الكدية أن يتعمق فيه شاعران سلوكاً ونظماً في هذا القرن هما أبو دلف الخزرجي المتوفى سنة ٣٣١هـ والأحنف العكبري المتوفى سنة ٣٨٥هـ وأن يأنس بنتاجهما ويشجعه الكاتب البارز صاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ وأن يشكل ذلك كله لوئاً من التمهيد لأدب الكدية الذي أقام بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ معظم مقاماته عليه .

غير أنه إذا كان عالم الكدية يمثل جزئية في أحاديث ابن دريد أسهمت في ترسيخ ظاهرة أدبية في القرن الرابع الهجري ، فلم تشغل الكدية ذاتها إلا جانباً صغيراً من عالم «الأحاديث» على حين شغلت طوائف أخرى جوانب هامة من ابن دريد وهي في حاجة إلى التوقف أمامها .

وأبرز هذه الطوائف طائفة «الأعراب» وهي طائفة متعددة الوجوه ، وتعكس معالجة ابن دريد لها في أحاديثه أصداء الأفكار التي كانت شائعة في الحضر عن عالم البدو ، ومدى ما يتمتعون به من صفات عقوبة متضاربة في بعض الأحيان ، وبعض خصائصهم تلك يمكن أن تكون مثاراً للتفكه وبعضها الآخر يصبح مثاراً للتعلم والاقتداء بالصفات التي لم يفسدها التحضر ، فهناك^(١٣٣) أعرابي دخل على بعض الأمراء وهو يشرب فجعل يحدثه وينشده ثم سقاء فلما شربها قال : هي والله أيها الأمير أي هي الخمر ، فقال : كلا إنها زبيب وعسل ، فلما طرب قال له : قل فيها . فقال :

(١٣٢) انظر آدم ميتز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص ٤٤٩ .

(١٣٣) الأمالي ج ٢ ص ٥٩ .

أتانا بها صفراء يزعم أنها زبيب فصدقناه وهو كذوب
وما هي إلا ليلة غاب نجمها أواقع فيها الذنب ثم أتوب

وإذا كانت الغفلة المزوجة بالمكر هي العبرة التي تؤخذ من الحديث السابق فإن حديثاً آخر يقودنا إلى غفلة مزوجة بالجهل المضحك فهذان أعربان يختصمان إلى شيخ
منهم فقال أحدهما^(١٣٤) : أصلحك الله ما يحسن صاحبي هذا آية من كتاب الله عز وجل ، فقال الآخر كذب والله إنى لقارئ كتاب الله . قال فاقراً . فقال :

علق القلب رباً بـ بعدما شابت وشاباً

فقال الشيخ لقد قرأتها كما أنزلها الله . فقال صاحبه : والله أصلحك الله ما تعلمها إلا البارحة .

وهذه الصور الساخرة من غفلة الأعرب تلتقى معها الصور الساخرة من غفلة أهل السواد عند الهمذاني والصور الساخرة من البسطاء وأهل الريف في الأدب الروائي والمسرحي المعاصر . على أن للأعرب أوجهاً أخرى كثيرة تأتي بها ، فهم أهل الفصاحة والتعبير المحكم والوصف الدقيق ، فمنهم من يصف إخوته الثلاثة ، ومنهم من يصف خصال الرجال ، ومن يمدح ملكاً ، فيستحوذ على القلوب بعبارات قصيرة مثل « رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالتخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على الناظر ، وأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك » ومنهم من يصف خيلاً أو يصف إبلاً أو يصف بنيه أو يعظمهم أو ينصح الملوك أو يجابه الحجاب بعبارات تدل على البلاغة والحكمة والإيجاز^(١٣٥) .

(١٣٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٨ ، وانظر كذلك حديث الأعرب وهلال رمضان ، الأمازي ج ١ ص ٣١ والأعرب الذي يطلب منه مهر كبير ج ١ ص ٢٨٣ .

وإلى جانب ذلك فهناك الكرم العفوى عند الأعراب ، فهذا أحدهم يهب ضيفاً له جملاً ويطلب من زوجته حبلاً يربطه به ثم يهب ثانياً وثالثاً وفي كل مرة يطلب حبلاً وعندما تضيق زوجته بالهدية يقول لها على بالجمال وعليك بالخيال ، وأخرى تجود باللبن حين يطلب منها الماء ، وغيرها تتهم من يسأل عن ثمن الخليب بأنه ينتمى إلى قوم بخلاء ، ولكلى لا يمنعها حزنها على ولدها الذى فجعت به أن تقوم بواجب الكرم لعابرى السبيل .

وإلى جانب الأعراب هنالك عالم النساء وهو عالم تحفل به الأحاديث من زوايا متعددة ويعكس فيما يعكس قيمة المرأة فى التراث الشعبى ، والحكايات المتخيلة ، وقد أئحنا إلى بعض الأحاديث التى تشير إلى دور المرأة ملكة ووزيرة ومستشارة وإلى تصور عالم تحكمه النساء ويستغنين فيه عن الرجال ، وإن كان «الحديث» قد انتهى بزواج الملكة وسرورها بذلك ، ويتصل بذلك حديث البنات العوانس اللائى رغب أبوهن فى إيقاظهن إلى جانبه ومنعهن من الزواج وكيف تحايلن عليه ليرجع عن قراره وقد فعل^(١٣٦) وشروط المرأة فيمن يكون أهلاً لها ورفضها ما لا يتفق ورأيها وحديث البنات عن الزوج المثالى الذى يحلمن به^(١٣٧) وتظهر المرأة عاشقة تعبر عن حبها لرجل تندم على أنه طلقها متمثلة فى أم الضحاك الحاربية أو تظهر عواطفها نحو ابن عمها فى مثل قصة خلية الخضرية^(١٣٨) وتظهر المرأة كذلك أمّاً تحافظ على أبنائها وتناضل ضد من يحاول انتزاعهم منها وتنتصر عاطفتها القوية فى ذلك حتى على بلاغة البلغاء وعلم العلماء ، وفى هذا الإطار يسوق ابن دريد حديثاً ذا مغزى يجرى فيه «بين أبى الأسود الدؤلى

(١٣٥) انظر على سبيل المثال نماذج لهذه الأحاديث : الأمالى الجزء الأول ص ٢٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ ،

١٣٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ ، والجزء الثانى ص ١٤ ، ٧١ ، ٨١ ، ١٧٣ .

(١٣٦) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٥ .

(١٣٧) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٤ و ج ١ ص ١٦ .

(١٣٨) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٣ ، ٨٦ .

وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه وأراد أخذه منها فصار إلى زياد وهو إلى البصرة
فكالت المرأة : أصلح الله الأمير هذا ابنى كان بطنى وعاءه وحجرى فناءه وثدى سقاءه
أكلوه إذا نام وأحفظه إذا قام فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله
وكملت خصاله واستوكت أوصاله وأملت نفعه ورجوت دفعه أراد أن يأخذه منى كرهاً
فأدنى إليها الأمير «أى قونى عليه» فقد رام قهرى وأراد قسرى . فقال أبو الأسود :
أصلحك الله هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ووضعت قبل أن تضعه وأنا أقوم عليه فى
أدبه وأنظر فى أوده وأمنحه علمى وألهمه حلمى حتى يكمل عقله ويستحكم قتله .
فقال له زياد : أردد على المرأة ولدها فهى أحق به منك ودعنى من سجعك»^(١٣٩) .

وهكذا فإن عالم المرأة حاكمة وعاشقة ومعشوقة وبنّاء وأماً وناصحة وبلغية يمثل
جانباً هاماً فى أحاديث ابن دريد وهو جانب يمكن أن يكون موضع دراسة وتأمل لجوانب
التطور فيه فى الأعمال التالية عليه كالمقامات وقصص العشاق عند أبى داود وابن حزم
وغيرهما والحكايات الشعبية مثل ألف ليلة وليلة .

وهناك جوانب أخرى فى عوالم «الأحاديث» مثل جوانب الحمقى والمعوقين ،
فهذا الغلام الأحق الذى يقول لأمه بالمدينة «يوشك أن ترينى عظيم الشأن» فتقول :
وكيف ؟! والله ما بين لابتيها أحق منك ، فيقول : والله ما رجوت هذا الأمر إلا من
حيث يئست منه . أما علمت أن هذا زمن الحمقى وأنا أحدهم^(١٤٠) ، هذا الغلام يقدم
صورة فى الأحاديث لعالم سيكون مفضلاً فيما بعد لدى كتاب النثر ، حتى تكتب
كتب عن أخبار «الحمقى والمغفلين»^(١٤١) وهى عوالم تعطى - فرصة للأدباء لكى يسخروا
من أزمانهم وانقلاب المعايير بها .

(١٣٩) المرجع السابق ج ٢ ص ١٢ .

(١٤٠) المرجع السابق ج ٢ ص ٩٥ .

(١٤١) انظر كتاب أخبار الحمقى والمغفلين - لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى (ت ٥٥٩٨) -

الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٨٣ .

إن النافذة الصغيرة التي تركها لنا ابن دريد فيما تبقى من أحاديث تكشف لنا
عن المكانة التي يحتلها هذا العمل الرائد في النثر الأدبي عند العرب على مستوى
الشكل والمحتوى معاً ، وأى أثر يمكن أن يكون قد أحدثه ابن دريد في عالم «النص
النثري» كما أحدث من قبل في عالم «الدرس اللغوي والأدبي» وفي عالم النص
الشعري .

أحاديث ابن دريد
محاولة لتجسيد نص أدبي غائب

أحاديث ابن دريد

محاولة لتجسيد نص أدبي غائب

ترك ابن دريد «أحاديثه» الشهيرة التي رأينا ذكرها بتردد في كتب التراث والكتب الحديثة ، باعتبارها معلماً هاماً من معالم النثر الأدبي العربي ، وتطرح التساؤلات حول أحقيتها بدور الريادة في مجال الفن القصصي من خلال كونها نصاً شكل النموذج المحاكى أو المعارض أمام بديع الزمان الهمذاني عندما كتب مقاماته التي قامت بدور هام - دون شك - في تنشيط الإبداع الأدبي القديم نثراً وجذب الاهتمام إلى النموذج «القصص النثري» إلى جانب النموذج الغنائي الشعري ، وهو الاهتمام الذي سيتطور خلال العقود والقرون التالية مشكلاً التراث النثري القصصي في الأدب العربي ، ذلك التراث الذي يدين لأحاديث ابن دريد ببعض مآذركنا من سمات ، يطرح الباحثون من حين لآخرهم حولها في محاولة لتحديثها وتبني دورها وتأثيرها .

وعلى حين يدور الكلام - كثر أو قل - حول «الأحاديث» فإن «الأحاديث» نفسها تبدو نصاً أدبياً غائباً يصعب على قارئ الأدب المعاصر أن يعايشه وأن يتمتع به ، وأن يتفق أو يختلف مع الدارسين حول الخصائص التي ينسبونها إليه ، أو المزايا والعيوب التي يتناقشون حولها بصدده ، وفي كل الحالات يبدو «نصاً» قد فقد التأثير ، أو فقد استمراريته ، حين فقد وجوده «جسداً أدبياً متكاملًا» واقتصر هذا الوجود على أشلاء متناثرة من هذا الجسد ، تتناقلها أفواه الرواة مثقلة بسلاسل الإسناد ، وإذا أريد لهذا النص ، ولغيره من النصوص الأدبية التي تشبهه وتنتمي إلى التراث العربي ،

وتصل إلينا على هيئة أشلاء متناثرة ، أن تأخذ فرصتها فى إثراء الوجدان والمشاركة فى حركة الاحياء الأدبية فلا بد من إعادة تجميع الأشلاء وإعادة التصور فى ضوء هذا التجميع ، وخاصة إذا كان ما بقى من الأجزاء صالحاً لإعطاء لون من التصور حول الكل المفقود ، وإذا جاز للمرء أن يستعين بالأساطير القديمة فى تقريب هذه الفكرة ، فإن الأسطورة المصرية القديمة التى كانت تتحدث عن جسد «أوزيريس» الذى قطعه أعداؤه ورموا بأجزائه المتناثرة فى أجزاء الوادى الفيحة لكى يتخلصوا منه ، لم تجد حلاً لإعادة القوة إليه إلا من خلال سعى «إيزيس» وراء الأجزاء المتناثرة وتجميعها بصبر ودأب ودعوتها للسماء أن تمنحها الروح من جديد .

ويتطلب هذا المنهج إذا كتب له أن يتحقق ، المرور بخطوتين رئيسيتين :

- أولاً : إعادة النظر إلى الأجزاء المتبقية ، ومدى تمثيلها للكل الغائب ، والصورة الفنية التى بقيت عليها .

- ثانياً : إعادة تنظيم هذه الأجزاء ، وإعادة تقديمها ، على النحو الذى يتحقق من خلاله للقارئ المعاصر ، المتعة والفائدة الفنية التى ربما كانت تتحقق للقارئ القديم بطريقة مختلفة ، وفى سبيل تحقيق هذا «الهدف» ينبغى أن يتحقق للدارس الحديث ، جزء من الطواعية ، وحرية الحركة ، لا تتعارض بالضرورة مع أمانة النص وقديسيته ، ولكنها تتفق مع الهدف المنشود منه .

إن الإنسان قد يسمح لنفسه باستطراد قليل حين تثير فكرة «إعادة تقديم التراث» مقارنة لا مهرب منها ، بين ما صنعه الغربيون مع تراثهم من مجهود فى هذا الشأن ، بالقياس إلى ما نقوم به ، لقد تركزت مجهودات كثير من العلماء هناك . حول أمهات الكتب الرئيسية فى الأدب والفكر والفلسفة وغيرها من فروع المعرفة ، تعيد تقديمها للأجيال الجديدة ، من خلال عرض جديد ، ولغة جديدة ، وتصور جديد ، مع المحافظة على خيوط قوية تربطها بالأصل ، وتعيد الماضى العتيق إلى ساحة المعاصرة بطريقة تجعل الأجيال تحسن استقباله والاستفادة منه ، ومن هنا فقد ضمنت هذه المجهودات

الاستمرارية لأفكار القدماء ، وتطور الأفكار المعاصرة تطوراً يرتبط بالقديم ، ليس من الضروري ارتباط البناء عليه ، وإنما ارتباط الحوار معه ، الذى قد يؤدى إلى تجديده أو قبوله كلياً أو جزئياً ، أو حتى رفضه مع وضعه فى الحسبان امتداداً وبعداً هاماً من أبعاد الحضارات الأصيلة .

ومن خلال هذا ضمنت الأشكال الفنية القديمة كالمرحبة والملحمة والشعر الغنائى ، إعادة ظهورها والإفادة منها فى أجيال متلاحقة وبطرائق مختلفة ، وضمنت كذلك الأفكار النقدية والأدبية والفلسفية ، قدراً كبيراً من الامتداد والصمود والتعديل ، وضمنت الأسماء التراثية ، وجود مهمة ومعنى لها لدى المثقف المعاصر .

وكذلك كان الحال لدى علمائنا فى تاريخ تراثنا الطويل ، فقد كان جانب هام من جهودهم مبنياً على إعادة تقديم ما قدمه أسلافهم ، بطريقة تناسب اختلاف الأجيال ، مع قرب الزمن أحياناً ، والبناء عليه ، وغودج ابن دريد الواضح فى كتابه الجمهرة الذى أعاد عرض المادة العلمية للعين ، يؤكد ذلك ، وما الشروح والخواشى والمتون والمعارضات التى قدمت فى أزمنة مختلفة ، إلا محاولات فى هذا الطريق لا ينقص من قيمتها ، ما أصاب بعضها من الجمود والتكرار .

ونحن اليوم فى حاجة إلى جهد علمى منظم فى سبيل إعادة «تقديم التراث» تقديمًا معاصرًا ، وإن الإنسان ليتساءل ، كم من المثقفين اليوم - فضلاً عن القراء العاديين أو عن غير القراء - كم منهم لديه فكرة حية - لا فكرة مُتَحَفِيَّة - عن أعمال الجاحظ وأبى حيان وأبى العلاء والمتنبى وابن سينا والغزالى وابن رشد وعبد القاهر والآمدى وأبى تمام وابن عربى والفخر الرازى والمبرد وابن دريد وغيرهم ، وكم منهم لا تقف معلوماته حول هؤلاء الأعلام عند نص مدرسى قديم تحججه لكى يمتحن فيه ، أو حتى - مع حسن الظن - عند ارتياد لنتائجهم نشداناً لسلامة اللغة وصحة الأداء ، دون الطموح إلى ما وراء ذلك ، من الوصول إلى منابع الإبداع الأدبى والفكرى ، التى علينا

أن نجاهد لالتقاط نغمتها الصحيحة ، والاستفادة منها فى تشكيل النغمة الملائمة لعصرنا .

إن «إعادة قراءة التراث» قد تكون مطلباً هاماً لتحقيق «الإحياء الأدبى والفكرى» الذى ندعو إليه جميعاً ، وفى إطار هذا التصور سوف نعود لإلقاء نظرة على أحاديث ابن دريد من خلال الخطوتين اللتين أشرنا لهما .

توجد أجزاء من النثر الأدبى لابن دريد ، الذى تنتمى الأحاديث إليه ، فى مجموعتين من المؤلفات ، مجموعة تنسب إليه ، ومجموعة تنسب إلى من روى أو نقل عنه .. وفى إطار المجموعة الأولى توجد مؤلفات مخطوطة وأخرى مطبوعة ، فهناك :

١ - مخطوطة كتاب «الأخبار المنشورة» وقد قال عنها بروكلمان : «توجد أوراق من الجزء الرابع والخامس والسادس منه فى المكتبة الخالدية بالقدس»^(١٢٧) .

٢ - رسالة طبعت بعنوان : «كتاب الفوائد والأخبار» تحقيق إبراهيم صالح فى مجلة مجمع اللغة العربية فى دمشق ، المجلد السابع والخمسون سنة ١٩٨٢ م .

٣ - رسالة بعنوان : «من أخبار أبى بكر بن دريد» تحقيق عبد المحسن المبارك فى مجلة «المورد» العراقية ، المجلد السابع سنة ١٩٨٧ م .

٤ - كتاب بعنوان : «تعليق من أمالى ابن دريد» تحقيق السيد مصطفى السنوسى ، وقد صدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون بالكويت سنة ١٩٨٤ م .

ولعل الكتاب الأخير ، يأتى من حيث الأهمية ودلالة الجزء الحاضر على الكل الغائب فى مقدمة هذه الأعمال المنشورة لابن دريد ، فقد اشتمل الكتاب على جملة مختارات من «أمالى ابن دريد» ودلت عباراته على وجود كتاب كبير الحجم كان يسمى «أمالى ابن دريد» وكان يتكون من سبعة أجزاء على الأقل ، وقد بقيت هذه الأجزاء

(١٢٢) انظر : كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ترجمة الدكتور عبد الحلیم النجار - الطبعة الرابعة - دار المعارف - مصر ج ٢ ص ١٨٤ .

حتى منتصف القرن السابع الهجرى ، تاريخ نسخ مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» سنة ٦٤١هـ ، حيث أشارت المخطوطة إلى بعض أجزاء أمالى ابن دريد فى صفحات متعددة ، وحيث اختتمت بعبارة «هذا آخر الجزء السابع من أمالى ابن دريد»^(١٢٧) ومن اللافت للنظر ، أن يكون تاريخ الحديث عن كتاب تثرى لابن دريد من سبعة أجزاء ، مقارناً لتاريخ الحديث عن ديوان شعرى له من خمسة أجزاء فى عبارة القفطى التى أشرنا إليها سابقاً ، وقد توفى القفطى سنة ٦٤٦هـ أى فى نفس العقد الذى نسخت فيه مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» ، ومعنى ذلك أن هذين الكتابين وغيرهما لابن دريد كانا معروفين فى المكتبات العربية بعد وفاته بأكثر من ثلاثة قرون ، ومن ثم فتأثير هذه الكتب فى النتاج الأدبى فى هذه الفترة وما بعدها يتبغى أن يوضع فى حساب الدارس دائماً .

على أن العبارات التى أشارت إليها مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» تلقى ضوءاً على ما أشار إليه بروكلمان من وجود مخطوطة كتاب «الأخبار المنثورة» فى المكتبة الخالدية بالقدس ، والإشارة إلى وجود أوراق من الجزء الرابع والخامس والسادس من هذا الكتاب ، فهناك احتمال أن تكون الأخبار المنثورة هى «الأمالى» المفقودة ، وخاصة أن الموضوع واحد فى الكتابين ، وأن عدد الأجزاء المشار إليها متقارب ، وأن من المستبعد قليلاً أن يكون ابن دريد ، قد ألف كتابين كبيرين أحدهما من سبعة أجزاء ، والآخر من ستة على الأقل ، حول موضوع واحد ، وإذن فالاحتمال الذى يظل فرضاً حتى رؤية مخطوطة القدس أن تكون هذه المخطوطة جانباً من الأمالى المفقودة التى لخصها أو عرض جانباً منها «تعليق من أمالى ابن دريد» .

التحقيق العلمى الذى صاحب مخطوطة «تعليق من أمالى ابن دريد» للسيد مصطفى السنوسى ، تحقيق علمى جيد ، عرف قيمة المخطوطة ، وأعطاهما حقهما من

(١٤٣) انظر : تعليق من أمالى ابن دريد ، تحقيق السيد مصطفى السنوسى ، ص ٥٣ - الكويت ١٩٨٤ .

العناية، وصدرها بدراسة جيدة متأنية عن ابن دريد، وحاول أن يصل الأخبار الواردة فيها برواياتها في كتب التراث النثرى المتعددة لتوثيقها وضيئها . وفي هذا الإطار ، استطاع المحقق - كما يقول - توثيق نحو ثمانين في المائة من مجمل المادة التي تعرض لها الكتاب ، وهي مادة بلغت في مجملها نحو مائتين وأربعين خبراً ومائة وسبعين مقطوعة شعرية ، وهو جهد علمي جاد ومفيد .

غير أن المحقق فاته في بعض الأحيان أن يعرض نصوص الأحاديث والأخبار على أحاديث ابن دريد التي رواها أبو علي القالي في أماليه ، والتي تشكل أهم مصدر موثق لأحاديث ابن دريد عند القدماء والمحدثين ، مع أن المؤلف رجع إلى أمالي أبي علي القالي ، بل وعدّها المرجع الأول فيما رجع إليه من الكتب القديمة^(١٤٤) ، واستطاع إرجاع بعض الأخبار إليها ، ومع ذلك فقد نُدّ عنه عدد لا بأس به من هذه الأخبار ، لم يقابل فيها بين ما جاء في «التعليق» وما جاء في «أمالي القالي» .

فهو عندما يعرض لحكاية «الغلام الأحق» الذي قال لأمه : يوشك أن ترينى عظيم الشأن ، ويعلل أمه قائلاً لأمه التي تستغريه ! «أما علمت أن هذا زمان الحمقى وأنا أحدهم» ، حين يورد هذا الخبر ، يعلق عليه بأنه^(١٤٥) «لم يجده في أخبار الحمقى والأغبياء لابن الجوزي ، ويكتفى بهذا ، مع أن الخبر ورد في أمالي القالي بين أحاديث ابن دريد^(١٤٦) . وحين يورد المجلس الذي عقده معاوية لبيعة يزيد يورد خطبة عمرو بن سعيد في البيعة ويوثقها بالرجوع إلى زهر الأدب وعيون الأخبار والعقد الفريد مع أنها وردت أولاً في الأمالي منسوبة إلى ابن دريد^(١٤٧) ، وكذلك الشأن بالنسبة لحديث

(١٤٤) انظر : المرجع السابق ص ٥٩ .

(١٤٥) المرجع السابق ص ١٤٠ .

(١٤٦) كتاب الأمالي لأبي علي القالي ج ٢ ص ٩٥ ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية

١٩٨٤ .

(١٤٧) انظر : «تعليق» ص ١٥٠ ، والأمالي ج ٢ ص ٧١ .

الأعرابي المعتذر عن الإطالة في المدح بعبارات بليغة ، فهو كذلك من أحاديث ابن دريد المروية في الأمالي^(١٤٨) ، أما نصيحة زياد لعماله والتي أوردناها مستنداً في توثيقها إلى عيون الأخبار فهي كذلك من مرويات أبي على القالي عن ابن دريد^(١٤٩) ، وتشبيه بعض علماء الهند لصحبة السلطان بالجيل الوعر فيه الثمار الطيبة والسباع العادية ، ترد في تعليق من الأمالي ويوثقها المحقق بالرجوع إلى عيون الأخبار ، وهي بالإضافة إلى هذا من مرويات القالي عن ابن دريد^(١٥٠) ، أما الأعرابي الذي يشاور ابن عمه ويأخذ بنصيحته فقد رواها التعليق من أمالي ابن دريد ووثقها المحقق بالرجوع إلى عيون الأخبار فقط مع أنها من مرويات القالي عن ابن دريد كذلك^(١٥١) .

إن هذه النماذج التي لم يتم فيها توثيق ابن دريد في التعليق من خلال أحاديث ابن دريد المروية في الأمالي ، لا تقلل من قيمة المجهود الطيب الذي أشرنا إليه ، ولكنها تشير إلى أن مزيداً من الجهد ما زال مطلوباً في محاولة جمع وتوثيق وإعادة تقديم تراث ابن دريد من النثر الفني .

ألقى محقق المخطوطة بكتاب «تعليق من أمالي ابن دريد» ملحقاً أسماه «ملحق بأمالي ابن دريد في أمالي القالي ومزهر السيوطي» . وهو ملحق صغير ، أورد فيه خمس روايات فقط بما ورد في أمالي القالي منسوبة إلى ابن دريد ، والحق أنني لم أستطع أن أفهم سر تخصيص هذه الروايات الخمسة من بين نحو سبعمائة خبر رواها القالي عن ابن دريد وأشار لها المحقق نفسه في مقدمته للكتاب^(١٥٢) ، وقد ظننت في البداية أنها الأحاديث التي ورد فيها لفظ «أملى علينا ابن دريد» كما يوحي بذلك الحديث الأول ، لكنني

(١٤٨) انظر : «تعليق» ص ١٥٠ ، وأمالي القالي ج ٢ ص ٧١ .

(١٤٩) انظر : «تعليق» ص ١٥١ ، وأمالي القالي ج ٢ ص ٨٠ .

(١٥٠) انظر : «تعليق» ص ١٥٣ ، وأمالي ج ٢ ص ١٢١ .

(١٥١) انظر : «تعليق» ص ١٥٣ ، وأمالي القالي ج ٢ ص ٨٠ .

(١٥٢) انظر : ص ٤٩ من مقدمة تحقيق «التعليق» .

وجدت الحديث الثانى يفتح بعبارة «حدثنا» وكذلك الخامس من هذه الأحاديث^(١٥٣) ، ومن هنا فقد ظلت حكمة وجود هذا الملحق ، أو على الأقل الجزء الخاص منه بأمالى القالى ، خافية على .

إذا كان هذا هو مجمل الآثار النثرية المعروفة فى الكتب المنسوبة إلى ابن دريد ، فإن هناك آثارًا نثرية أخرى وجدت فى كتب علماء رددوا أو نقلوا عنه ، ومن بين هذه الكتب كتاب «قطوف الوريد» الذى لخص فيه جلال الدين السيوطى ، أمالى ابن دريد ، وأشار إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون ، وكذلك المزهر للسيوطى ، الذى وردت فيه روايات كثيرة عن ابن دريد ، أشار محقق التعليق إلى أنها أكثر من مائة وخمسين خبرًا^(١٥٤) .

لكن المصدر الرئيسى فى هذا اللون من المؤلفات دون شك يتمثل فى كتاب الأمالى لأبى على القالى التلميذ المباشر لابن دريد ، والذى حمل معه كثيرًا من علم ابن دريد مدونًا فى الصدر أو القراطيس ، وأملى على شهود مجلسه أيام الخميس فى مسجد قوطبة كثيرًا من الروايات والأخبار المنسوبة لابن دريد ، مشفوعة بوفاء التلميذ واحترامه للأستاذ ، فلم يكن يتحدث عنه إلا قائلاً : «حدثنا أبو بكر رحمه الله» ويقرده بهذا الدعاء بين عشرات الأعلام الآخرين الذين ينقل عنهم فى أماليه ، ولقد مثلت الأحاديث المنسوبة إلى ابن دريد نحو ثلث كتاب الأمالى ، وتردد اسم ابن دريد فى معظم صفحات الكتاب ترددًا يذكر بشيوع اسم سلفه الخليل بن أحمد على صفحات الكتاب لسيبويه .

ولأهمية وكثرة وتنوع الأحاديث التى رواها القالى عن ابن دريد ، سنقصر هنا على إعادة «تقديمها» هنا ، وفقًا للمنهج الذى أشرنا إليه ، لكى تضاف إلى ما حقق

(١٥٣) المرجع السابق ص ٢١١ وما بعدها .

(١٥٤) انظر : التعليق ص ٤٩ .

بالفعل من الأحاديث المنسوبة مباشرة لابن دريد ، مشكلة بذلك حلقة فى سلسلة ،
ينبغى أن يستمر العمل فى تطويرها حتى تتشكل لدينا صورة ميسورة للقارئ المعاصر
حول هذا التراث الفنى الهام .

منهج التناول :

لكى نوضح المنهج الذى نود أن نقيم على أساس منه «تجسيد النص الأدبى
الغائب» لأحاديث ابن دريد التى رواها القالى ، ينبغى أن نتبين أولاً ، المنهج الذى اتبعه
القالى نفسه فى إيراد هذه الأحاديث ، وهذا النهج قد تلخصه كلمة «الأمالى» التى
اختارها القالى عنواناً لما أورده من مختارات حفظها عن العلماء السابقين عليه ، وهذه
الأمالى اتخذت شكل محاضرات شفهية تعرف طريقها إلى الوجود عن طريق آذان
الناس ممن يحضرون مجلس أبى على فى مسجد قرطبة ، قبل أن تعرفه لاحقاً عن طريق
«عيون» القراء فى الأمكنة والأزمنة الأخرى ، ومن ثم فإنها اتبعت منهج «المجلس» الذى
يعتمد على الإمتاع من خلال تنوع الموضوعات وتشعبها ، لا من خلال وحدتها
وتعمقها ، ثم إنها أرضت من خلال ذلك ذوق العصر ، الذى كان يأنس إلى هذا النوع
من المعارف المتنوعة ، لا على مستوى السماع فقط ولكن على مستوى القراءة كذلك
فى كتب «الأخبار» التى لا شك أن ابن دريد كان له تأثير بارز فى تشجيع تلامذته على
التأليف فيها ، والمنهج الأمثل فى هذا اللون من الكتب ، يلخصه تلميذ آخر لابن دريد
من عاصروا القالى ، وحضروا معه مجلس أبى بكر ، وهو المسعودى ، صاحب مروج
الذهب ، فقد لخص المسعودى هذا المنهج المنشود خلال حديثه عن كتاب كان يعترم
تأليفه فى هذا المجال ، ويبدو أنه لم يقدر له تأليفه ، يقول المسعودى فى مروج الذهب :
«وأرجو أن يفسح الله لنا فى البقاء ، ويمد لنا فى العمر ، فنعقب تأليف هذا الكتاب
بكتاب آخر نضمه فنوناً من الأخبار ، وأنواعاً من طرائف الآثار ، على غير نظم من

التأليف ، ولا ترتيب من التصنيف ، على حسب ما سنح من فوائد الأخبار ، وترجمه بكتاب «وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار»^{١١٠٠} .

وهذا المنهج هو ما اتبعه القالى ، فليس هناك نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف ، وإنما تأتى الأخبار على حسب ما سنح من فوائدها ، والفوائد تختلف من مؤلف إلى آخر ، فقد يرى مؤلف الفائدة فى إيراد موضوع معين ، وقد يرى آخر الفائدة فى إيراد طريقة معينة للتعبير ، أو فى إيراد آراء فكرية أو فلسفية أو فقهية أو غيرها ، أو يراها فى التعبير اللغوى فى ذاته ، ويبدو أن هذه الفائدة كانت موضع تركيز أبى على القالى ، وكادت أن تكون فى بعض الأحاديث الخيط الخفى الذى يجمع بين خبرين أو مجموعة أخبار متلاحقة ، ونقول «كادت» لأنه فى كثير من الأحيان أيضًا ، ينعدم هذا الخيط فلا يرى رابط بين الأخبار المتلاحقة ، سوى رابط الفائدة والمتعة اللغوية والأدبية بعامة .

فى مقابل هذا الخيط الخفى ، لم يهتم القالى بخيوط أخرى كان يمكن أن تجمع بين الأحاديث المتناثرة ، وتوجد بينها لونا من المتعة ربما يقدم مذاقا مختلفا ، ومنها الروابط الموضوعية ، فهناك مجموعات من الأحاديث تدور حول «الأعراب والبادية» وتعكس عالمهم فى عيون أهل الحضر من زوايا متعددة تمتد من البلاهة والغفلة إلى الأناة والحكمة ، وهناك أحاديث أخرى تدور حول عالم «النساء والعشق» وتعكس بدورها صورة عن المرأة فتاة وزوجة وأما وعاشقة ومعشوقة ، خاضعة للتقاليد ومتحايلة عليها ، وذات دور هام فى المجتمع وإدارة شئونه ، وهناك أحاديث عن عالم «الطرافة والنوادر» وهى تضم طوائف كثيرة بعضهم يعيش على هامش المجتمع مثل الحمقى ، وبعضهم يمر بمواقف حرجة وطريفة ، والشعراء لهم نصيب وافر فى هذا الباب ، وهناك أحاديث حول

(١٥٥) أبو الحسن على بن الحسن المسعودى ، مروج الذهب ، ومعادن الجوهر ، شرح الدكتور مفيد قمبيز ج ٤ ص ٤٣٥ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦ .

«عالم الكهانة» الذي انقرض بمجىء الإسلام ، لكن ظلت بقايا له فى وجدان الناس وظلت تساؤلات وأساطير وأخبار تتناقل عن هؤلاء الذين يعرفون الخبأ أو يدعون ذلك ، وأحاديث عن عالم «الجنوب» تميل بدورها إلى إعطاء صورة عن جانب مختلف من الحضارة العربية القديمة سواء على « مستوى غرابة اللغة التى يعد الإلمام بها ضرباً من الثقافة الرفيعة أو على مستوى العادات التى تعيش بين الأقبال والمملوك فى الجنوب ، أما أحاديث عالم «الحكمة والفصاحة» فقد جمعت نواذر عن المواقف المتميزة وصياغتها المحكمة التى تمثلها التجربة الإنسانية ، سواء ما كان منها عربى اللسان كان معرباً ، ويأتى عالم «التاريخ» ليمد الأحاديث بجملة كبيرة تسند الأحاديث فيها إلى أسماء تاريخية معروفة كعمالوة وعبد الملك ، ولكنها تعكس قبل كل شىء صورة هذه الشخصيات فى الوجدان الجماعى قبل أن تعنى بإثبات خبر موثق «حقيقى» عنهم .

إن هذه الملامح التى تمثل القيمة الفنية التى ربما تكون «الأولى» فى الأحاديث ، لم يهتم بها القالى ، ولم يقف الأمر به عند عدم الاهتمام بتجاوز الأحاديث المتصلة بموضوع واحد ، بل ولا حتى الأحاديث المتصلة بشخص واحد ، وإنما كان يحدث أحياناً أن نجد القصة الواحدة المتصلة الأجزاء تُروى فى موضوعين متباعدين ، دون الإشارة إلى جزئها الآخر ، ومن أمثال ذلك أن القالى يورد حديثاً فى الجزء الثانى عن البخترى ابن أبى صفرة وكيف أن امرأة أحد الأمراء راودته عن نفسه فأبى فكادت له عند المهلب ابن أبى صفرة فغضب عليه ، ويورد بعدها بنحو مائتى صفحة جانباً آخر من الحديث يتصل بغضب المهلب بن أبى صفرة على البخترى وعدم إسناد أعمال له واعتذار البخترى وقبول المهلب للاعتذار ، ولا شك أن الخبرين ربما شكلا فى الأصل رواية واحدة عند ابن دريد ، وخاصة أن سند الرواية فيهما واحد ، فهو يمر من ابن دريد إلى السكن بن سعيد إلى محمد بن سعيد إلى محمد بن عباد ، لكن الذى جزأ الرواية هو نهج القالى فى البحث عن تعبير معين هنا وتعبير غيره هناك ، أو هو ما سنحت به الذاكرة فى كل موقف .

ومن هنا فقد رأينا أن نحاول اتخاذ المنهج المقابل ، بمعنى أن تكون نقطة البدء من موضوع الحديث لا من لغته ، وأن يصنف تبعاً لذلك ، وأن تجمع الأحاديث المتشابهة موضوعاً في إطار واحد على النحو الذى أشرنا إليه .

وكانت هناك مشكلة سلاسل الإسناد ، وهى مشكلة ناقشنا من قبل بواعثها وتأثيرها على حركة الأحاديث كفن قصصى من شأنه الجنوح إلى الخيال ، والتباسها بفن «رواية الأخبار» التى ينبغى أن تجنح إلى الحقيقة ، ومن ثم فقد رأينا أن نتخفف الأحاديث أيضاً من سلاسل الإسناد فى أولها ، على أن يشار إلى ذلك فى الهوامش ، لمن يريد مزيداً من التثبت أو الدرس ، ولأن النص اللغوى للأحاديث ، كان نصاً «خاصاً» دائماً ، وكان غريباً أحياناً ، وكانت هناك مجهودات لشرحه ، ومن أهمها ما بذله القائل نفسه فى الأمالى ، فقد رأينا الاستفادة من هذه الشروح بالقدر الذى يساعد القارئ المعاصر على تفهم المعنى والفن القصصى ، لا على الإبحار فى النقاش اللغوى ، ومن هنا فقد نزعنا الشروح التى تأتى فى صلب السياق وتعطل مسار الحدث القصصى ، ولكننا أضفنا فى الهوامش خلاصتها لكى يستضىء بها القارئ إذا شاء ، دون أن تحول النص القصصى إلى مجرد متن لغوى .

أما إضافة عنوان لكل حديث ، فهى واحدة من الضرورات التى تمليها ثقافة «العين» حين تنزع إلى نقطة محددة تشدها وتتفرع عنها بقية الأجزاء ، فتحيط بالجمل الذى من شأنه أن يشوقها إلى المفصل . ونعتقد أن ظهور الأحاديث فى هذا المعرض ، من شأنه أن يجسد «النص الغائب» وأن يقربه ربما من الصورة التى تصورها ابن دريد نفسه ، أو حتى من الصورة الغائبة التى ليس بين أيدينا منها إلا روايات وتعليقات الآخرين .

**أحاديث
من عالم الأعراب والبادية**

الأعراب والكدية

١ - يسأل .. ولا يكشف عن شخصيته :

قال الأصمعي : وقف علينا أعرابي ونحن برملة اللوى فقال : رحم الله امرأ لم تَمَجِّحْ أذناه كلامي ، وقَدَّمْ معاذة من سوء مقامي ، فإن البلاد مُجْدِيَّة ، والحال مُسْغِيَّة ، والحياء زاجرٌ يمنع من كلامكم ، والفقر عاذرٌ يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء أحدُ الصديقين ، فرحم الله امرأ أمر بغير ، أو دعا بغير ؛ فقلت : بمن أنت يرحمك الله ؟ فقال : اللهم غفراً ، سوء الاكتساب ، يمنع من الانتساب .

٢ - الأعرابي السائل في المسجد الحرام :

قال أبو زيد : بينما أنا في المسجد الحرام إذ وقف علينا أعرابي فقال : يا مسلمون إن الحمد لله والصلاة على نبيه ، إني امرؤ من أهل هذا المَلَطَاط^(١) الشرقي المواصي^(٢) أسياف تهامة^(٣) ، عكفت على سنون محش^(٤) ، فاجتيت^(٥) الذرى ، وهشمت العرى^(٦) وجمشت النجم ، وأعجت البهم^(٧) ، وهمت الشحم ، والتجبت اللحم ، وأحجنت العظم ، وغادرت التراب مورا ، والماء غورا ، والناس أوزاعا ، والنبط قُعا^(٨) ، والضهل

(١) * ورد الحديث في الأمالي ، في الجزء الأول ص ١٣٨ متوسِّلاً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي ، وقد ورد في العقد الفريد ج ٣ ص ١٤٣ مع تغيير بعض العبارات .

(٢) * ورد الحديث في الأمالي ، في الجزء الأول ص ١١٣ متوسِّلاً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي زيد .
(٣) المَلَطَاط : الوادي . (٤) المواصي : الملاصق . (٥) أسياف : سواحل البحر . (٦) المُحَش : التي تحرق الكلاً . (٧) اجتبت : قطعت . (٨) العرى : قطع الشجر المجذب نزعاه الأيل . (٩) أعجت البهم : أهرزت المشاة . (١٠) النبط : أول ما يخرج من الماء من البئر ، والقعا : المالح .

جَزَاعاً^(٩) ، والمقام جمعاً^(١٠) ؛ يُصْبِحُنَا الهَاوَى ، وَيَطْرُقُنَا العَاوَى^(١١) ، فخرجت لا ألتفع
وصيده ، ولا ألتقوت هبيده^(١٢) ، فالبخصات وقعة ، والرُّكبات زلعة ، والأطراف قفعة ؛
والجسم مُسلِّهم ، والنظر مُدرهم^(١٣) ؛ أعشو فأعطش ، وأضحى فأخفش ، أسهل ظالعا ،
وأحزن راکعا ، فهل من أمرٍ يَمَيِّرُ أو دَاعٍ بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر ،
وسوء الموارد ، وقُضُوح المصادر . قال : فأعطيته ديناراً ، وكتبت كلامه واستفسرته ما لم
أعرفه .

٣ - الأعرابي السائل في مسجد البصرة *

وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال : قلَّ الثَّيْلُ ، ونقص الكيل ،
وعجفت الخيل ، والله ما أصبَحنا نتفخ في وضح^(١) ، وما لنا في الدُّيُون من وشمة^(٢) ،
وإننا لعيال جَرَّة^(٣) ، فهل من معين أعانه الله يعين ابن السبيل ، ونَضُوَ طريق ، وقُلْ مِنة^(٤) ؟
فلا قليل من الأجر ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت .

-
- (٩) الضهل : ما بقى من الماء ، والجزاع : المر . (١٠) الجمعاج : المكان الذي لا يطمئن من جلس إليه .
(١١) الهَاوَى : الجراد والعادي : الذئب . (١٢) تقوى الهبيد : أكل الخنظل . (١٣) العبارات كلها علامة
على ضعف الجسد ، الركب والأطراف والجسم والنظر .
(٣) * ورد الحديث في الأمالي ، في الجزء الثاني ص ١٩٤ منسوباً إلى ابن خريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
عن يونس . وقد ورد الخبر في العقد الفريد ج ٣ ص ١٤٨ مع تغيير في بعض العبارات .
(١) الوضح : اللبن . (٢) الوشمة : الخلف ، يريد ليس لنا عطاء مكتوب . (٣) الجرية : الجماعة . (٤)
القل : القوم المنهزمون .

وهذه الأحاديث الثلاثة في الكدية ، ربما تكون الأصل الذي بنى عليه يدعي الزمان الهمداني شكل
مقاماته في الكدية ونماذج بني ساسان المختلفة عنده ، وطور من خلالها فن الكدية في النشر في شكل المقامات ،
والذي كان قد صاحبه تطور لفن الكدية في الشعر والذي كان قد شاع عند بعض شعراء العصر كما أشرنا إلى
ذلك في الدراسة التمهيدية لهذا الفصل .

قال الأصمعي : دُفعت يوماً في تلمسى بالبادية إلى واد خلاء لا أنيس به إلا بيت معتز^(١) بقتائه أَعْتَزَّ وقد ظلمت فيمته فسلمت ، فإذا عجوز قد برزت كأنها نعامه راخم^(٢) ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لبن ؟ فقلت : ما كنت بغيتي إلا الماء ، فإذا يسر الله اللبن فإني إليه فقير ، فقامت إلى قعب^(٣) فأفرغت فيه ماء ونظفت غسله ثم جاءت إلى الأعتر فتغيرتهن^(٤) حتى احتلبت قُرَابَ مِلْءِ القعب ، ثم أفرغت عليه ماء حتى رغا^(٥) وطفت ثمالته^(٦) كأنها غمامة بيضاء ، ثم ناولتني إياه فشربت حتى تحببت^(٧) ريًا ، واطمأننت فقلت : إني أراك معتزة في هذا الوادي الموحش والخلَّة منك قريب ، فلو انضممت إلى جنابهم فأنست بهم ! فقالت : يابن أخى ، إني لأنس بالوحشة ، وأستريح إلى الوحدة ، ويطمئن قلبي إلى هذا الوادي الموحش ، فأتذكر من عهدي ، فكأنني أخطب أعيانهم ، وأترأى أشباحهم^(٨) ، ولتخيّل لى أندية رجالهم ، وملاعب ولدانهم ، ومُتَدَي^(٩) أموالهم ؛ والله يا بن أخى ، لقد رأيت هذا الوادي بشع اللديدين^(١٠) بأهل أدواح وقياب ، وتعم كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ، يبارون الرياح ، ويحمون الصباح ؛ فأحال عليهم الجلاء قمًا^(١١) بغرفة^(١٢) ، فأصبحت الآثار دارسة ، والمحال طامسة ، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به . ثم قالت : ارم بعينك في هذا الملا المتباطئ ؛ فنظرت ، فإذا قبور نحو أربعين أو خمسين ، فقالت : ألا ترى الأجداث ؟ قلت : نعم ! قالت : ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ ، أو عم أو ابن عم ، فأصبحوا قد أَلَمَّتْ^(١٣) عليهم الأرض ، وأنا أترقب ما غالهم^(١٤) ؛ انصرف راشداً رجمك الله .

(٤) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٦ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي .
(١) بيت معتز : بيت منفرد . (٢) النعامه الراخم : التي تحضن بيضها . (٣) القعب : القدر الصغير .
(٤) تغير : احتلب ما يقى في الضرع من اللبن . (٥) قُرَاب : قريب من . (٦) رغا : صارت له رغوة .
(٧) الثمالة : الرغوة . (٨) تحببت : امتلأت . (٩) الخلة : البيوت المتجاورة . (١٠) الأشباح : الأشخاص . (١١) المتدئ : المكان الذي تندى فيه الثمار . (١٢) شع اللديدين : متلئ الجانيين . (١٣) قمًا : أى كنسا ، والقمالة : الكناسة ، والغرفة : نوع من الشجر . (١٤) أثلت : احتوت . (١٥) غالهم : أهلكهم .

٥ - الأعراب والخمر*

دخل أعرابي على بعض الأمراء وهو يشرب ، فجعل يحدثه ويتشده ثم سقاه ،
فلما شربها قال : هي والله أيها الأمير ، أى هي الخمر ، فقال : كلا ، إنها زبيب وعسل ،
فلما طرب قال له : قل فيها ، فقال :
أتانا بها صفراء يزعم أنها زبيب فصدقناه وهو كذوب
وما هي إلا ليلة غاب نجمها أواقع فيها الذنب ثم أتوب

٦ - أعرابي بين ضرتين *

قيل لأعرابي : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم
ندم ، فأنشأ يقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى	بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا	أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنسجة تضحى وتمسى	تداول بين أحب ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى	فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقي فى المعيشة كل ضر	كذلك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى	عتاب دائم فى الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريما	من الخيرات مملوء اليدين
وتدرك ملك ذى يزن وعمرو	وذى جردن وملك الحارثين

(٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٥٩ مستندا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن
أبى عبيدة .

(٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٦ مستندا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

وتبع القديم وذى رعين
فصرنا فى عراض الجحفلين

وملك المذيرين وذى نواس
فعرش عزبنا فإن لم تستطعه

٧ - الأعرابي والبخيل *

سأل أعرابي رجلاً درهماً ، فقال :

لقد سألت مزيداً :

الدرهم : عشر العشرة ، والعشرة : عشر المائة ، والمائة : عشر الألف ، والألف :

عشر ديتك .

٨ - الأعرابي .. والكريم *

دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسرى فقال : أصلح الله الأمير ، شيخ كبير حَدَّثَته إليك بارية العقظام^(١) ، ومُورَّثه الأسقام ، ومُطلولة الأعوام ، فذهبت أمواله ، وذعدت آباله^(٢) ، وتغيرت أحواله ، فإن رأى الأمير أن يجبره بفضله ، وينعشه بسجله^(٣) ، ويردّه إلى أهله ! فقال : كلّ ذلك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

٩ - الأعرابي .. وجار السوء *

نزل رجلٌ من العرب فى قوم عِدَى فأساءوا عِشرته ، فقبيل له : كيف وجدت جيرتك ؟ فقال : يفتانبا أقصاهم ، ويكذب علينا أدناهم ، ويكثرون لدينا نجواهم ، ويكشفون علينا خُصاهم .

(٧) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٧٨ مسنداً إلى ابن دريد ، دون سلسلة الرواة المعهودة .

(٨) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٤٦ مسنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) بارية العقظام : أى الأحداث الجسيمة التى تبرى العقظام .

(٢) ذعدت آباله : أى تفرقت إبله وتشتت .

(٣) السجل : الدلو الذى فيه ماء ، والإنعاش بالسجل ، كناية عن إمالة الملهوف .

(٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، مسنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

١٠ - أعرابية تكره المبالغة*

قال أبو علي : وحدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابية رجلاً يتشد :

وكأس سلافٍ يحلف الذئك أنها لدى المزج من عينيه أصفى وأحسن
فقلت : بلغنى أن الذئك من صالح طيركم وما كان ليحلف كاذباً .

١١ - أعرابي يقبل النصيحة*

شاور أعرابي ابن عم له فأشار عليه برأى ، فقال : قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمره وجزته بسهله ، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره ، وقد وعيت النصيح منه وقيلته إذ كان مصدره منه عند من لا شك فى مودته وصافى غيبه : وما زلت بحمد الله إلى الخير متهجاً واضحاً وطريقاً مهيباً^(١) .

١٢ - الأعرابي والطعام الخشن*

عاب رجل السويق بحضرة أعرابي ، فقال : لا تبعه ، فإنه عذة المسافرين ، وطعام العجّالان ، وغذاء الميكّر ، وبلّة المريض ، ويسرو^(٢) فؤاد الحزين ، ويرد من نفس الخدود^(٣) ، وجيّد فى التسمين ، ومنعوت فى الطب ، وقفاره يجلو البلغم^(٤) ، وملثوته يصفى الدّم ، وإن شئت كان شرباً ، وإن شئت كان طعاماً ، وإن شئت فثريداً ، وإن شئت فخبيصاً .

(١٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٣٦ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) الطريق المهيح : الواضح .

(١٢) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٩٥ متسوّياً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١) يسرو : يكشف ما عليه ، يقال : سراعته ثوبه إذ تزع ، وسرافؤاد الحزين إذا كشف ما عليه من الحزن .

(٢) الخدود : من قد أقيم عليه الحد ، أى أن طعام السويق يرد عليه نفسه بعد إجهاد الجلد الذى عاناه .

(٣) القفار من السويق ، هو الشديد الخشونة ، الذى لم يخلط بزيت أو سمن أو لبن .

قال الأصمعي : دخلت على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خباء لها وبين يديها بُنْيٌ لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وعصيته وسجته ، ثم قالت : يا بن أخي ، قلتُ : ما تشائين ؟ قالت : ما أحقَّ مَنْ أُلِيسَ النِّعْمَةُ وأُطِيلَتَ به النظرة أن لا يدع التَّوَقُّعَ مِنْ نَفْسِهِ قَبْلَ حَلِّ عَقْدَتِهِ والحُلُولِ بِعَقْوَتِهِ والمَحَالَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، قال : وما يَقْطُرُ مِنْ عَيْنِهَا قَطْرٌ صَبْرًا واحتسابًا ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مَالُكَ لِبَطْنِكَ ولا أَمْرُكَ لِعَرْسِكَ ! ثم أنشدت تقول :

رَحِيبُ الذَّرَاعِ بِالنِّسَى لا تَشِيئُهُ وإنْ كَانَتِ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعَا

١٤ - الجمال المثالي عند الأعرابي*

قال أعرابي لابن عمه : اطلُبْ لِي امرأةً بيضاءً حديديةً فرعاءً جعدةً ، تقوم فلا يصيب قميصها منها إلا مُشَاشَةٌ منكبيها ، وحلمتي ثدييها ، ورائقَتِي أَلْيَتِيهَا ، ورِضَافَتِي رُكْبَتِيهَا ، إذا استلقت فرَمَيْتُ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأُتْرُجَةِ الْعَظِيمَةِ نَفَذْتُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ ، وَأَتْنِي بِمِثْلِ هَذِهِ إِلَّا فِي الْجَنَانِ ! .

١٥ - خداء الأعراب يشقى الأصمعي من الحمى*

قال الأصمعي : نزلتُ في وادٍ من أودية بني العنبر وإذا هو مُعَانٌ بأهله وإذا فتيةٌ يريدون البصرة ، فأحببت صحبتهم فأقمت ليلتي عليهم ، وإنِّي لَوَصِيبٌ مَحْمُومٌ أَخَافُ لَا أَسْتَمْسِكُ عَلَى رَاحَتِي ، فلما قاموا ليرحلوا أيقظوني ، فلما رأوا حالي رحلوا بي

(١٣) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٧٨ مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن .

(١٤) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٨٢ ، وقد ورد الحديث بصيغة مختلفة ، في العقد الفرديد ج ٣ ص ١٧١ .

(١٥) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، مصدرًا يستند : حدثنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه .

وحملوني وركب أحدهم ورائي يُمكنني ، فلما أَمْعَوْا في السير : تَنَادَوْا : أَلَا فَنِي
يَحْدُو بِنَا أَوْ يَنْشُدُنَا ؟ فَإِذَا مُنْشِدٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِصَوْتِ نَذْرٍ حَزِينٍ يَقُولُ :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُو فَلَمْ أُمْتَ
غِدَاةُ الْمُتَّقَى ^(١) إِذْ رَمَيْتُ بِنَظَرَةٍ
فَفَاضَتْ دَمْعُ الْعَيْنِ حَتَّى كَانَهَا
فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهَوَى
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ
وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا
وَأَصْبَحَتْ تَجْدِي الْهَوَى مَتْنَهُمُ النَّوَى
عَسَى اللَّهُ بَعْدَ الثَّأْنِ أَنْ يُصَنِّبَ الثَّوَى

قال : فسكنت عني الحمى حتى ما أحس بها ، وقلت لرديفي ، انزل إلي
راحلتك فإنني مُفِيقٌ مُتَمَاسٍ ، جزاك الله وحسن الصحبة خيرا !

١٦ - الأعرابي بين زوجته والخروف والخمر*

اشترى أعرابي خمرًا بجزءٍ من صوف فغضبت عليه امرأته فأنشأ يقول :

غضبت عليَّ لأن شَرِيتُ بِصُوفٍ
وَلَشْنِ غَضَبِي لِأَشْرِبِينَ بِخُرُوفٍ
دَهَسَاءَ مَالِشَةِ الْإِنَاءِ مَحُوفٍ ^(١)
كَوْمَاءَ نَاوِيَةِ الْعِظَامِ صَقُوفٍ ^(٢)

(١) الْمُتَّقَى : موضع بين أحد والمدنية . (٢) الوجد المثير : الوجد المغلوب .

(١٦) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٥٠ منسوبا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

(١) السحوف : ذات اللحم الكثير . (٢) الصفوف : التي تصف بين رجلها عند الخلب .

ولئن غضبت لأشرين بسابح
ولئن غضبت لأشرين بواحدى
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا
١٧ - أعرابي وقرد وامرأة*

أدخل أعرابي قردًا إلى سوق الخيرة ليبيعه ، فنظرت إليه امرأة ، فقالت : مُسخ ،
قال :
قد جرت الطير أيامينا
قالت وكنت رجلاً قطينا
هذا ورب البيت إسرائينا^(١)

١٨ - جهل الأعراب بالقرآن *

اختصم أعرابيان إلى شيخ منهم ، فقال أحدهما :
- أصلحك الله ، ما يُحسن صاحبي هذا آية من كتاب الله عز وجل .
فقال الآخر :
- كذب والله ، إنى لقارئ كتاب الله .
قال : فاقراً ،
قال :

عَلِقَ الْقَلْبَ رِيَابَا بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا

(١٧) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٤٤ نقلاً عن كتاب المتناهي في اللغة لابن دريد .
(١) إسرائين : لغة في إسرائيل .

(١٨) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣٠٨ مصدرة برواية ابن دريد ، عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

قال الشيخ :

- لقد قرأتها كما أنزلها الله .

فقال صاحبه :

- والله ، أصلحك الله ، ما تعلمها إلا البارحة .

١٩ - أعرابي يتكلم في الصلاة *

قال الأصمعي : قرأ إمام ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حَرَّمَ الله إلا بالحق ، ولا يزنون ﴾ ثم أرتج عليه ، فقال أعرابي من خلفه : إنك يا إمام ، ما علمت ، لقول لما تحيرت فيه .

٢٠ - بين الأعراب .. التحية بمثلها *

مرَّ أعرابيٌّ بأعرابيةً تبكي زوجها فقال : وما يُبكِّيك ! لا جَمَعَ الله بينك وبينه في الجنة ، ثم مرَّ بها بعد ذلك فقال : يا فلانة ، رفتيني ^(١) فإني قد تزوجتُ ، فقالت : نَعَمْ ، بالبيت المهدوم ، والطارئ المشثوم ، والرَّحِمُ المعقُوم .

٢١ - أعرابي يخاف من الصيام *

نظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال : والله لئن أترتُموه لَتَمْسِكُنَّ منه بَدَنائِي عيشٍ أغبر .

(١٩) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٨٣ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم .

(٢٠) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٧٣ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن عبد الرحمن

عن الأصمعي .

(١) رفتيني : أي ادع لي بالرفاء .

(٢١) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٣١ ، والحديث منسوب إلى ابن دريد عن عبد الرحمن

عن الأصمعي ، ورواه صاحب العقد الفريد ج ٣ ص ١٨٢ .

الأعراب والحجاب

٢٢ - البواب الضخم *

مرّ أعرابي برجل يكنى أبا الغمر ، وكان ضخماً جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك ، فقال : أعين الفقير الحسير ، فقال : ما ألحفَ سائلكم ، وأكثر جائعكم ! أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابي : لو فُرق قوتُ جسمك في جُوم عشرة منا لكفانا طعامك في يوم شهر ، وإنك لعظيم السرطة ، شديد الضرطة ، لو ذُرَى بحبقتك يَبْدُرُ ^(١) لكفته ريع الجربياء .

٢٣ - الحاجب تجاهل الأعرابي *

كان عبدالله بن عامر بن كُرَيْز من فتيان قريش جوداً وحياءً وكرماً ، فدخل أعرابي البصرة فسأل عن دار ابن عامر فأرشد إليها ، فجاء حتى أناخ بفنائها فاشتغل عنه الحاجب والعبيد ، فبات القفر ، فلما أصبح ركب ناقته ووقف على الحاجب ، وأنشأ يقول :
 كأنني ونضوى عند باب ابن عامر من الجوع ذئباً قفرة هِلْعان
 وقفتُ وصَبْرُ الشتاء يُلْقِنِي وقد مس يردُّ ساعدي ويناني
 فما أوقدوا ناراً ولا عَرَضُوا قِرَى ولا اعتذروا من عثرة لسان
 فقال بعض شعراء البصريين :
 كم مِن فِتْنٍ تُحْمَدُ أخلاقه وتَسْكُنُ العاقون في ذمته
 قد كثر الحاجب أعداءه وأحقد الناس على نعمته

فبلغ ذلك ابن عامر ، فعاقب الحاجب ، وأمر ألا يغلق بابه ليلاً ولا نهاراً .

(٢٢) * ورد الحديث في الأمالي ، منسوباً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

(١) البيدر : موضع درس الخبواب - (٢) ريع الجربياء : ريع الشمال .

(٢٣) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٧٨ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي .

٢٤ - صلاة الأعرابي *

رأى الأصمعي أعرابياً يصلي وهو يقول : أسألك الغفيرة ، والناقة الغزيرة ، والشرف في العشيرة ، فإنها عليك يسيرة .

٢٥ - أعرابي يصف إخوته *

قال العتبي : أخبرني أعرابي عن إخوة ثلاثة قال : قلت لأحدهم : أخبرني عن أخيك زيد ، فقال : والله ما رأيت أحداً أسكنَ قوراً ، ولا أبعد غوراً ، ولا أخذَ لذنب حجةٍ قد تقدم رأسها من زيد ، فقلتُ : أخبرني عن أخيك زائد ، قال : كان والله شديد العقدة ، لين العطفة ، ما يُرضيه أقل مما يُسخطه ، فقلت : فأخبرني عن نفسك ، فقال : والله إن أفضل ما في معرفتي بفضلهما ، وإني مع ذلك لغير منتشر الرأى ، ولا مخذول العزم .

٢٦ - على باب الفضل بن الربيع *

قال عبدالله بن مصعب الزبيري : كنا بباب الفضل بن الربيع والأذن يأذنُ لذوى الهيئات والشارات ، وأعرابي يدنو فكلما دنا صرَّحَ به ، فقام ناحية وأنشأ يقول :

رأيت أذننا يعتام بِرُتْنا وليس للحسب الزاكي مُعتام
ولو دُعينا على الأحساب قدمتي مجدُّ تلميذٍ وجدٌ راجعٌ نامي
متى رأيت الصقور الجدُلَ يقدِّمها خيلطانٍ من رَحْمٍ فُزَعٍ ومن هام

٢٧ - أعرابي يصف حكيماً *

ذكر أعرابي من بنى كلاب رجلاً فقال : كان والله الفهمُ منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ، لم أرَ أحداً كان أرتق رأياً منه ، ولا أبعد مسافة روية ومَرَّاد طرف ، إنما يرمى

(٢٤) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢١ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .

(٢٥) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٣ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .

(٢٦) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٨١ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن عبدالله بن مصعب .

(٢٧) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٤ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

بهمته حيث أشار إليه الكرم ، ومازال والله يتحسنى مرارة أخلاق الإخوان ويسقيهم
عُدْوِيَّة أخلاقه .

٢٨ - أعرابى يصف كريما *

ذُكر رجل عند أعرابى فَوَقَّع فيه قوم ، فقال : أما والله إنه لأكلكم للمأدوم ،
وأعطاكم للمغروم ، وأكيبكم للمعدوم ، وأعطفكم على المحروم .

٢٩ - أعرابى يصف المطر *

سُئل أعرابى عن مطر فقال : استقل سد ^(١) مع انتشار الطُّفل ^(٢) ، فقصا ^(٣)
واحزأل ^(٤) ، ثم اكفهرت ^(٥) أرجاؤه ، واحمومت ^(٦) أرحاؤه ^(٧) ، وابتزعت ^(٨) فوارقه ^(٩) ،
وتضاحكت بوارقه ، واستطار وادِّقه ، وارتثقت جُوبه ^(١٠) ، وارتعن ^(١١) هيدبه ^(١٢) ،
وحشكت ^(١٣) أخلاقه ^(١٤) ، واستقلت أرادفه ، وانتشرت أكنافه ^(١٥) ، فالرعد مرَّجس ^(١٦) ،
والبرق مُختلس ^(١٧) ، والماء مُتيجس ، فأتزع الغدر ، وانتبت ^(١٨) الوجر ^(١٩) ، وخلط
الأوعال بالأجال ^(٢٠) ، وقرن الصيران ^(٢١) بالرتال ^(٢٢) ، فللاؤدية هدير ، وللشراج خير ،
وللتلاع زفير ^(٢٣) ، وحط النبع ^(٢٤) والغنم ^(٢٥) ، من القلل الشم ، إلى القيعان
الصَّحْم ^(٢٦) ، فلم يبق فى القلل إلا معصم ^(٢٧) مُجَرَّتَيْنِ ^(٢٨) ، أو داحص ^(٢٩)
مُجَرَّجَمٌ ^(٣٠) ، وذلك من فضل رب العالمين ، على عباده المذنبين .

(٢٨) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤ مستنداً إلى ابن دريد عن حام عن الأصمعى .
(٢٩) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٧١ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن بن عمه .
(١) السد : السحاب . (٢) الطُّفل : العشى . (٣) قصا : ارتفع . (٤) احزأل : ارتفع . (٥) اكفهرت :
تراكم . (٦) احمومت : اسودت . (٧) أرجاؤه : أوساطه . (٨) ابتزعت : تفرقت . (٩) الفوارق :
السحاب المتفرق . (١٠) جوبه : فربه . (١١) ارتعن : استرخى . (١٢) هيدبه : الذى يتدلى ويدنو من
الأرض . (١٣) حشكت : امتلأت . (١٤) أخلاقه : الفروع للشاة . (١٥) أكنافه : نواحيه . (١٦)
مرَّجس : مصوت . (١٧) مختلس : كأنه يختلس البصر لشدة لمعانه . (١٨) وانتبت : أخرج ترابها . (١٩)
الوجر : سرب التعلب والضيع . (٢٠) بالآجال : قطعان البقر . (٢١) الصيران : البقر . (٢٢) الرتال :
النعام . (٢٣) التلاع : مجارى ما ارتفع من الأرض . (٢٤) النبع : شجر يتخذ منه القسي . (٢٥) الغنم :
الزيتون الجبل . (٢٦) الصَّحْم : التى تعلوها حمرة . (٢٧) المعصم : الذى تمسك بالجباه وامتنع فيها .
(٢٨) مجرَّتَيْنِ : متقيض . (٢٩) داحص : الذى يقصص برجليه عند الموت . (٣٠) المجرجم : المصروع .

٢٠ - أعرابي آخر يصف الجذب ثم المطر *

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً من غنى يذكر مطراً صاب بلادهم في غب جذب فقال : تدارك ربك خلقه وقد كلبت ^(١) الأمحال ، وتقاصرت الآمال ، وعكف اليأس ، وكُظمت الأنفاس ، وأصبح الماشي ^(٢) مصرماً ^(٣) ، والمُترب مُعدماً ، وجُفِيت الحلائل ، وامتهنت العقائل ^(٤) ، فأنشأ سحاباً زكاماً ، كنهوراً ^(٥) سَجَاماً ، بَرُوقه متألقة ، ورُعوده مُتَقَعِّعة ، فَسَحَّ ساجياً ^(٦) راكداً ^(٧) ، ثلاثاً غير ذى فَوَاقٍ ^(٨) ، ثم أمر ربك الشمال فطحرت ^(٩) زكامه ، وفرقت جهامه ^(١٠) ، فانقشع محموداً ، وقد أحيا وأغنى ، وجاد فأروى ، والحمد لله الذى لا تُكْتُ ^(١١) نعمه ، ولا تنفد قِسْمُهُ ، ولا يخيب سائله .

٢١ - نصيحة أعرابي *

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً من بنى مرة يعظ ابناً له وقد أفسد ماله في الشراب فقال : لا الدهر يعظلك ولا الأيام تُنْذِرُكَ ، والساعاتُ تُعَدُّ عليك ، والأنفاس تُعَدُّ منك ، أحبُّ أَمْرِيكَ إِلَيْكَ ، أرْذُهُمَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ .

وسمعت أعرابياً يقول لأخ له : اعلم أن الناصح لك المُشْفِقُ عَلَيْكَ من طالع لك ما وراء العواقب برويته ونظره ، ومثل لك الأحوال المُخْوَفةُ عَلَيْكَ ، وخلط الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ، ليكون خَوْفُكَ كِفَاءَ رَجَائِكَ ، وشُكْرُكَ إِزَاءَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ ، وأن الغاش لك والحاطبُ عَلَيْكَ مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْإِغْتِرَارِ ، ووطأ لك مِهَادَ الظلم ، تابعاً لمرضاتك ، منقاداً لهواك .

(٣٠) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٧٣ : مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .
(١) كلبت : اشتدت . (٢) صاحب الماشية . (٣) المصرم : المعدم . (٤) العقائل : الكرام . (٥) الكنهور : قطع كأنها الجبال . (٦) قصب ساكناً . (٧) راكد : ثابت . (٨) فواق : إن يصب فيسكن فيصب أخرى . (٩) طحرت : أذهبت . (١٠) الجهام : السحاب الذى هراق ماء . (١١) نكت : تحصي .
(٣١) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ : مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .

قال أعرابي : لا يوجد العجیل محمودًا ، ولا الغضوب مسرورًا ، ولا الملول ذا إخوان ، ولا الحر حريصًا ، ولا الشره غنيا .

وقال أعرابي : صن عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، وتحدثك بمجانبة الخيلاء ، وغفلتك بالإجمال في الطلب ، أقبح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

٢٣ - أعرابي بليغ *

ذكر أعرابي قومًا فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجارب ، ولم تغرهم السلامة المنطوية على الهلكة ، وجانبوا التسويف الذي به قطع الناس مسافة أجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بالفعال .

٢٤ - وصية أعرابي *

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يوصي ابنه فقال : ابذل المودة الصداقة تستفد إخوانا ، وتتخذ أعوانا ، فإن العداوة موجودة عديدة ، والصداقة مُستعززة ، جنب كرامتك اللثام ، فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا ، وإن نزلت شديدة لم يصبروا .

٢٥ - حسناء .. يصفها أعرابي *

سئل أعرابي عن امرأة فقال : هي أرق من الهواء ، وأطيب من الماء ، وأحسن من الثعالب ، وأبعد من السماء .

(٢٢) * ورد الحديثان في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٩ ، ٣٠ ؛ مستند إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٢٣) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢١ ؛ مستند إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٢٤) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٩٧ ؛ مستند إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

(٢٥) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٩٨ ؛ مستند إلى ابن دريد عن الرياشي عن العتيبي .

* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٩٨ ؛ مستند إلى ابن دريد عن الرياشي عن الأصمعي .

قبل لأعرابي قديم الحضرة : ما أقدمك ؟ فقال : الْحَيِّينَ الَّذِي يَغْطِي الْعَيْنَ .

٣٧ - أَعْرَابِي يَتَوَلَّى مُتَنْصِبًا عَامًّا *

ولمّا جعفر بن سليمان أعرابياً بعض مياهم ، فخطبهم يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، فخذوا لمقرمكم من مكرم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حبيبتهم ، ولغيرها خلقتهم ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس ما ترك ، وقالت الملائكة ما قدم ، فله آباؤكم ! قدموا بعضاً ، يكن لكم قرضاً ، ولا تخلقوا كُلاً ، يكن عليكم كُلاً ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

٣٨ - أَعْرَابِي يُوَاجِهُ التَّهْدِيدَ بِالْكُدْيَةِ *

حج عتبة سنة إحدى وأربعين - والناس قريبٌ عهدهم بفتنة - فصلى بمكة الجمعة ، ثم قال : أيها الناس ، إنا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر ، وعلى المسيء فيه الوزر ، ونحن على طريق ما قصدنا ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع دوننا ، ورب متمن حثفه في أمنيته ، فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم ، وإياكم ولوا فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن تريح من بعدكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كُلاً على كل . فصاح به أعرابي : أيها الخليفة ، فقال : لست به ولم تبع ، فقال : يا أخاه : يا أخاه ، فقال : سمعت فقل ، فقال : تالله أن تُحسبوا وقد أسأنا ، خيرٌ من أن تُسببوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان لكم دوننا فما أحقكم باستتمامه وإن كان ميتاً ،

(٣٦) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٩٨ : مستنداً إلى ابن دريد عن الرباشي عن الأصمعي .
(٣٧) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ : مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٣٨) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٣٦ : مستنداً إلى ابن دريد عن أبي عثمان عن العتيبي عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعيد ، وورد الحديث في العقد الفريد ج ٣ ص ١٤٣ .

فما أولاكم بمكافئنا، رجل من بنى عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقرب إليكم بالختولة ، قد كثره العيال ، ووطئه الزمان ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر . فقال عتبة : أستغفر الله منكم ، وأستعينه عليكم ، قد أمرنا لك بفنائك ، فليت إسراعتنا إليك ، يقوم بإبطائنا عنك .

٣٩ - بلاغة أعرابي *

قال أعرابي لصديق : دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ، فليس من حكي عنك نُكرًا ، تُوَسِّعُهُ فِيك عُذْرًا .

وقال أعرابي كبير السن : أصبحت والله تقيدي الشجرة ، وأعثر بالبعرة ، وقد أقام الدهرُ صعري بعد أن أقمت صعره .

٤٠ - مشادة بين أعرابية وزوجها *

قال الأصمعي : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول : والله إن شريك لاشتفاف ، وإن ضجعتك لانجفاف^(١) ، وإن شملتك لالتفاف ، وإنك لتشبع ليلة تُصاف ، وتنام ليلة تخاف ، فقال لها : والله إنك لكرواء الساقين ، قعواء الفخذين ، مقاء الرفقين ، مفاضة الكشحين ، ضيفك جائع ، وشرك شائع .

٤١ - الأصمعي يقصد أعرابيًا عجوزًا *

قال الأصمعي : قدم علينا البصرة رجل من أهل البادية شيخ كبير فقصدته فوجدته يخضب لحيته ، فقال : ما حاجتك ؟ فقلت : بلغني ما خَصَّكَ الله به فجئتك

(٣٩) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي : مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٤٠) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٠٤ ، مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .
(١) الانجفاف : الانصراف .

(٤١) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

أقتبس من علمك ، فقال : أتيتني وأنا أخضب وإن الخضب لمن علامات الكبر ، وطال والله ما غدوت على صيد الوحوش ، ومشيت أمام الجيوش ، واختلت بالرداء وهوت بالنساء ، وثرثت الضيف ، وأرويت السيف ، وشربت الراح ، ونادمت الجحجاج ^(١) ، فالיום قد حناني الكبر ، وضعف مني البصر ، وجاء بعد الصفو الكدر ، ثم قبض على لحيته وأنشأ يقول :

شيبٌ تُغَيِّبه كيما تَغْرِيه كبيعك الثوب مطويًا على حرق
قد كنت كالغصن ترتاح الرياح له فصرت عُودًا بلا ماء ولا ورق
صبرًا على الدهر إن الدهر ذو غيرٍ وأهلُّه منه بين الصفو والرنق

٤٢ - الأصمعي يقوِّز على أعرابي *

قال الأشناداني : كنا يومًا في حلقة الأصمعي ، إذ أقبل أعرابي يرقل في الخزوز ، فقال : أين عميدكم ؟ فأشرنا إلى الأصمعي ، فقال : ما معنى قول الشاعر :

لا مال إلا العطاف تُوزرُه أم ثلاثين وأبنة الجبل
لا يرتقى الثُرَى ذلاذله ولا يُعدَّى تعلية عن بلل؟
قال : فضحك الأصمعي وقال :

عَصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضْمِنُهَا لِيَصِبَ تَلْقَى مَوَاقِعَ السَّبِيلِ
أو وجبة من جناحٍ أَشْكَلُهُ إن لم يُرْعَهَا بالقوس لم تُنَلِ

(١) الجحجاج : السيد الكريم .

(٤٢) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ : مستدًّا إلى ابن دريد عن الأشناداني . ومغزى الحديث أن الأعرابي جاء يعرض على الأصمعي أبياتًا تاذرة ظلم منه أن لم يسمع بها أحد ، فلو جئ بالأصمعي يحفظ بقية القصيدة فولى مدبراً .

٤٣ - أعرابي يصف قومه*

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يذكر قومه فقال : كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام ، خطرت بينهم السهام ، بوفود الحِمام ؛ وإذا تصافحوا بالسيوف فَغَرَّتْ^(١) المنايا أفواها ؛ فربَّ يومٍ عارم قد أحسنوا أدبه ، وحرب عبوسٍ قد ضاحكتها أسننتهم ، وخطبٍ شَيِّزٍ^(٢) قد ذلّلوا مناكبه ، ويومٍ عَمَّاسٍ^(٣) قد كشفوا ظُلمه بالصبر حتى ينجلي ؛ إنما كانوا البحر الذي لا يُنكش^(٤) غَمَارُهُ ، ولا يُنْتَهه تيارُهُ .

٤٤ - أعرابي يحسن التخلص*

ذكر أعرابي رجلاً فقال : ماله لُجْ أمه ، فرفعوه إلى السلطان ، فقال : إنما قلت مَلَجَ أمه . قال أبو بكر قال أبو العباس : لُجها : نكحها وملجها وضعها .

٤٥ - أعرابي فصيح*

قدم أعرابي البصرة فنزل على قوم من بنى العنبر وكان فصيحاً ، فكتنا نسير إليه فلا نعدم منه فائدة ، فجُدِرَ ثم برأ فأتيناه يوماً فأنشدنا :

ألم يأتها أنى تلبَّستُ بعدها مُفَوِّةً صَنَاعُهَا غيرَ أخرقا
وقد كنت منها عارياً قبل لُبْسها فكان لِبَاسِهَا أمرٌ وأعلقا^(١)

(٤٣) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأماي ، ص ١٣٩ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبيد الرحمن عن عمه .

(١) فغرت : فتحت . (٢) شيز : مقلق . (٣) عماس : شديد . (٤) ينكش : ينزع .

(٤٤) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأماي ، ص ١٣٧ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن ثعلبي .

(٤٥) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأماي ، ص ٢٨٣ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبيد الرحمن عن عمه .

(١) أعلق : أى أشد مرارة ، وقد قال القائل : إن هذه أول كلمة سمعها من ابن دريد في أول درس

حضره له .

٤٦ - بلاغة غلام*

مر مُتَسِرٌّ^(١) من العرب بغلام يرعى غَنِيْمَةً له وبينه وبين أهله شعب أو نقب ، فترك غنمه وأسند في الجبل فأتى قومه فأنذروهم ؛ فقالوا له : ما رأيت ؟ قال : رأيت سبعة كالرماح ، على سبعة كالقداح ؛ غائرة العيون ، لواحق البُطُون ، مُلْسُ المُنْتُون ؛ جريئها ابتثار^(٢) ، وتقريبها انكدار^(٣) ، وإرخاؤها استعار ؛ وعهدى بهم قد لذوا بالضلع ، وكأنكم بغيرهم قد سطع ، فلم يفرغ من كلامه حتى رأوا الغيرة فاستعدوا ، وصادفهم القوم حاذرين فأدبروا عنهم .

٤٧ - أعرابي يصف خيلاً*

سمعت أعرابياً يصف خيلاً فقال : سَبَاطُ الخَصَائِلِ^(١) ، ظمَاءُ المفاصل ، شداد الأياجل^(٢) ، قَب^(٣) الأياطل^(٤) ، كرام التواجل^(٥) .

٤٨ - أعرابي يصف إبلاً*

سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال : إنها لِعِظَامُ الحَنَاجِرِ^(١) ، سباط المشافر ، كُوم^(٢) بهازر^(٣) ، نَكْد^(٤) حَنَاجِر ، أجوافها رَغَاب ، وأعطانها رَحَاب ، تُمنع من البُهم ، وتُبذل للجمم .

(٤٦) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٤٤ : مستنداً إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبي .

(١) المنسر : جماعة الخيل وتستخدم في العامة المصرية الآن بمعنى العصاية فيقال : «شيخ منسر» .

(٢) شدة الجري . (٣) السرعة المتوسطة . (٤) الجبل الصغير .

(٤٧) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٥١ : مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(١) لحم الفخذ . (٢) القوائم . (٣) ضمامرة . (٤) الكشح . (٥) الذرية .

(٤٨) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٥١ : مستنداً إلى أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه .

(١) واحدها حنجرور وهو الحلقوم . (٢) جمع أكوام . (٣) العظام . (٤) النكد : الغزيرة .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي يحكي الربذة : ألك بَنُون ؟ قال : نعم ، وخالقهم
 لم نَقَمْ عن مثلهم مُنجية ، فقلت : صِفْهم لِي ، فقال : جَهْمٌ وما جَهْمٌ ! يُنْضِي ^(١) الوهم ^(٢) ،
 ويَصُدُّ الدُّهْم ^(٣) ، وَيَقْرَى ^(٤) الصَّفُوفَ ، وَيَعْلُ الشُّيُوفَ ؛ ثُمَّ مَنْ ؟ قال : غَشْمَشْم وما
 غَشْمَشْم ! مَالُهُ مُقْسَمٌ ، وَقِرْنُهُ مُجْرَجَمٌ ^(٥) ؛ جِذْلٌ حَكَكٌ ، وَمِذْرَةٌ ^(٦) لِكَأَك ^(٧) ؛ قلت : ثُمَّ
 مَنْ ؟ قال : عَشْرَبٌ وما عَشْرَبٌ ! لَيْثٌ مُحْرَبٌ ^(٨) ، وَسِمَامٌ مُقَشَبٌ ^(٩) ؛ ذِكْرَةٌ بَاهِرٌ ^(١٠)
 وَخَصْمُهُ عَائِرٌ ، وَفَنَافِئُهُ رُحَابٌ ، وداعيه مُجَابٌ ؛ قلت : فَصِفْ لِي نَفْسَكَ ، فقال : لَيْثٌ
 أَبُو رِيَابِلٍ ، رُكَّابٌ مَعَاضِلٌ ، عَسَافٌ مَجَاهِلٌ ، حَمَّالٌ جَعْبَاءٌ ، نِهَاضٌ بِيْزَلَاءٌ .

٥٠ - الرواد والجذب*

أجديت بلاد مَذْحِجَ فَأَرْسَلُوا رُؤَادًا مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلًا ، فَبَعَثَتْ بَنُو زَيْدٍ رَائِدًا ،
 وَبَعَثَتْ النُّخَعُ رَائِدًا ، وَبَعَثَتْ جُعْفَى رَائِدًا ، فَلَمَّا رَجَعَ الرُّؤَادُ قِيلَ لِرَائِدِ بْنِ زَيْدٍ : مَا
 وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا مَوْشَمَةً ^(١) الْبَقَاعَ ، نَاقَةً ^(٢) الْتِقَاعَ ؛ مُسْتَحْلَسَةً ^(٣) الْغَيْطَانَ ،
 صَاحِكَةً الْقُرْيَانَ ^(٤) ؛ وَاعْدَةً ^(٥) وَأَحْرَ يَوْفَانَهَا ، رَاضِيَةً أَرْضَهَا عَنْ سَمَائِهَا ^(٦) . وَقِيلَ لِرَائِدِ
 جُعْفَى : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ أَرْضًا جَمَعَتْ السَّمَاءُ أَقْطَارَهَا ، فَأَمْرَعَتْ أَصْبَارَهَا ^(٧) ،

(٤٩) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٥٢ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .
 (١) يُنْضِي : يُهْزِل . (٢) الوهم : الضخم العظيم من الإبل . (٣) الدهم : العدد الكثير . (٤) يقرى :
 يشق . (٥) المجرم : المصروع . (٦) الجذل : أصل الشجرة . (٧) المذرة : لسان القوم والتكلم عنهم
 والمدافع عنهم . (٨) لكأك : زحام . (٩) مُحْرَبٌ : المغضب . (١٠) مقشب : مخلوط . (١١) باهر :
 غالب . وأسماء بنيه هي : جهم وغشمشم وعشرب ، واسمه هو «ليث» ، وفي الحديث دلالة على رغبة
 ابن دريد في التأكيد على أن «أسماء» العرب لها دلالات مقصودة ، وهو ما توسع فيه في كتابه
 «الاشتقاق» .

(٥٠) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٨٠ ، ١٨١ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن السكن عن
 محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه عن أشياخ من بني الحارث .
 (١) موشمة : بدا فيها الثياب . (٢) ناقة : راشحة . (٣) مستحلسة : غطاها النبت . (٤) القرينان :
 مجازي الماء . (٥) واعدة : تعد تمام نباتها وغيرها . (٦) السماء : الغيث . (٧) أصبارها : ما علا من .
 الروادي .

وديثت أوعارها^(٨) فبطانها غمقة^(٩) ، وظهرانها^(١٠) غدقة^(١١) ، ورياضها مستوسقة^(١٢) ، ورقاقها^(١٣) رائح^(١٤) ، وواطئها سائح^(١٥) ، وماشيا^(١٦) مسرور ، ومصرمها^(١٧) محسور . وقيل للتحعى : ما وراءك ؟ فقال : مدّاحي سيل ، وزهاء^(١٨) ليل ، وغيل^(١٩) يواصى غيلا ؛ قد ارتوت أجزازها^(٢٠) ، ودُمّت^(٢١) عزازها^(٢٢) - وقال مرة : ودُمّت - والتبَدّت أفوازها^(٢٣) ؛ فرائدُها أتيق^(٢٤) ، وراعياها سيق^(٢٥) ؛ فلا قضض^(٢٦) ، ولا رَمَض ؛ عازبها^(٢٧) لا يُفزع ، وواردها لا يُنكع^(٢٨) ؛ فاخثاروا مرّاذ التحعى .

٥١ - أعرابية تثني على زوجها*

وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها فقالت : يا أمّه ، من نشر ثوب الشئاء فقد أدّى واجب الجزاء ، وفي كتمان الشكر جحود لما وجب من الحق ، ودخول في كُفر النعم ؛ فقالت لها أمها : أى بُنيّة ! أطيتِ الشئاء ، وقُمتِ بالجزاء ، ولم تدعى للذم موضعاً ؛ فقالت : يا أمّه ، ما مدحتُ حتى اختبرت ، ولا وصفت حتى عرفت .

٥٢ - عبد الملك وأعرابي ماح*

وَقَدْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَنَّةَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ :
وَاللّٰهُ مَا نَدْرِي إِذَا مَا فَاتَنَا طَلَبٌ إِلَيْكَ مِنْ الَّذِي نَتَطَلَّبُ

(٨) أوعارها : الخشونة . (٩) غمقة : ندية . (١٠) ظهرانها : ما ارتفع يسيرا . (١١) غدقة : كثيرة الببل والماء . (١٢) مستوسقة - منتظمة . (١٣) رقاقها : الأرض اللينة . (١٤) رائح : مفرطة اللين . (١٥) أى تسوخ رجلاه . (١٦) ماشيا : صاحب الماشية . (١٧) المصرم : المقل المال . (١٨) الزهاء : الأنوار . (١٩) الغيل : الماء الجاري . (٢٠) الأرض : القاحلة . (٢١) دُمّت : اليّن . (٢٢) العزاز : الصلب السريع السيل . (٢٣) القوز : تقى يستدير كالهلال . (٢٤) أتيق : معجب بالمرعى . (٢٥) سيق : البشم . (٢٦) القضض : صغار الخصى . (٢٧) عازبها : الذى يعزب بالبلد . (٢٨) ينكع : يمنع .
(٥١) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٢١ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .
(٥٢) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٨٣ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن الرياشى عن مسعود ابن بشر عن رجل من ولد عمرو بن مرة عن رجل من بنى ضنة .

فلقد ضرينا في البلاد فلم نجد
فأصبر لعادتنا التي عودتنا
أحدا سواك إلى المكارم يُنسبُ
أو لا فأرشدنا إلى من نذهبُ
فقال عبد الملك : إلى إلى ! وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه في العام المقبل فقال :
يَرُتُ الذي يأتي من الخير إنه
إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس كيان حين تم بناؤه
تبعه بالنقص حتى تهتما
فأعطاه ألفي دينار ، ثم أتاه في العام الثالث فقال :

إذا استمطروا كانوا مغاير في الندى
يوجدون بالمعروف عودا على بدء
فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

٥٢ - أعرابي ينصح النعمان*

لما توج النعمان واطمأن به سريه ، دخل عليه الناس وفيهم أعرابي فأنشأ يقول :
إذا سُست قوماً فاجعل الجود بينهم
وبينك تأمن كل ما تتخوف
فإن كُثِفَتْ عند الملمات عورةُ
كفاك لباسُ الجود ما يتكشفُ
فقال : مقبول منك نُصحك ، مِمَّنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من جَرَمٍ ؛ فأمر له بمائة
ناقة ؛ وهي أول جائزة أجازها .

٥٤ - أعرابي يصف النساء*

وصف أعرابي نساء فقال : يلتصمن على السبائك^(١) ، ويتشبحن على التيازك^(٢) ،

(٥٣) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٣٩ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن ابن حاتم عن أبيه عن
أبي عمرو بن العلاء .

(٥٤) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٤٢ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن بن عمه .
(١) السبائك : الأسنان الشديدة البياض . (٢) التيازك : الرماح القصيرة .

وَيَأْتِرُونَ عَلَى الْعَوَانِكِ^(٣)، وَيَرْتَفِقْنَ عَلَى الْأَرَانِكِ، وَيَتَهَادِينَ عَلَى الدَّرَانِكِ^(٤)؛ ابْتِسَامُهُنَّ وَمِضْضٌ، عَنْ وَلِيعٍ^(٥) كَالْأَغْرِضِ^(٦)؛ وَهُنَّ إِلَى الصَّبَاصُورِ^(٧)، وَعَنْ الْحَنَانُورِ.

٥٥ - دعاء أعرابي*

قال عبد الملك بن قُريب : سمعت أعرابياً يدعو الله وهو يقول : هَرَبْتُ إِلَيْكَ
نَفْسٌ يَا مُلْجَأَ الْهَارِبِينَ بِأَثْقَالِ الذُّنُوبِ أَحْمَلُهَا عَلَى ظَهْرِي ؛ لَا أَجِدُ شَافِعاً إِلَيْكَ إِلَّا
مَعْرِفَتِي بِأَنَّكَ أَكْرَمُ مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ الْمُضْطَرُونَ ، وَأَمَلٌ لَدَيْهِ الرَّاعِبُونَ ؛ يَا مَنْ فَتَقَ
الْعُقُولَ بِمَعْرِفَتِهِ ، وَأَطْلَقَ الْأَلْسُنَ بِحَمْدِهِ ؛ وَجَعَلَ مَا آمَنَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ كِفَاءً
لِتَأْدِيَةِ حَقِّهِ ؛ لَا تَجْعَلْ لِلْهَوَى عَلَى عَقْلِي سَبِيلاً ، وَلَا لِلْبَاطِلِ عَلَى عَمَلِي دَلِيلاً .

(٣) العوانك : واحدها عانك وهو رمل منعقد يشقى فيه البعير . (٤) الدرانك : العنناقس . (٥) ، (٦) ، (٧)

الإغريض والوليع : الطلح . (٧) صور : موائل . (٨) نور : نوافر .

(٥٥) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١١ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عبد الله عن عمه الأصمعي .

**أحاديث
من عالم الطرائف والنوادر**

(٥٦) الواشى والشاعر *

وشى واش بعبدالله بن همام السُّلُولى إلى زياد ، فقال له : إنه هجاك ، فقال :
أأجمع بينك وبينه ؟ قال : نعم ، فبعث زياد إلى ابن همام فأتى به ، وأدخل الرجل بيتاً ،
فقال زياد : يابن همام ، بلغنى أنك هجوتنى ، فقال : كلا ، أصلحك الله ! ما فعلت
ولا أنت لذلك بأهل ، فقال : إن هذا الرجل أخبرنى - وأخرج الرجل - فأطرق ابنُ
همام هُنيئةً ثم أقبل على الرجل فقال :

وأنت امرؤٌ إمّا اتَّمتنتك خالِياً فحنتَ وإمّا قلتَ قولاً بلا علم
فأثبتَ من الأمر الذى كان بيننا بمنزلة بيتن الخيانة والإثم

فأعجب زياد بجوابه ، وأقصى الواشى ولم يقبل منه .

(٥٧) لا تخلطوا جائزتى بغيرها *

رفع طُريح بن إسماعيل الثقفى حاجة إلى كاتب داود بن على ليرفعها إلى داود
وجاءه مُجَازِياً له فقال له : هذه حاجتك مع حاجة فلان - لرجل من الأشراف - فقال
طُريح :

تَخلُ بِحاجتى واشدُّدُ قُواها فقد أُمست بمنزلة الضياع
إذا راضعتها بلبيان أخرى أضُرُّ بها مُشاركة الرضاع

(٥٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٤٦ منسوباً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(٥٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٧٠ ، ٧١ : منسوباً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(٥٨) الشاعر والحائط وحمار الخليفة *

قال الكتنجي : أملتُ حتى لم يبقَ في منزلي إلا بارية ، فدخلتُ إلى دار المتوكل فلم أزل مُفكرًا فحضرني بيتان ، فأخذت قصبة وكتبت على الحائط الذي كنت إلى جنبه :

الرزق مقسوم فأجمل في الطلبِ يأتي بأسباب ومن غير سببٍ
فاسترزق الله ففى الله غنى الله خير لك من أبٍ حديبٍ

قال : فركب المتوكل في ذلك اليوم حمارًا وجعل يطوف في الحُجر ، ومعه الفتح بن خاقان ، فوقف على البيتين وقال : من كتب هذين البيتين ؟ وقال للفتح : اقرأ هذين البيتين ، فاستحسنهما وقال : من كان في هذه الحُجرة ؟ فقبل : الكتنجي ، فقال : أغفلناه وأسأنا إليه ، وأمر لى بيدرتين .

(٥٩) أربعة أبيات بأربعة آلاف *

قال المُفضَّل الضبي : دخلت على المهدي فقال لى قبل أن أجلس : أنشدنى أربعة أبيات لا تزد عليهن - وعنده عبد الله بن مالك الخزاعي - فأنشدته :

وأشعثٌ قد قدَّ الشفَّارُ قميصه يجترُ سواءً بالعصا غير مُنضَّجٍ
دعوت إلى ما نابنى فأجابنى كريمٌ من الفتيان غير مُزَلَّجٍ
فتى يعلأ الشيزى ويروى سينانه ويضرب فى رأس الكميِّ المُدجَّجِ
فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة ولا فى بيوت الحى بالمُتَوَلَّجِ

فقال المهدي : هو هذا - وأشار إلى عبد الله بن مالك - فلما انصرفت بعث إلى بألف دينار وبعث إلى عبد الله بأربعة آلاف درهم .

(٥٨) * ورد الحديث فى الأمالى : منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الأول عن الكتنجي .

(٥٩) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٦ : منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى زيد عن المُفضَّل الضبي .

(٦٠) شاعران .. وشيطان واحد*

خرج جرير والفرزدق مرتدّفين على ناقة إلي هشام بن عبد الملك ، فنزل جرير
يُول فجعلت الناقة تتلفت فضر بها الفرزدق وقال :

إلام تلفتين وأنت تحسني وخير الناس كلهم أمامي
متى تردي الرصافة تستريحى من التهجير والدّبر الدّوامى

ثم قال : الآن يجيء جرير ، فأنشده هذين البيتين فيردّ على :

تلفت أنها تحت ابن قين إلى الكبيرين والغاس الكهّام
متى ترد الرصافة تحزّز فيها كخزبك فى المواسم كل عام

فجاء جرير والفرزدق يضحك ، فقال : ما يضحكك يا أبا قراس ؟ فأنشده
البيتين ، فقال جرير : - تلفت أنها تحت ابن قين - كما قال الفرزدق سواء ، فقال
الفرزدق : والله لقد قلت هذين البيتين ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد .

(٦١) المعارضة من فوق المئذنة*

وخذنا أبو بكر بن دريد - رحمه الله - قال : جلس كامل الموصلى فى
المسجد الجامع يقرئ الشعر ، فصعد مَخْلَدُ الموصلى المنارة وصاح :

تأهبوا للحدث النازل قد قرئ الشعر على كامل
وكامل الناقص فى عقله لا يعرف العام من القابل
يهمة يخلط ألفاظه كأنه بعض بنى وائل

(٦٠) ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٣٥ : منسوباً إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى
عن أبى عبيدة .

(٦١) ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ : منسوباً إلى ابن دريد وحده .

وإنما المرء ابن عم لنا ونحن من كوثى ومن بابل
أذنابنا ترفع قمصاننا من خلفنا كالخشب الشائل

(٦٢) غرامة على الشاعر الرديء *

قال الأصمعي : نزلت بقوم من غنى مجتورين هم وقبائل من بنى عامر بن صعصعة فحضرت نادياً لهم وفيهم شيخ طويل الصمت عالم بالشعر وأيام الناس يجتمع إليه فتيانهم يشدونه أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الأرض قرعة بمحجن فى يده فينفذ حكمه على من حضر بيبكر للمشد ، وإذا سمع ما لا يعجبه قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة إن كان ذا غنم وابن مخاض إن كان ذا إبل ، فإذا أخذ ذلك ذبح لأهل النادى فحضرتهم يوماً والشيخ جالس بينهم فأنشد بعضهم يصف قطاة :

غدت فى رعييل ذى أداوى مَنُوطَةٍ بلباتها مَربوعة ^(١) لم تُمرِّخ
إذا سربخ عطت مجال سرائه تمطت فحطت بين أرجاء سربخ ^(٢)

فقرع الأرض بمنحجنه وهو لا يتكلم ، ثم أنشده آخر يصف ليلة :

كان شميظ الصبح فى أخرياتها ملاء ينقى من طيالسة خُضِرِ
تخال بقاياها التى أسار الدجى تمُدُّ وشيعاً فوق أردية الفجر

فقام كالمجنون مصلاً سيفه حتى خالط البرك ^(٣) ، فجعل يضرب يميناً وشمالاً وهو يقول :

لا تفرغن فى أذنَى بعدها ما يستفز فأريك فقدها
إنى إذا السيف تولى نَدَّها لا أستطيع بعد ذاك رَدَّها

(٦٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ منسوباً إلى ابن دريد عن أبى حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي .

(١) تمرخ : تلين . (٢) سربخ : أرض واسعة ، عطت : شقت . (٣) البرك : الإبل المجتمعة .

مات المهلب بمرور الرّوذ بخراسان ، وكانت ولايته أربع سنين ، فقال نهارٌ بن
توسعة :

ألا ذهب الغزو المقرب للغيثي ومات الندى والحزم بعد المهلب
أقاما بمرور الرّوذ رهن ضريحه وقد غُيِّبَا عن كل شرقٍ ومغرب

ثم ولي بعده قُتيبة بن مسلم ، فدخل عليه نهارٌ فيمن دخل وهو يعطى الناس
العتاء ، فقال : من أنت ؟ قال : نهار بن توسعة ، قال : أنت القاتل في المهلب ما قلت
قال : نعم ، وأنا القاتل :

وما كان مُدْكُنًا ولا كان قبلنا ولا كائنٌ من بعد مثل ابن مسلم
أعم لأهل الشرك قتلاً يسيفه وأكثر فينا مغنماً بعد مغنم

قال : إن شئت فأقتل ، وإن شئت فأكثر ، وإن شئت فأحمد ، وإن شئت فذم ،
لا تصيب مني خيراً أبداً ، يا غلام ، أقرض اسمي من الدفتر ، فلزم منزله حتى قتل قتيبة
وولي يزيد ، فأتاه فدخل عليه وهو يقول :

إن كان ذنبى يا قتيبة أنسى مدحتُ امرأً قد كان في المجد أوحداً
أبا كل مظلوم ومن لا أبأله وغيث مُغيثات أطلن التلذذاً
فشأنك إن الله إن سؤت مُحسنٌ إلى إذا أبقى يزيد ومخلداً

قال : احتكم ، قال : مائة ألف درهم ، فأعطاه إياها . وقال أبو عبيدة مرة أخرى :
بل كان الممدوح مخلد بن يزيد ، وكان خليفة أبيه على خراسان ، فكان نهار يقول بعد
موته : رحم الله مخلداً فما ترك لى بعده من قول .

(٦٣)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ : منسوباً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن
أبي عبيدة .

أوفد المهلب كعب بن معدان الأشقري حين هَزَمَ عبد ربه الأصغر وأجلى قَطْرِيَّاً حتى أخرجه من كرمان نحو أرض خراسان ، فقال له الحجاج : كيف كانت محاربة المهلب للقوم ؟ قال : كان إذا وجد الفرصة سار^(١) كما يَسُورُ الليث ، وإذا دهمته الطَّحْمة^(٢) راغ كما يروغ الثعلب ، وإذا ماذَه القوم صبر صبر الدهر ، قال : وكيف كان فيكم ؟ قال : كان لنا منه إشفاق الوالد الحَدَب ، وله منا طاعة الولد البِرّ ، قال : فكيف أفلتكم قَطْرِيَّاً ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه به ، والأجل أحصن جُنَّةً وأنفذ عُدَّةً ، قال : فكيف اتبعتم عبد ربه وتركتموه ؟ قال : أثَرنا الحدَّ على الفلّ^(٣) ، وكانت سلامة الجُند أحبُّ إلينا من شجب^(٤) العدو ، فقال له الحجاج : أكنت أعددت هذا الجواب قبل لقائى ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله .

(٦٥) شاعر بين ملكين *

كان قيس بن رفاعه يقد سنة إلى النعمان اللخمي بالعراق وسنة إلى الحارث بن أبي شيمر الغساني بالشام ؛ فقال له يوماً وهو هنده : يابن رفاعه ، بلغنى أنك تفضل النعمان على^(١) ، قال : وكيف أفضله عليك أبيت اللعن ! فوالله لققاك أحسن من وجهه ، ولأُمُّك أشرف من أبيه ، ولأبوك أشرف من جميع قومه ، ولشِمَالُك أجود من يمينه ، ولحِرمَانُك أنفع من نداء ، ولقَلِيلُك أكثر من كثيره ، ولثِمَادُك^(٢) أغزر من غديره ، ولكرسِيك أرفع من سريره ، ولجَدْوْلُك أغمر من بحوره ، وليومُك أفضل من شهوره ، ولشَهْرُك أمدُّ من حوله ، ولحَوْلُك خير من حُبِّه^(٣) ، ولزَنْدُك أورى من زنده ، ولجُنْدُك أعز من جنده ، وإنك لَمِينٌ غسان أرياب الملوكة ، وإنه لمن لُحْم الكثيرى الثَّوْك ، فكيف أفضله عليك !

(٦٤) ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٥ ؛ منسوبة إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد .

(١) سار : وثب . (٢) الطحمة : جماعة الناس ، ويريد جند العدو . (٣) الشجب : الهلاك .

(٦٥) ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة .

(١) الثماد : الماء المقليل . (٢) الحقب : الزمن الطويل .

قُتِلَ سَيْمَاقُ بْنُ حَرِيمٍ أَخُو مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ ؛ قَتَلَهُ مِفْرَادُ غِيلَةَ فَلَمْ يَدْرِ مَالِكُ مِنْ قَتْلِهِ
 حَتَّى أَخْبِرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلُوا أَخَاهُ ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ وَقَتَلَ قَاتِلَ أَخِيهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا رَاكِبًا بِلُغْنٍ وَلَا تَدَعْنِ بَنِي قُمَيْرٍ وَإِنْ هُمْ جَزَعُوا
 كَيْ يَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقَدْ أَصْبَحْتُ نِصْوًا وَمَسْنَى الْوَجَعِ
 لَا أَسْمَعُ اللَّهْوَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَنْفَعُنِي فِي الْفِرَاشِ مَضْطَجَعُ
 لَا وَجْدٌ تَكْلِي كَمَا وَجَدْتُ وَلَا وَجْدٌ عَجُولٍ أَضْلُهُا رُبْعُ
 أَوْ وَجْدٌ شَيْخٍ أَضْلَ نَاقَتِهِ يَوْمَ رَوَّاحِ الْحَجِيجِ إِذْ دَفَعُوا
 يَنْظُرُ فِي أَوْجُهُ الرِّجَالِ فَلَا يَعْرِفُ شَيْقًا فَالْوَجْهَ مُلْتَمِعُ
 بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيْدَكُمْ فَالْيَوْمَ لَا قَدِيدَةَ وَلَا جَزَعَ
 جَلَلْتُهُ صَارِمَ الْحَدِيدَةِ كَالِـ مَلَحٍ وَفِيهِ سَفَاسِقٌ ^(١) لُتْعُ
 تَرَكْتُهُ بِأَدْيَا مَضَّاحِكِهِ يَدْعُو صَدَاهُ وَالرَّأْسَ مُنْصَدِعُ
 بَنِي قُمَيْرٍ تَرَكْتُ سَيْدَكُمْ أَثْوَابُهُ مِنْ دِمَائِهِ رُدْعُ ^(٢)
 فَالْيَوْمَ صِرْنَا عَلَى السَّوَاءِ فَإِنْ أَبْقَ فَنَذْهَرِي وَدَهْرُكُمْ جَذْعُ
 لَمْ أَكُ فِيهَا لَمَّا بُلِيتُ بِهَا نَثُومَ لَيْلٍ يَغْرُنِي الطَّمْعُ

(٦٦) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمل، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن السكن عن أبيه عن الكلبي .

(١) سَفَاسِقُ السَّيْفِ : طرائقه التي يقال لها الفرند . (٢) رُدْعُ : متلطفة .

(٦٧) عندما يكون الشاعر راوية نفسه *

قال الهيثم بن عدى : أنشدنى مُجالد بن سعيد شعراً أعجبنى فقلت له : من أنشدك ؟ قال : كنا يوماً عند الشعبى فتناشدنا الشعر ، فلما فرغنا قال الشعبى : أيكم يُحسن أن يقول مثل هذا ؟ وأنشدنا :

أَعَيْنَى مَهلاً طالما لم أقل مَهلاً وما سَرَقاً ميلان قُلْتُ ولا جهلاً
وإن صِبا ابن الأربعين سفاهةً فكيف مع اللاتى مُثِلت بها مثلاً
يقول لى المُفتى وَهُنَّ عَشِيَّةٌ بمكة يَسْحَبْنَ المَهْدَبَةَ السُّحلاً^(١)
تَقِ الله لا تنظر إليهنَّ يا فتى وما خِلْتُنِي فى الحجِّ مُلْتَمِئاً وصلاً
ووالله لا أنسى وإن شَطَطَتِ النُّوى عرانيهنَّ الشُّم والأعين النُّجلاً
ولا المِسْكُ من أعرافِهِنَّ ولا البُرا جَواعِل فى أوساطها قصباً خَدلاً
خليلى لولا الله ما قلت مرَّحِباً لأول شِيَباتِ طُلُوعِ ولا أَفْلاً
خليلى إن الشُّيْبَ داءٌ كَرِهْتُهُ فما أحسن المرعى وما أقيح المحلاً

قال الهيثم : قال مجاهد : فكتبتنا الشعر ثم قلنا للشعبى : من يقول هذا ؟

فسكت ، فَخِيلَ إلينا أنه قائله .

(٦٨) حديث موسى شهوات *

قال موسى شهوات يهجو عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ويمدح عمر بن موسى بن طلحة بن عبد الله :

(٦٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٢٤ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن العكلى عن الحرمازى .

(١) السُّحلاً : أراد السُّحْل فسكن الحاء وهى ثياب بيض . السُّحْل : الثوب من القطن .

(٦٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٩١ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة .

تُبَارَى ابن موسى يابن موسى ولم تكن
تُبَارَى امرأً يُسْرَى يديه مُقيدةٌ
فإنك لم تُشبه يداك ابن مَعْمَرٍ
وفيك وإن قيل ابن موسى بن معمر
ثلاثة أعراقٍ فَعِرْقٌ مُهَذَّبٌ
وعِرْقَانِ شَانَا مَا أَصَابَا فَأَفْقَدَا
يَدَاكَ جميعاً تَعْدِلَانِ لَهُ يَدَا
وَيُمْنَاهُمَا تَبْنِي بِنَاءً مُشِيدَا
ولكنما أَشْبَهْتَ عَمَّكَ مَعِيدَا
عُرُوقٌ يَدْعُنُ المَرْءَ ذَا المَجْدِ قُعْدَا^(١)
وعِرْقَانِ شَانَا مَا أَصَابَا فَأَفْقَدَا

قال ابن دريد : وله حديث ذكره أبو عبيدة في المثالب .

(٦٩) عَقَرُوا الرِّوَاهِلَ عَلَى قَبْرِهِ وَرَثُوهُ *

لما مات عمرو بن حُصَمَةَ الدُّؤَسَى ، وكان أحد من تتحاكم إليه العربُ ، مرَّ بقبره
ثلاثة نَفَرٍ من أهل يثرب قادمين من الشام : الهِذَمُ بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد
أبو كلثوم بن الهدم ، الذى نزل عليه النبى ﷺ ؛ وَعَتِيكَ بن قيس بن قَيْشَةَ بن أمية
ابن معاوية ؛ وحاطب بن قيس بن قَيْشَةَ الذى كانت يسببه حرب حاطب ؛ فعقروا
رواحلهم على قبره ، وقام الهِذَمُ فقال :

لَقَدْ ضَمَتِ الأَثَرَاءُ مِنْكَ مُرْزَأُ
حَلِيمًا إِذَا مَا الحِلْمُ كَانَ حَزَامَةً
إِذَا قُلْتَ لَمْ تَتْرَكَ مَقَالًا لِقَائِلِ
لِيَبْكِيكَ مَنْ كَانَتْ حَيَاتُكَ عِزَّةً
سَقَى الأَرْضَ ذَاتَ الطُّولِ والعَرَضِ مُنْجِمَ
وَمَا بِسَى سُقْيَا الأَرْضِ لَكِنْ تَرَبَّةً
عَظِيمَ رَمَادِ النَّارِ مُشْتَرِكَ القَيْدِ
وَقُورًا إِذَا كَانَ الوُقُوفُ عَلَى الجَمْرِ
وَإِنْ صُلْتَ كُنْتَ اللَّيْثُ يَحْمَى حِمَى الأَجْرِ
فَأَصْبَحَ لَمَّا بَنَتْ يُغْضَى عَلَى الصَّغْرِ
أَحْمَ الرِّحَا وَاهَى العُرَى دَائِمَ القَطْرِ
أَضْلَكَ فِى أَحْشَائِهَا مَلْحَدُ القَبْرِ

(١) قُعْدَا : القُعْدَةُ القُعْدَةُ اللِّثِمُ الأَصْلُ .

(٦٩)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأملى ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه
عن ابن الكلبي عن ابن مسكين .

وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلى والجود والمجد والندى
لقد غال صرف الدهر منك مُرْزَأُ
يضم العفأة الطارقين فناؤه
فإما تُصَبِّنا الحادثات بنكية
فلا تبعدن إن الحثوف موارد
وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذى ضمَّ أعظما
سلام عليه كلما ذرَّ شارق
فلو نطق أرض لقال تُرابُها
فلا يبعدنك الله حياً وميتاً
تحوم المعالى حوله وتسلمُ
وما امتد قطع من دجى الليل مظلمُ
إلى قبر عمرو الأزد حل التكرم
فقد كنت نور الخطب والخطبُ مظلم

(٧٠) جرير .. ناقداً *

دخل جرير على بعض خُلفاء بنى أمية فقال : ألا تُحدثنى عن الشعراء ؟ قلت :
بلى ، قال : فَمَنْ أشعرُ الناس ؟ قلت : ابن العشرين - يعنى طرفة - قال : فما تقول
فى ابن أبى سُلَيمى والنابعة ؟ فقلت : كانا يُتيران الشعر ويُسدَيانه ، قال : فما تقول فى
امرئ القيس بن حُجْر ؟ قلت : اتَّخذ الخبيث الشعرَ نعلين يَطوُّهما كيف شاء ، قال :
فما تقول فى ذى الرُّمَّة ؟ قلت : قَدِرَ من الشعر على ما لم يقدرَ عليه أحد ، قال : فما

(١) الضَّابِل : الدواهي .

(٧٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأملى ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ . مستنداً إلى ابن ذرير عن أبى حاتم عن
عمارة بن عقيل عن أبيه عن جده وعن جرير .

تقول فى الأخطل ؟ قلت : ما باح بما فى صدره من الشعر حتى مات ، قال : فما تقول فى الفرزدق ؟ قلت : بيده نَبْعَةُ الشعر قابضًا عليها ، قال : فما أبقيت لنفسك شيئًا ! قلت : بلى ، والله يا أمير المؤمنين ، أنا مدينة الشعر التى يخرج منها ويعود إليها ، ولأننا سَبَحْتُ الشعر تسبيحًا ما سَبَّحَهُ أَحَدٌ قبلى ، قال : وما التسبيح ؟ قلت : نَسَبْتُ فأُطْرِفت ، وهجوت فأرذيت ^(١) ، ومدحت فأسنيت ، ورَمَلْتُ فأعَزَّرت ، ورَجَزْتُ فأبحرت ، فأنا قُلْتُ ضروريًا من الشعر لم يقلها أحد قبلى .

(٧١) حسن إنشاد الشعر *

قال أبو عمرو بن العلاء : سمعتُ جَنْدَل بن الراعى ينشد بلال بن أبى بردة قصيدة أبيه :

نَعُوسٌ إِذَا ذَرَّتْ جَرُوزٌ إِذَا غَدَّتْ بُؤْيُوزٌ عَامٍ أَوْ سَدِيسٌ كِبَازِلُ

فكاد صدرى ينفرج لحسن إنشاده وجودة الشعر .

(٧٢) نهم يتمنى *

قال رجل : أحب أن أرزق ضررًا طحونا ، ومعدة هضوما ، وسُرْمًا مُنْبَاقًا ^(٢) .

(٧٣) متخم وزوجته جائعة *

كان رجل من أهل الشام مع الحجاج يحضر طعامه ، فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك ، فكتبت إليه :

(١) أرذيت : أسقطت .

(٧١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٠ : مستندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء .

(٧٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٥٧ : مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) المنباق : المنذع .

(٧٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٣٦ : مستندًا إلى ابن دريد عن الأشنادانى .

أُبْهَدَى لى القُرطاسُ والخُبْزُ حاجتى
فَأَنْتَ عَلَى مَا فِى يَدَيْكَ ضَنِينَ
فَأَنْتَ كَكَلْبِ السَّوءِ جَوْعَ أَهْلِهِ
فَيَهْزُلُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَهُوَ سَمِينُ

(٧٤) أَشْعَبُ .. عَالِمًا *

قِيلَ لِأَشْعَبَ : قَدْ أَدْرَكَتِ النَّاسَ ، فَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ ؟ قَالَ : حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لِلَّهِ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَتَانِ» ثُمَّ سَكَتَ أَشْعَبُ ،
فَقِيلَ لَهُ : وَمَا النِّعْمَتَانِ ؟ فَقَالَ : نَسِىَ عِكْرَمَةُ وَاحِدَةً وَنَسِيتُ أَنَا الْآخَرَى .

(٧٥) زَمَانُ الْحَقِّقَى *

كَانَ بِالْمَدِينَةِ غُلَامٌ يُحَقِّقُ فَقَالَ لِأُمِّهِ : يُوشِكُ أَنْ تَرَيْنِى عَظِيمَ الشَّانِ ، فَقَالَتْ :
فَكَيْفَ ؟ وَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا^(١) أَحَقُّ مِنْكَ ! فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا رَجَوْتُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا مِنْ
حَيْثُ يَسْتَمُ مِنْهُ ، أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ هَذَا زَمَانُ الْحَقِّقَى وَأَنَا أَحَدُهُمْ .

(٧٦) غُلَامٌ غَرِيبُ الْأَسْمِ *

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : بَيْنَمَا أَنَا بِحِمَى صَرِيَّةٍ إِذْ وَقَفَ عَلَى غُلَامٍ مِنْ بَنَى أَسَدَ فِى أَطْمَارِ
مَا ظَنَنْتُهُ يَجْمَعُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، فَقُلْتُ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ : حَرِّيْقِيصُ ؛ فَقُلْتُ : أَمَّا كَفَى
أَهْلَكَ أَنْ يُسَمَّوكَ حَرَّقُوصًا^(٢) حَتَّى حَقَّرُوا اسْمَكَ ! فَقَالَ : إِنَّ السَّقَطَ لَيُحْرِقُ الْحَرَجَةَ^(٣) ؛

(٧٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأملى ، ص ٣١١ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن الدينى عن
السكونى عن الربيع ، ورواه صاحب العقد الفريد بلفظه ج ٦ ص ٣١٧ .

(٧٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأملى ، ص ٩٥ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .
(١) اللابة : الحرة ، جبل بالمدينة .

(٧٦) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأملى ، ص ٩٦ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن
الأصمعى ، والحديث يدل على ولع ابن دريد بتحليل الأسماء وهو الذى دفعه إلى وضع كتاب
«الاشتقاق» . والسقط الشرر الصغير والحرجة الغاية الكبيرة .

فعميت من جوابه ، فقلت : أئتيد شيئاً من أشعار قومك ؟ قال : نعم أنشدك لمراًنا ؛ قلت : افعل ؛ فقال :

سكنوا شُبَيْثًا والأحص ^(٣) وأصبحوا نَزَلْتُ منازلهم بثُو دُبيان
وإذا يقال أُنَيْتُمْ لم يبرحوا حتى تُقيم الخيل سوق طبعان
وإذا فلان مات عن أكرومة رَقَعُوا مَعَاوَزَ قَفَرِهِ بفلان

قال : فكادت الأرض تسوخ بي لحسن إنشاده وجودة الشعر ، فأنشدت الرشيد هذه الأبيات ، فقال : وَدِدْتُ يا أصمعي أن لو رأيتُ هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب .

(٧٧) الموت أرحم من زوجته *

قال الأصمعي : كنت مؤاخياً لرجل من أهل حمى صَبْرَةَ ، وكان جواداً رَثَ الحال ، فمررت به يوماً في بعض تَرَدُّدِي على الأحياء فإذا هو كَتِيبٌ ، فسألته عن شأنه فقال :

ثمانين حولاً لا أرى مِنْكَ راحة لَهَيْكَ في الدنيا لباقيّة العُمُرِ
فإن أنقلب من عُمُرِ صَعْبَةٍ سالماً تكن من نساء الناس لي بيضة ^(١) العُقرِ
والبيتان لَعُرْوَةَ الرُّحَالِ فَأَقْبِلت عليه أعْظَه وأصْبِرَه ، فأنشأ يقول :
فلو أن نفسي في يدي مُطِيعَتِي لأرسلتها ممّا ألقى من الهمِّ
ولو كان قَتْلُيها حلالاً قَتَلْتُها وكان وُزُوْدُ الموت خيراً من الغمِّ

(٧٧) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمل ، ص ٣٦ ؛ منسوقاً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

(١) من أمثال العرب «كانت بيضة العقر» أي فعلت الشيء مرة ولئن أعود إليه أبداً ، وصعبة : اسم زوجته .

تعرضت للأفعى أحاول وطأها
لعلنى أنجؤ من صُعيبه بالسُّم
فبارب أكفنيها وإلا فنجنى
وإن كان يومى قبلها فاقضين حتمى

(٧٨) زوجان بذيثان *

كانت أم كثير الضُّبَّة بَذْيَة ، وكان زوجها كذلك ، فاختصما عند بعض وُلاة
المياه ، فقالت له ، اسكت يا مُتَنِّ الخُصْمَتَيْن ، فقال : يَحِقُّ لهما أن يكونا كذلك ،
وهما طَبِيقًا عِجَانَكَ مُنْذُ ثلاثين عاما .

(٧٩) أعمى يبحث عن حمار *

قال الهيثم : بينما أنا بالكُنَاسة بالكوفة إذ أتى مكفوف نَحَاسًا ، فقال له : اطلب
لى حمارًا ليس بالصغير المحقر ولا بالكبير المشتهر ؛ إن خلا بالطريق تَدْفُقْ ، وإن
كَثُرَ الزحام تَرَفَّقْ ؛ لا يُصادِم السَّوارى ، ولا يدخلنى تحت البوارى ، إن أقلت علقه
صبر ، وإن أكرمته شكر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبته غيرى قام . فقال له : اصبر ، فإن
مَسَحَ الله القاضي حمارًا قضيت حاجتك .

(٨٠) عمياء تتخيل فرسا *

ابتاع شاب من العرب فرسًا ، فجاء إلى أمه وقد كُفَّ بصرُها ، فقال : يا أمى ،
إنى قد اشتريت فرسًا ، فقالت : صفه لى ، قال : إذا استقبل فظبى ناصب^(١) ، وإذا
استدبر فهقل^(٢) خاضب^(٣) ، وإذا استعرض فسيد قارب^(٤) ، مؤل^(٥) المسمعين ، طامح^(٦)

(٧٨) * ورد الحديث فى الأمالى ، مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(٧٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٠ : منسوبا إلى ابن دريد عن العكلى عن أبى خالد
عن الهيثم ، ورواه صاحب العقد الفريد ج ٦ ص ٣٢٦ .

(٨٠) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٤١ : منسوبا إلى ابن دريد عن عمه عن جده عن ابن
الكلى .

(١) الظبى الناصب : الذى نصب عتقه . (٢) الهقل : ذكر النعام ، الخاضب : الذى أكل الربيع .

(٣) السيد : الذئب . (٤) مؤل : محدد .

الناظرين ، مُدَعِّلَقُ الصَّبِيِّينَ ^(٥) ؛ قالت : أَجُودَتْ إِنْ كُنْتَ أَعَرَيْتَ ؛ قال : إِنَّهُ مُشْرِفُ
التَّكْلِيلِ ^(٦) ، سَبَطُ الْخَصِيلِ ^(٧) ، وَهَوَاهُ الصَّهِيلِ ^(٨) ؛ قالت : أَكْرَمْتَ فَارْتِيطَ .

(٨١) ثَكْلَى كَرِيمَةٍ •

قال الأصمعي : نزلت على امرأة من بنى عامر بن صعصعة وقد مات ابن لها ،
وهي من القلق على مثل الرَضْفَةِ ^(٩) ، فقامت تعالج لى طعامًا ، فقلت لها : يا هذه إنك
لفى شغل عن هذا ، فقالت : والله لا تجوز بيتي إلا مقربًا ، ولكن أنشدني أبياتًا أسلو
بهن ، فإني أراك لودعيًا ، فأنشدتها أبيات نُؤَيِّرُهُ بِن حُصَيْنِ المازني يرثي ابنه :

إِنِّي أَرَى لِلشَّامَتَيْنِ تَجَلْدِي	وَإِنِّي كَالطَّائِوِي الْجَنَاحِ عَلَى كَسْرِ
يُرى واقِعًا لَمْ يُذَرَّ مَا تَحْتَ رِيشِهِ	وَإِنْ نَاءَ لَمْ يَسْطِعْ نَهْوضًا إِلَى وَكْرِ
فَلَوْلَا سُرُورُ الشَّامَتَيْنِ يَكْبُوتِي	لَمَّا رَقَاتِ عَيْنَايَ مِنْ وَاكْفٍ يَجْرِي
عَلَى مَنْ كَفَانِي وَالْعَثِيرَةُ كَلَّمَا	نَوَائِبَ رَبِّ الدَّهْرِ فِي عَشْرَةِ الدَّهْرِ
وَمَنْ كَانَتْ الْجَارَاتُ تَأْمَنُ لَيْلِهِ	إِذَا خَفِنَ مِنْ بَاتٍ غَوَائِلُهُ تَسْرِي
بَصِيرٍ يَمَافِيهِ لَهْنُ حَصَانَةٍ	غَبِيٌّ عَنِ الْمَحْجُوبِ بِالْبَابِ وَالسَّتْرِ
يَكْفَأُ أَذَاهُ بَعْدَ مَا بَذَلَ عَرَفِهِ	وَيَحْلُمُ حِلْمًا لَا يُذْمُ وَلَا يُزْرَى
وَيَأْخُذُ مِمَّنْ رَامَ بِالْهَصْرِ هَيْضَهُ ^(١٠)	إِذَا مَا أَرَادَ الْأَخْذَ بِالْهَصْرِ وَالْقَسْرِ
وَلَا يُنْتَظِرُ الْأَيْسَارَ إِنْ نَالَ يُسْرَهُ	وَلَا يَنْتَشِي عَنْ فَعْلٍ خَيْرٍ لَدَى الْعُسْرِ

(٥) الصَّبِيِّينَ : مقدم اللحية ، وقد علق شبيهه بالنبات المنساب . (٦) التَّكْلِيلُ : العنق . (٧) الْخَصِيلُ :

أَسْجَةُ الْفَخَذِ . (٨) صِهْلُهُ مَنَقُوعٌ .

(٨١) ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن
الأصمعي .

(٩) الرَضْفَةُ : الحجارة المحمَّاة . (١٠) الْهَيْضُ : الكسر .

ولا يَتَأَرَى ^(٣) للعواقب إن رأى
ولكنه رَكَّابٌ كُلِّ عَظِيمَةٍ
ولست وإن خَبِرْتُ أن قد سَلَيْتُهُ
شَمَائِلَ مِنْهُ طَيِّبَاتٍ بَعْدْتُ نَسِي
فَتَى شَعَشَعَ ^(٤) يُرَوِّى السَّنَانُ بِكَفِّهِ
قال : فكأنى والله زبرت ^(٥) الأبيات فى صدرها ، فما زالت تنشدُها وتصلح طعمامى
حتى قرنتى ورحمت من عندها .

(٨٢) زكاة الجاه*

كتب الحسن بن سهل لرجل كتاب شفاعه ، فجعل الرجل يشكر ويدعوه ،
فقال الحسن : يا هذا ، عَلَّامٌ تَشْكُرُنَا ! إنا نرى الشفاعات زكاة مروءتنا . قال : وأملئ
كتاب شفاعه فكتب فى آخره : إنه بلغنى أن الرجل يُسأل عن فضل جابه يوم القيامة
كما يُسأل عن فضل ماله .

(٨٣) الخليل يرفض صلة الأمير*

بعث سليمان المَهْلَبى إلى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم وطالبه لصحبته ،
فردَّ عليه المائة ألف وكتب إليه :
أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة
شحى بنفسى أنى لا أرى أحداً
وفى غنى غير أنى لست ذا مال
يموتُ هُزْلاً ولا يبقى على حال

(٣) يتأرى : ينتظر ويترقب . (٤) وحر الصدر : غيظه وفعله . (٥) شعشع : طوبل . (٦) زبر : كتب .
(٨٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٨ : مسنداً إلى ابن دريد عن عبد الأول عن أبيه .
(٨٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٩ : مسنداً إلى ابن دريد عن أبيه .

والرزقُ عن قدرٍ لا العجزُ يَشْقُصُه
ولا يَزِيدُكَ فيه حَوْلُ مُحْتالٍ
والفقرُ في النفس لا في المال تعرفُه
ومثلُ ذاك الغنى في النفس لا المال

(٨٤) ولد عجيب الشكل *

قال العباس بن محمد : قلنا لأبي المِخْشِ الغَطَفَانِي ، أما كان لك ولد ؟ فقال :
بلى والله ، مِخْشٌ ، وما كان مِخْشٌ ؟ كان حُرْطُمَانِيًّا أَشْدَقَ ، إذا تكلم سال لعابه كأنما
يَنْظُرُ بمثلِ الفَلَسِّينِ - يعني أن عينيه كانتا خضراوين - كأن مُشَاشَةَ منكبَيْهِ كُرْكُرَةٌ جَمَلٌ
وكان تَرْقُوتُهُ بِوَأْنٍ أو خَالَفَهُ ، فقأ الله عيني هاتين إن كنتُ رأيتُ مثله قبله ولا بعده .

(٨٥) جسد أسود في ثوب أبيض *

كان المغيرة بن شعبة أعور دميماً آدم^(١) ، فهجاه رجل من أهل الكوفة فقال :
إذا راح في قُبْطِيَّةٍ مُتَأَزَّرَا فُجُلٌ جَعَلُ^(٢) يَسْتَنُ في لبنٍ مَحْضٍ^(٣)
فَأَقْسِمُ لو خَرْتُ مِنْ اسْنِكَ بَيْضَةً
قال أبو بكر فقلت لأبي حاتم : ما أظن أحداً يسبقه إلى قوله : (جعل يستن في
لبن محض) فقال : بلى ، كان إبراهيم بن عربي والي اليمامية ، فصعد المنبر يوماً وعليه
ثيابٌ بَيْضٌ فبدا وجهه وكفاه ، فقال الفرزدق :
تَرَى مِنْ ثِيَابِ الْعَبْدِ اللَّثِيمِ كَأَنَّمَا
ثَلَاثَةُ غُرَبَانَ عَلَيْهِ وَقُوعُ
قال : فهذا يشبه ذلك وإن لم يكنه .

(٨٤) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمل ، ص ١٦٦ : مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن
الأصمعي عن صفير بن سليمان عن العباس بن محمد .

(٨٥) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمل ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ : مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن
أبي عبيدة .

(١) آدم : أسمر . (٢) جعل : حشرة صغيرة سوداء . (٣) يستن : يشق طريقه .

(٨٦) أَحَبُّ الْبُقْضَاءِ *

وَقَدْ عُبِدَ اللَّهُ بِنِ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ عَلَى عَتَّابِ بْنِ رِرْقَاهُ فَأَعْطَاهُ عَشْرِينَ أَلْفًا ، فَلَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ : يَا هَذَا ، مَا أَحْسَنْتَ فَأَمْدَحُكَ ، وَلَا أَسَأْتَ فَأَذْمُوكَ ؛ وَإِنَّكَ لِأَقْرَبُ الْبُعْدَاءِ ، وَأَحَبُّ الْبُقْضَاءِ .

(٨٧) وَارِثُ إِخْوَتِهِ *

كَانَ حَضْرَمِيٌّ بَنَ عَامِرَ عَاشِرَ عَشْرَةٍ مِنْ إِخْوَتِهِ فَمَاتُوا فَوَرِثَهُمْ ، فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ يَقَالُ لَهُ جَزْدٌ : مِنْ مَثَلِكَ ، مَاتَ إِخْوَتُكَ فَوَرِثَهُمْ فَأَصْبَحْتَ نَاعِمًا جَزِيلًا ! فَقَالَ حَضْرَمِيٌّ :
يَزْعُمُ جِزْرُهُ وَلَمْ يَقُلْ سَدَدًا أَنَّى تَرْوَحُ نَاعِمًا جَزِيلًا
إِنْ كُنْتُ أَزْنَتُنِي بِهَا كَذِبًا جِزْرُهُ فَلَا قِيَّتَ مِثْلَهَا عَجَلًا
أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكَرَامَ وَأَنْ أُورِثَ ذَوْدًا شَصَانِصًا ^(١) نَبَلًا ^(٢)
كَمْ كَانَ فِي إِخْوَتِي إِذَا احْتَضَ الْأَقْوَامُ تَحْتَ الْعَجَّاجَةِ ^(٣) الْأَسْلَا ^(٤)
مِنْ وَاجِدٍ ^(٥) مَاجِدٍ أَخَى ثِقَةٍ يُعْطَى جَزِيلًا وَيُضْرَبُ الْبَطْلَا
إِنْ جِئْتُ خَائِفًا أَمِئْتُ وَإِنْ قَالِ سَأَحْبُوكَ نَائِلًا فَعَلَا
فَجَلَسَ جِزْرُهُ عَلَى شَفِيرِ بَثْرٍ وَكَانَ لَهُ تِسْعَةُ إِخْوَةٍ فَانْخَسَفَتْ بِإِخْوَتِهِ وَنَجَا هُوَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ حَضْرَمِيًّا فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، كَلِمَةً وَافَقَتْ قَدْرًا وَأَبْقَتْ حَقْدًا .

(٨٦)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٣٥ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبي معاذ عن محمد ابن شبيب النحوي .

(٨٧)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٩٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن العباس بن هشام عن أبيه .

(١) الشصانص : التي لا ألبان لها ؛ واحدها شصوص . (٢) النبل : الصغار .

(٣) العجاجة : الغبار . (٤) الأسل : الرماح . (٥) الواجد : الفتي الذي يجد .

(٨٨) القبور تجدد الأحزان *

قَدِمَ مَتِيْمٌ بِنُ تُوْبَةِ الْعِرَاقِ فَأَقْبَلَ لَا يَرَى قَبْرًا إِلَّا بَكَى عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ : يَمُوتُ
أَخُوكَ بِالْمَلَأِ وَتَبْكِي أَنْتِ عَلَى قَبْرِ بِالْعِرَاقِ ! فَقَالَ :
لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبِكَاءِ رَفِيقٌ لَتَذَرَأَفِ الدَّمُوعِ الشَّوَافِكِ
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ بِالْمَلَأِ أَنْتِ نَائِحِ عَلَى كُلِّ قَبْرِ أَوْ عَلَى كُلِّ هَالِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنْ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فِدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرِ مَالِكِ
أَلَمْ تَسْرُ فَمِنَا يُقْسِمُ مَا لَهُ وَتَأْوِي إِلَيْهِ مُرْمَلَاتِ الْفَضْرَائِكِ ^(١)

(٨٩) جاهليون حرموا على أنفسهم الخمر *

حَرَّمَ رِجَالُ الْخَمْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَكْرِمًا وَصِيَانَةً لِنَفْسِهِمْ ، مِنْهُمْ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ
ابْنُ عِبَادِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَدَوَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :
مَسْأَلَةٌ لِلْفَتَى مَا لَيْسَ فِي يَدِهِ ذَهَابَةٌ بِعُقُوقِ الْقَوْمِ وَالْمَالِ
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ أَسْقِيَهَا وَأَشْرِبُهَا حَتَّى يَفْرُقَ تَرْبُ الْقَبْرِ أَوْصَالِي
مُورِثَةُ الْقَوْمِ أَضْغَانًا بِلَا إِحْسَنِ مُزْرِيةً بِالْفَتَى ذِي الشَّجْدَةِ الْحَالِي
وَحَرَّمَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْخَمْرَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْخَمْرَ مَا دُمْتَ شَارِبًا لَسَالِبَةٌ مَالِي وَمُذْهِبَةٌ عَقْلِي
وَتَارَكَتَنِي مِنَ الضُّعَافِ قُوَاهُمْ وَمُورِثَتِي حَرْبَ الصَّدِيقِ بِلَا تَبَلٍ ^(٢)

(٨٨)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١ : مسندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

(١) الضرائك : الفقراء والسيئو الحال .

(٨٩)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ : مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عبادة .

(١) التبل : العداوة .

وحرم صفوان بن أمية بن مُحَرَّرَتِ الْكِتَانِي الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :
رَأَيْتُ الْخَمْرَ صَالِحَةً وَفِيهَا مَنَاقِبُ تُفْسِدُ الرَّجُلَ الْكَرِيمَا
فَلَا وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا حَيَاتِي وَلَا أَشْقَى بِهَا أَبَدًا سَقِيمَا

وحرم عفيف بن مَعْدَرٍ يَكْرَهُ - عَمَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ - وَقَالَ :
وَقَائِلَةٌ هَلُمَّ إِلَى التَّصَابِي فَقُلْتُ عَفَفْتُ عَمَّا تَعْلَمِينَا
وَوَدَّعْتُ الْقِيْدَاحَ وَقَدْ أَرَانِي بِهَا فِي الدَّهْرِ مَشْعُوفًا ^(١) رَهِينَا
وَحَرَمْتُ الْخَمْرَ عَلَى حَتَّى أَكُونَ بِقَعْرِ مَلْخُودٍ ذَفِينَا

وقال عفيف بن معد يكره أيضًا :
فَلَا وَاللَّهِ لَا أَلْقَى وَشَرِيًّا أَنْزَغُهُمْ شَرَابًا مَا حَيِّتُ
أَبَى لِي ذَاكَ أَبَاءُ كِرَامٍ وَأَخْوَالُ بَعْرُزِهِمْ رَبِيتُ

(٩٠) تعارف على طريقة النسابين *

خرج يزيد بن شيبان بن علقمة حاجًا ، فرأى حين شارف البلد شيخًا يحفُّه ركبٌ
على إبل عتاق يرحال ميس ^(١) ملبسة أدما ، قال : فَعَدَلْتُ فَسَلِمْتُ عَلَيْهِمْ وَبَدَأْتُ بِهِ
وَقُلْتُ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ وَمَنْ الْقَوْمُ ؟ فَأَرَمَ ^(٢) الْقَوْمَ يَنْظُرُونَ إِلَى الشَّيْخِ هَيْبَةً لَهُ ، فَقَالَ
الشَّيْخُ : رَجُلٌ مِنْ مَهْرَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِرِ بْنِ قَضَاعَةَ ، فَقُلْتُ : حَيَّاكُمْ اللَّهُ !
وَانْصَرَفْتُ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : قِفْ أَبِهَا الرَّجُلُ ، نَسَبْنَا فَاتَسَبَّنَا لَكَ ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَلَمْ تُكَلِّمْنَا
- قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَرَوَى السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادٍ : شَامَمْتَنَا مُشَامَّةُ الذَّنْبِ

(٢) الشعف : حرقه بجلدها الرجل مع لذة في قلبه .

(٩٠) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمل ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ : مستندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن
أبي عبيدة عن أبي زرارة .

(١) الميس : ضرب من الشجر يعمل منه الرجال . (٢) أرم القوم : سكتوا .

الغنم ثم انصرفت - قلت : ما أنكرتُ سوءاً ، ولكنى ظننتكم من عشيرتى فأناسبكم فانتمسبتم نسباً لا أعرفه ولا أراه يعرفنى . قال : فأمال الشيخ لثامه وحسّو عمامته ، وقال : لعمري لئن كنت من جذم من أجذام العرب لأعرفتك ، فقلت : فإنى من أكرم أجذامها ، قال : فإن العرب بنيت على أربعة أركان ؛ مضر ، وربيعة ، واليمن ، وقضاعة ؛ فمن أيهم أنت ؟ قلت : من مضر ، قال : أمين الأرحاء أم من الفرسان ؟ فعلمت أن الأرحاء خندف وأن الفرسان قيس ، قلت : من الأرحاء ، قال : فأنت إذا من خندف ، قلت : أجل ، قال : أفمن الأرنبة أمن من الجُمجُمة ؟ فعلمت أن الأرنبة مدركة وأن الجُمجُمة طانجة ، فقلت : من الجُمجُمة ، قال : فأنت إذا من طانجة ، قلت : أجل ، قال : أفمن الصميم ^(٣) أم من الوشيظ ^(٤) ؟ فعلمت أن الصميم تميم وأن الوشيظ الرباب ، قلت : من الصميم ، قال : فأنت إذا من تميم ، قلت : أجل قال : أفمن الأكرمين أم من الأحلمين أم من الأقلين ؟ فعلمت أن الأكرمين زيد مناة وأن الأحلمين عمرو بن تميم ، وأن الأقلين الحارث بن تميم ، قلت : من الأكرمين ، قال : فأنت إذا من زيد مناة ، قلت : أجل ، قال : أفمن الجدود ، أم من البحور ، أم من الثمّاد ؟ فعلمت أن الجدود مالك ، وأن البحور سعد ، وأن الثمّاد امرؤ القيس بن زيدة مناة ، قلت : من الجدود ، قال : فأنت إذا من بنى مالك ، قلت : أجل ، قال : أفمن الذرى ، أم من الأرداف ؟ فعلمت أن الذرى حنظلة ، وأن الأرداف ربيعة ومعاوية وهما الكرذوسان ، قلت : من الذرى ، قال : فأنت إذا من بنى حنظلة ، قلت : أجل ، قال : أمن اليُدور ، أم من الفرسان ، أم الجرائيم ؟ فعلمت أن البدور مالك ، وأن الفرسان يريثوع ، وأن الجرائيم البراجم ، قلت : من البدور ، قال : فأنت إذا من بنى مالك بن حنظلة ، قلت : أجل ، قال : أفمن الأرنبة ، أم من اللّحيين ، أم من القفا ، فعلمت أن الأرنبة دارم ، وأن اللّحيين طهية والعدوية ، وأن القفا ربيعة بن حنظلة ، قلت : من

(٣) الصميم : الخالص. (٤) الوشيظ : الخسيس من الرجال .

الأرنبه ، قال : فأنت إذا من دارم ، قلت : أجل ، قال : أفمن اللباب ، أم من الهضاب ، أم من الشهاب ؟ فعلمت أن اللباب عبد الله ، وأن الهضاب مُجاشع ، وأن الشهاب نَهْشَل ، قلت : من اللباب ، قال : فأنت إذا من بنى عبد الله ، قلت : أجل ، قال : أفمن البيت ، أم من الزوافر ، فعلمت أن البيت بنو زُرارة ، وأن الزوافر الأحلاف . قلت : من البيت ، قال : فأنت إذا من بنى زُرارة ، قلت : أجل ، قال : فإن زُرارة ولد عشرة : حاجبًا ، ولقيطًا ، وعلقمة ، ومعبدًا ، وخزيمة ، ولبيدًا ، وأبا الحارث ، وعمرا ، وعبد مناة ، ومالكًا ؛ فمن أيهم أنت ؟ قلت : من بنى علقمة ، قال : فإن علقمة وَلَدَ شيبان ولم يلد غيره ، فتزوج شيبان ثلاث نسوة : مَهْدَد بنت حُمَرائ بن بشر بن عمرو بن مرثد فولدت له يزيد ، وتزوج عِكْرُشَة بنت حاجب بن زُرارة بن عُدس فولدت له المأمور ؛ وتزوج عَمْرَة بنت بشر بن عُدس فولدت له الْمُقْعَد ، فلايتهن أنت ؟ قلت : لِمَهْدَد ، قال : يابن أخى ، ما افترقت فِرْقَتان بعد مدركة إلا كنت فى أفضلهما حتى زاحمك أخواك ، فإنه تِلْدَنى أُمَاهُما أَحَبُّ إلىَّ من أن تلدنى أُمُّكَ ! يابن أخى ، أترانى عَرَفْتُكَ ؟ قلت : إى وأبيك أى معرفة ! .

أحاديث
من عالم الكهان



خرج خمسة نفر من طين من ذوى الحِجَا والرأى ، منهم بُرج بن مُسهر وهو أحد المعمرين . وأنثف بن حارثة بن لأم ، وعبدالله بن سعد الحشرج أبو حاتم طين ، وعارف الشاعر ، ومرة بن عيد رضى ، يريدون سواد بن قارب الدوسى ليمتحنوا علمه ، فلما قُربوا من السَّراة قالوا : لخبياً كل رجل منا خبيئاً ولا يُخبر به صاحبه ليسأله عنه ، فإن أصاب عرفنا علمه وإن أخطأ ارتحلنا عنه . فخبأ كل رجل منهم خبيئاً ثم صاروا إليه فأهدوا له إبلا وطُرفاً من طُرف الحيرة ، فضرب عليهم قُبة ونحر لهم . فلما مضت ثلاثُ دعا بهم فدخلوا عليه ، فتكلم بُرج وكان أسنهم فقال : جادك السحاب ، وأمرع لك الجناب ^(١) ، وضفت عليك النعم الرغاب ^(٢) ، نحن أولو الأكال ^(٣) ، والخذائق والأغيال ^(٤) ، والنعم الجفال ^(٥) ، ونحن أصهار الأملاك ، وفرسان العراك - يروى عنهم أنهم من بكر بن وائل - فقال سَوَادٌ : والسماء والأرض ، والغمر والبرص ^(٦) ، والقرض والفرص ، إنكم لأهل الهضاب الشَّم ، والنخيل الشَّم ، والصُّخور الشَّم ، من أجأ العيطاء ، وسلمى ذات الرُّقبة السطعاء ^(٧) . قالوا : إنا كذلك وقد خبأ لك كل رجل منا خبيئاً لتخبرنا باسمه وخبيثه . فقال لِبُرج : أقسم بالضياء والحلَّك ، والنجوم والفلك ، والشروق والدلك ^(٨) ، لقد خبأت بُرثن قَرخ ، فى إعْلِيط مَرخ ، تحت أسرة الشرخ ^(٩) ، قال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : أنت برج بن مُسهر ، عُصرة المُعمر ، وإِمال المُحجر ^(١٠) . ثم قام أنثف بن حارصة فقال : ما خبيثى وما اسمى ؟ فقال : والسحاب والتراب ،

(٩١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، منسوباً إلى ابن دريد عن عمه عن جده عن ابن الكلبي عن أبيه عن الذبال عن الطرماح بن حكيم .
 (١) أمرع الجناب : أى أحصب ما حول دارك . (٢) أى أسبغت عليك النعم الكثيرة . (٣) أولو الأكال : أصحاب الثروة . (٤) الأغيال : المياه الجارية . (٥) الجفال : الكثيرة . (٦) الغمر : الماء الكثير ، والبرص : الماء القليل . (٧) أجأ وسلمى : جبلان ، والعيطاء والسطعاء : الطويلة .
 (٨) الدلك : انقراض الشمس عند الغيب . (٩) خبأ ظفر ظافر فى جراب ثمرة تحت حزام مشدود على وسطه . (١٠) المعمر : الذى ذهب ماله . والمحجر : المُضيق عليه .

والأصباب والأحداًب^(١١)، والنعم الكتاب، لقد خبأت قُطامة فسيط وقُدَّة مَربط، فى مَدَرَة من مدى مطييط^(١٢). قال: ما أخطأت شيئاً، فمن أنا؟ قال: أنت أنيف، قارى الضيف، ومُعمل السيف، وخالطُ الشتاء بالصيف. ثم قام عبد الله ابن سعد فقال: ما خبيتى وما اسمى؟ فقال سواد: أقسم بالسوام العازب^(١٣) والوقير الكارب^(١٤)، والمُجدُّ الراكب، والمشيخ الحارب، لقد خبأت ثفائة فتن، فى قطيع قد مرن، أو أديم قد جرن^(١٥). قال: ما أخطأت حرفاً، فمن أنا؟ قال: أنت ابن سعد النوال، عطاوك سَجال، وشرك عُضال، وعَمَدُك طِوال، وبيتُك لا يُنال. ثم قام عارف فقال: ما خبيتى وما اسمى؟ فقال سواد: أقسم ينغنف اللوح، والماء المسفوح، والغضاء المندوح^(١٦)، لقد خبأت رُقعة طِلا أَعفر، فى زعنفة أديم أحمر، تحت حِلْسِ نِصو أدبر^(١٧)، قال: ما أخطأت شيئاً، فمن أنا؟ قال: أنت عارف ذو اللسان القُضب، والقلب الندب^(١٨)، والمضاد الغرب، مناع السرب، ومبيح النهب، ثم قام مُرة بن عبد رضى، فقال: ما خبيتى وما اسمى؟ فقال سواد: أقسم بالأرض والسماء، والبروج والأنواء، والظلمة والضياء، لقد خبأت دَحْية فى رَمَّة تحت مُشْط لَمَّة^(١٩). قال: ما أخطأت شيئاً، فمن أنا؟ قال: أنت مُرة، السريع الكُرَّة، البطيء الفرَّة، الشديد المُرة. قالوا: فأخبرنا بما رأينا فى طريقنا إليك. فقال: والناظر من حيث لا يُرى، والسامع قبل أن ينادى، والعالم بما لا يدرك، لقد عثت لكم عُقابٌ عجزاء^(٢٠)، فى شذائيب^(٢١) دوحة جرداء، تحمل جدلاً^(٢٢)،

(١١) أى ما علا من الأرض وما انخفض. (١٢) خبأ قلامه من ظفره، وريشه من ريشة السهم فى جدول ماء صغير. (١٣) السوام العازب: الإبل البعيدة. (١٤) الوقير الكارب: الغنم القريبة. (١٥) خبأ غصيناً صغيراً فى قطعة من الجلد. (١٦) المسفوح: المصبوب، والمندوح: الواسع. (١٧) خبأ قطعة عفراء من جلد ظبي صغير، داخل قطعة من جلد أحمر، تحت الفرش الذى يوضع على ظهر الناقة. (١٨) الندب: الذكى. (١٩) خبأ قملة داخل شعره. (٢٠) عجزاء: أبيض ذنبها. (٢١) الشنايب: ما تداخل من الأغصان. (٢٢) الجدال: العضو.

فتماريتم إما يداً وإما رجلاً . فقالوا: كذلك ثم منه ؟ قال سئح لكم قبل طلوع الشرق
 (٢٣) ، سيد أمق (٢٤) ، على ماء طرق . قالوا : ثم ماذا ؟ قال : ثم تيسُ أفرق ، سندُ في
 أبرق (٢٥) ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بنى الوابلة (٢٦) والمُفروق . قالوا : صدقت ، وأنت
 أعلم من تحمل الأرض ثم ارتحلوا عنه .

٩٢ - كاهنة تتنياً بكارثة .

كان ثلاثة أبطن من قضاة مُجتورين بين الشَّحر وحضرموت : بنو ناعب، وبنو
 داهن ، وبنو رثام ، وكانت بنو رثام أقلهم عدداً وأشجعهم لقاء ، وكانت لبنى رثام عجوز
 تُسمى خويلة ، وكانت لها أمة من مَوْلِدات العرب تسمى زبراء ، وكان يدخل على
 خويلة أربعون رجلاً كلهم مُحَرَّم ، بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيماً ، وكان
 بنو ناعب وبنو داهن مُتظاهرين على بنى رثام ، فاجتمع بنو رثام ذات يوم فى عرس لهم
 وهم سبعون رجلاً كلهم شجاعٌ بئيس، فطعموا وأقبلوا على شرابهم ، وكانت زبراء كاهنة
 فقالت لخويلة : انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم . فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فلما
 أبصرها القوم قاموا إجلالاً لها ، فقالت : يا ثمر الأكباد ، وأنداد الأولاد ، وشجا الحُساد،
 هذه زبراء ، تخبركم عن أبناء ، قبل انحسار الظلماء ، بالمؤيد الشنعاء (٢٧) ، فاسمعوا ما
 تقول . قالوا : وما تقولين يا زبراء ؟ قالت : واللوح (٢٨) الخافق ، والليل الغاسق ، والصباح
 الشارق ، والنجم الطارق ، والمُزن الوداق ، إن شجر الوادى ليأذوا ختلا (٢٩) ، ويحرق أنيابا
 عُصلا (٣٠) ، وإن صخر الطود ليُنْذِرُ ثُكْلا ، لا تعبدون عنه مَعَلا (٣١) ، فواقفت قوماً أشارى
 سكارى ، فقالوا : ربحٌ خجوجٌ (٣٢) ، بعيدة ما بين الفروج ، أتت زبراء بالأبلى النتوج .

(٢٣) الشرق: الشمس. (٢٤) سيد أمق : ذئب طويل . (٢٥) أبرق : أرض غليظة ، الوابلة : رأس العُصدا

الذى بلى الفرق .

(٩٢) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، منسوباً إلى ابن دريد عن السكن عن
 محمد بن هشام عن أبى محنف عن أنسباخ من قضاة .

(١) المؤيد : الداهية . (٢) اللوح : الهواء . (٣) أى يمتلئ غدراً (٤) العُصلا : المَعوجة . (٥) المعل : المنجى .

(٦) الخجوج : السريعة .

فَقَالَتْ زَبْرَاءُ : مَهَلًا يَا بَنِي الْأَعْزَةِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشْمَ دَفَرِ الرِّجَالِ تَحْتَ الْحَدِيدِ ، فَقَالَ لَهَا فَتَى مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ هُذَيْلُ بْنُ مُثَقِّدٍ : يَا خَذَاقُ ، وَاللَّهِ مَا تَشْمِينَ إِلَّا دَفَرَ ^(٧) إِبْطِيكَ ، فَانْصَرَفَتْ عَنْهُمْ وَارْتَابَ قَوْمٌ مِنْ ذَوَى أَسْتَانِهِمْ ، فَانْصَرَفَ مِنْهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا وَبَقِيَ ثَلَاثُونَ فَرَقَدُوا فِي مَشْرِبِهِمْ ، وَطَرَقْتَهُمْ بَنُو دَاهِنَ وَبَنُو نَاعِبَ فَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ .

٩٢ - كَاهِنٌ جَنْوَبِيٌّ يَعْتَنُقُ الْإِسْلَامَ .

كَانَ خُتَافَرُ بْنُ التَّوَمِ الْحَمِيرِيُّ كَاهِنًا ، وَكَانَ أُوتِيَ يَسْطَظَّةً فِي الْجِسْمِ ، وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيَا ، فَلَمَّا وَفَدَتْ وَفُودُ الْيَمَنِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ أَغَارَ عَلَى إِبِلِ لُمَرَادٍ فَاسْتَسَحَّهَا ^(٨) وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَلَحِقَ بِالشَّحْرِ ، فَحَالَفَ جُودَانَ بْنَ يَحْيَى الْفَرَضْمِيَّ ، وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا ، وَنَزَلَ بِوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشَّحْرِ مُخَصِّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْكِ وَالْعَرِينِ . قَالَ خُتَافَرُ : وَكَانَ رَأْيِي ^(٩) فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَغَيَّبُ عَنِّي ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامُ فَقَدْتُهُ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ وَسَاءَنِي ذَلِكَ ، فَبَيْنَمَا أَنَا لَيْلَةً بِذَلِكَ الْوَادِي نَائِمًا إِذْ هَوَى هَوًى الْعُقَابِ ، فَقَالَ : خُتَافَرُ ، فَقُلْتَ : شِصَارُ ؟ فَقَالَ : اسْمِعْ أَقْلُ ، قُلْتَ : قُلْ اسْمِعْ ، فَقَالَ : عَهْ تَغْنَمُ ، لِكُلِّ مَدَّةٍ نَهَايَةٍ ، وَكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى غَايَةٍ ، قُلْتَ : أَجَلٌ فَقَالَ : كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى أَجَلٍ ، ثُمَّ يُتَاحَ لَهَا حَوْلٌ ، انْتَشَخَتِ النَّحْلُ ، وَرَجَعْتَ إِلَى حَقَائِقِهَا الْمَلَلِ ، إِنَّكَ سَجِيرٌ ^(١٠) مُوصُولٌ ، وَالنَّصْحُ لَكَ مَبْذُولٌ ، وَإِنِّي أَنَسْتُ ^(١١) بِأَرْضِ الشَّامِ ، نَفَرًا مِنْ آلِ الْعُدَامِ ^(١٢) حُكَّامًا عَلَى الْحُكَّامِ ، يَذْبُرُونَ ^(١٣) ذَا رَوْتَقٍ مِنَ الْكَلَامِ ، لَيْسَ بِالشَّعْرِ الْمُؤَلَّفِ ، وَلَا السَّجْعِ الْمُتَكَلَّفِ ، فَأَصْغَيْتَ فَرُجْرَجَتْ ، فَعَاوَدْتَ فَظَلَمْتَ ^(١٤) ، فَقُلْتَ بِمِ تَهَيَّئِمُونَ ، وَالْأَمَّ تَعْتَرُونَ ؟ قَالُوا : خِطَّابُ كُبَّارٍ ، جَاءَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ الْجُبَّارِ ، فَاسْمِعْ يَا شِصَارُ ، عَنْ أَصْدَقِ الْأَخْبَارِ ،

(٧) الدفر : التتن .

(٩٢) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، مستندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه .

(١) كسحها : كسها . (٢) ما يترأى للإنسان من الجن . (٣) سجير : صديق . (٤) أنست : أبصرت .

(٥) من قبائل الجن . (٦) يذبرون : يقرأون . (٧) ظلمت : منعت .

واسلُك أَوْضَحَ الْأَثَارَ ، تَنَجَّ مِنْ أَوَارِ^(٨) النَّارِ ، فَقُلْتَ : وَمَا هَذَا الْكَلَامُ ؟ فَقَالُوا : فُرْقَانٌ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، رَسُولٌ مِنْ مُضَرَ ، مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ ، ابْتَعَثَ فَظَهَرَ ، فَجَاءَ بِقَوْلٍ قَدْ بَهَرَ ، وَأَوْضَحَ نَهْجًا قَدْ دَثَرَ ، فِيهِ مَوَاعِظٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَمَعَاذٌ لِمَنْ ازْدَجَرَ ، أَلْفٌ بِالْأَيِّ الْكَبِيرِ ، قُلْتَ : وَمِنْ هَذَا الْمُبْعُوثِ مِنْ مُضَرَ ؟ قَالَ : أَحْمَدُ خَيْرَ الْبَشَرِ ، فَإِنْ أَمَنْتَ أُعْطِيتَ الشُّبْرَ^(٩) ، وَإِنْ خَالَفتَ أَصْلَيْتَ سَقَرَ ، فَاْمَنْتُ يَا خُنَافَرُ ، وَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ أَبَادَرُ ، فَجَانِبَ كُلِّ كَافِرٍ ، وَشَايَعَ كُلِّ مُؤْمِنٍ طَاهِرٍ ، وَإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ ، لَا عَنْ تَلَاقٍ ، قُلْتَ : مِنْ أَيْنَ أَبْغَى هَذَا الدِّينَ ؟ قَالَ : مِنْ ذَاتِ النَّخْلِ ، وَالْحَرَّةِ ذَاتِ النَّعْلِ ، فَهَنَّاكَ أَهْلَ الطُّولِ وَالْفَضْلِ ، وَالْمَوَاسَاةِ وَالْبَذْلِ ، ثُمَّ أَمْلَسَ عَنِّي . فَبِتَ مَذْعُورًا أُرَاعِي الصَّبَاحَ ، فَلَمَّا بَرَقَ لِي النُّورُ امْتَطَيْتُ رَاحِلَتِي ، وَأَذْنَتُ أُعْبِدِي ، وَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي حَتَّى وَرَدَتِ الْجُوفُ ، فَרَدَدْتُ الْإِبِلَ عَلَى أَرْبَابِهَا بِحَوْلِهَا وَسِقَايَهَا ، وَأَقْبَلْتُ أَرِيدُ صَنْعَاءَ ، فَأَصَبْتُ بِهَا مَعَاذَ بَنِي جَبَلٍ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَبَايَعْتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَعَلِمَنِي سُورًا مِنَ الْقُرْآنِ ، فَمَنْ اللَّهُ عَلَى الْبَاهُدَى بَعْدَ الضَّلَالَةِ ، وَالْعِلْمُ بَعْدَ الْجَهَالَةِ ، وَقُلْتَ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَادَ بِفَضْلِهِ	فَانْقَضَ مِنْ لَفْحِ الرَّخِيخِ خُنَافِرَا
وَكُتِفَ لِي عَنْ حَجْمَتِي عَمَاقُهَا	وَأَوْضَحَ لِي نَهْجِي وَقَدْ كَانَ دَائِرَا
دَعَانِي شِصَارٌ لِلتَّى لَوْ رَفَضْتُهَا	لَأَصْلَيْتُ جَمْرًا مِنْ لُظَى الْهَوْبِ وَاهِرَا
فَأَصْبَحْتُ وَالْإِسْلَامَ حَشَوِ جَوَانِحِي	وَجَانِبْتُ مِنْ أَمْسَى عَنْ الْحَقِّ نَاذِرَا
وَكَانَ مُضَلًى مِنْ هُدَيْتُ بِرَشْدِهِ	فَلِلَّهِ مُغَوِّعَادُ بِالرَّشْدِ أَمْرَا
نَحْبُوتُ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ قَحْمَةٍ	تَوَرَّثُ هُلُكًا يَوْمَ شَايَعْتُ شَاصِرَا
وَقَدْ أَمِنْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ يُحَايِرُ	بِمَا كُنْتُ أَغْشَى الْمُنْدِيَاتِ يُحَابِرَا

(٨) الإوار: شدة الحر. (٩) الشبر: الخير.

وفي الحديث إشارة إلى خصوصية لغة الكهان واعتبارها جنباً أدبياً وسطاً بين الشعر والنثر.

فمن مُبْلِغُ فُتَيانِ قَوْمِي أَلْوَكَة
عليكم سواء القصد لا قُلْ حَدُّكُمْ

بأنى من أقتال مَنْ كان كافرا
فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا

٩٤ - الصلوك والكاهنة •

أغار رجل من مُراد يقال له حَرَم على إبل عمرو بن بركة الهمداني وخيل له
فذهب بها ، فأتى عمرو سَلْمَى - وكانت بنت سيدهم وعن رأيها كانوا يصُدُّون -
فأخبرها أن حريما المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : والحَفْوِ ^(١) والوميض ، والشفق
كالإحريض ^(٢) ، والقلة والحضيض ، إن حريما لمتبع الحيز ^(٣) ، سيز مزي ^(٤) ، ذو معقل
حَرِيز ، غير أنى أرى الحُمة ^(٥) ستظفر منه بعشرة ، بطيئة الجيرة ، فأغر ولا تُنكع ^(٦) . فأغار
عمرو فاستاق كل شيء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرُدَّ عليه بعض ما
أخذ منه فامتنع ورجع حريم ، وقال عمرو :

تقول سُلَيْمى لا تعرض لثَلْفَةٍ
وكيف ينام الليل مَنْ جُلَّ ماله
غموضٌ إذ عض الكريهة لم يدع
ألم تعلمى أن الصعاليك نومهمهم
إذا الليل أدجى واكفهر ظلامه
ومال بأصحاب الكرى غالياته
وليلك عن ليل الصعاليك نائم
حُساء كلون الملح أبيض صارم
له طمعا طوع اليمين مُلازم
قليل إذا نام الخلى المسالم
وصاح من الأفراد يوم جوائم
فبأنى على أمر الغواية حازم

(٩٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، مستندا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد
ابن عباد عن ابن الكلبي .

(١) الحفو : اللمعان الخفيف . (٢) الإحريض : حجارة النورة . (٣) الحيز : الناحية . (٤) مزي : فاضل .

(٥) الحُمة : القطر . (٦) تنكع : تردع .

كذبتهم وبیت الله لا تأخذونها
 تحالف أقوامٌ علىّ ليسلموا
 أقالیوم أذعّی للهواة بعدما
 فبان حرمًا إن رجا أن أردّها
 متى تجمع القلب الذكّی وصارمًا
 متى تطلب المال المُنْع بالقنا
 وكنت إذا قوم غزونی غزوتهم
 فلا صلح حتى تُقدع^(٨) الخیل بالقنا
 ولا أمن حتى تُغشِم^(٩) الحربُ جبهة
 أمستبطیء عمرو بن نعمان غارتی
 إذا جرّ مولانا علینا جريرة
 وننصّر مولانا ونعلم أنه

مُراغمة ما دام للسيف قائم
 وجروا علىّ الحرب إذ أنا سالم
 أُجیل على الحی المذاکی الصلادیم^(٧)
 ويذهب مال يا بنة القیل حالم
 وأنقأ حمیاً تحنّنبك المظالم
 تعش ماجدًا أو تخترمك المخارم
 فهل أنا فی ذا یال همدان ظالم
 وتُضرب بالبیض الخفاف الجماجم
 عبیدة یومًا والحروب غواشم
 وما یُشیه الیقظان من هونائم
 صبرنا لها إنا کرام دعائم
 كما الناس مَجْرُوم علیه وجارم

(٧) الصلادیم : الشدید الصلب - (٨) تقدم : تكف .

(٩) الغشم : أشد الظلم .

أحاديث
من عالم النساء والصبابة

(٩٥) النساء ثلاث .. والرجال ثلاثة*

أخبرنا شيخ من بنى العنبر قال : كان يقال : النساء ثلاث فَهَيْتَة لَيْتَة عَفِيفَة مُسَلِّمَة ، تُعِينُ أَهْلَهَا عَلَى الْعَيْشِ ، وَلَا تُعِينُ الْعَيْشَ عَلَى أَهْلِهَا ؛ وَآخَرَى وَعَاءٌ لِلْوَلَدِ ؛ وَآخَرَى غُلٌّ قَمِيلٌ يَضَعُهُ اللَّهُ فِي عُنُقِ مَنْ يَشَاءُ . وَالرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ : فَهَيْتٌ لَيْتٌ عَفِيفٌ مُسَلِّمٌ ، يُصَدِّرُ الْأُمُورَ مُصَادِرَهَا وَيُورِدُهَا مَوَارِدَهَا ؛ وَآخَرٌ يَنْتَهَى إِلَى رَأْيِ ذِي اللَّبِّ وَالْمَقْدَرَةِ فَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ وَيَنْتَهَى إِلَى أَمْرِهِ ؛ وَآخَرٌ حَائِرٌ بَائِرٌ لَا يَأْتِمُرُ لِرُشْدٍ وَلَا يَطِيعُ لِمُرْشِدٍ .

(٩٦) العشق يشق للجندي الهارب*

كان بشر بن مروان شديدًا على العصاة فكان إذا ظفر بالعاصي أقامه على كرسى وَسَمَرَ كَفِيهِ فِي الْحَائِطِ بِمَسْمَارٍ وَنَزَعَ الْكُرْسَى مِنْ تَحْتِهِ فَيُضْطَرِبُ مَعْلَقًا حَتَّى يَمُوتَ ، وَكَانَ فَتًى مِنْ بَنَى عِجْلٍ مَعَ الْمُهْلَبِ وَهُوَ يَحَارِبُ الْأَزَارِقَةَ وَكَانَ عَاشِقًا لَابْنَةِ عَمِّ لَهُ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ تَسْتِزِيرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا :

لَوْ لَا مَخَافَةُ بَشَرٍ أَوْ عُقُوبَتُهُ أَوْ أَنَّ يُشَدَّ عَلَى كَفِيٍّ مَسْمَارٌ
إِذَا لَعَطَلْتُ ثَغْرِي^(١) ثُمَّ زَرْتَكُمْ إِنْ الْمُحِبُّ إِذَا مَا اشْتَقَ زَوَّارٌ

فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

لَيْسَ الْمُحِبُّ الَّذِي يَخْشَى الْعِقَابَ وَلَوْ كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي إِلْفِهِ النَّارَ

(٩٥)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٥٦ : مسندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن بن الأصمعي .

(٩٦)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣٠ ، ٣١ : منسوبًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .

(١) عطل ثغره : ترك موقعه الذي يحرسه .

بل المحب الذى لا شىء يمنعه أو تَسْتَقِيرُ ومن يهوى به الدار
قال : فلما قرأ كتابها عطل ثغره وانصرف إليها وهو يقول :

أستغفر الله إذ خفتُ الأمير ولم أخش الذى أنا منه غير مُنتصر
فشانُ بشر يلحمى فليعبه أو يعفُ عفواً أمير خير مقتدر
فما أبالى إذا أمسيت راضيةً يا هند ما نيلَ من شِعرى ومن بشرى
ثم قدم البصرة فما أقام إلا يومين حتى وشى به واش إلى بشر ، فقال : علىَّ به ،
فأتى به فقال : يا فاسق عطلت ثغرك ! هلموا الكرسي ، فقال : أعز الله الأمير ، إن لى
عذراً ، فقال : وما عذرک ؟ فأنشده الأبيات ، فرق له وكتب إلى المهلب فأنبته فى
أصحابه .

(٩٧) البنات الثلاث والزوج المطلوب*

قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها : صفن ما تحبين من الأزواج ؛ فقالت
الكبرى : أريد أروع^(١) يسّاماً ، أحد^(٢) مجدّاماً^(٣) ؛ سيد ناديه ، وثمان^(٤) عافيه ، ومحبّيب
راجيه ؛ فناؤه رحب ، وقيادُه صعب . وقالت الوسطى : أريده عالى السناء ، مُصمم
المضاء ؛ عظيم نار ، مُتمم أيسار ؛ يُفِيد ويُبِيد ، ويبدى ويُعيد ؛ هو فى الأهل صبي ،
وفى الجيش كمي ، تستعبده الحليلة ، وتُسوّدُه الفضيلة . وقالت الصغرى : أريد بازل
عام ، كالمهند الصمصام ، قرانه حُبّور ، ولقاؤه سُرور ؛ إن ضم قضقض ، وإن دسر
أغمض ، وإن أخل أحمض . قالت أمها : فُض فُوك ! لقد فرّزت لى شيرة الشّباب جدّةً .

(٩٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٦ ؛ منسوباً إلى ابن دريد عن عمه عن جده عن ابن
الكلبي .

(١) أروع : كريم . (٢) أحد : خفيف . (٣) مجدّام : صاحب رأى قاطع . (٤) الثمان : المغيث .

(٩٨) أحلام العوائس الثلاث*

كان لِهَمَّام بن مُرة ثلاث بنات فعنسنهن ، فقالت الكبرى : أنا أكفيكموه اليوم ،
فقالت :

أَهَمَّام بن مرة إنْ هَمَّى إلى قنفاء مُشرفة القذال

فقال همام : قنفاء مشرفة القذال ! تصف فرسًا . فقالت الوسطى : ما صنعت
شيئًا ، فقالت :

أَهَمَّام بن مرة إنْ هَمَّى إلى اللائى يَكُنْ مع الرجال

فقال همام : يكون مع الرجال الذهب والفضة ! فقالت الصغرى ما صنعتما
شيئًا ، وقالت :

أَهَمَّام بن مرة إنْ هَمَّى إلى عَرْدٍ أُسَد به مَبَالى^(١)

فقال همام : قاتلكن الله ! والله لا أمسيْتُ أو أزوجكن ! فزوجهن .

(٩٩) الوصيفات يرغبن بنت الملك فى الزواج*

كان قِيلٌ من أقبال حِمير مُنع الولد دهرًا ثم وُلِدَتْ له بنتٌ فبنى لها قصرًا مُنيقا
بعيدا من الناس ، ووَكَّل بها نساء من بنات الأقبال يخدمنها ويؤدبنها حتى بلغت مبلغ
النساء ، فنشأت أحسن منشأ وأتمه فى عقلها وكمالها ، فلما مات أبوها مَلِكُها أهلٌ
مِثْلَها ، فاصطنعت النسوة اللواتى ربينها وأحسنن إليهن وكانت تشاورهن ولا تقطع

(٩٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ : منسوبا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن
أبى عبيدة .

(١) المبال : الموضع الذى ينزل منه البول .

(٩٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٨٠ ، ٨١ : منسوبا إلى ابن دريد عن السكك بن أبى
عباد عن ابن الكلبي .

أمراً دونهن ، فقلن لها يوماً : يا بنت الكرام ، لو تزوجت لثم لك المُلْك ، فقالت : وما الزَّوج ؟ فقالت إحداهن : الزوج عُرٌّ في الشدائد ، وفي الخطوب مُساعد ؛ إن غضبت عطف ، وإن مَرَضت لَطَفَ ؛ قالت : نعم الشيء هذا ! فقالت الثانية : الزوج شعارى حين أَصْرَد^(١) ، ومتكئ حين أَرَقَد ، وأنسى حين أَفْرَد ؛ فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش . فقالت الثالثة : الزوج لما عنانى كاف ، ولما شَقْنَى شاف ، يكفينى فقد الألاف ؛ ريقه كالشهد ، وعناقه كالخلد ؛ لا يَمَلُّ قِرَانَهُ ، ولا يخاف حِرَانَهُ ، فقالت : أمهلننى أنظر فيما قلتن ، فاحتجبت عنهن سبعا ثم دعتهن فقالت : قد نظرت فيما قلتن فوجدتنى أَمْلِكُهُ رَقَى ، وأَبَيْتُهُ باطلَى وحقى ، فإن كان محمود الخلاق ، مأمون البوائق ، فقد أدركت بغيتى ، وإن كان غير ذلك فقد طالت شقوتى ؛ على أنه لا ينبغي إلا أن يكون كَفْؤًا كريما يسود عشيرته ، ويربُ فصيلته ؛ لا أتقنع به عارا فى حياتى ، ولا أرفع به شئنا لقومى بعد وفاتى ، فعَلَيْكُنَّه فابغينه وتفرقن فى الأحياء ، فَأَيْتُكُنَّ أتننى بما أحب فلها أجزل الحياء ، وعلى لها الوفاء ؛ فخرجن فيما وجهتهن له ، وكن بنات مقال ذوات عقل ورأى ، فجاءتها إحداهن وهى عَمْرُ طة بنت زرعة بن ذى خنفر فقالت : قد أصبت البُغية ، فقالت : صِفِيهِ ولا تُسمِيهِ . فقالت : غَيْثُ فى المحل ، ثمالُ فى الأزل ، مفيد مبيد ، يصلح الناثر ، وينعش العائر ، ويغمر الندى ، ويقتاد الأبي ، عِرْضُهُ وافر ، وحَسْبُهُ باهر ، غَضُّ الشباب ، طاهر الأثواب . قالت : ومن هو ؟ قالت : سَبْرَةُ بن عَوَال ابن شداد بن الهمال . ثم خلت بالثانية فقالت : أصبت من يُغَيْتُكَ شيئا ؟ قالت : نعم ، قالت صِفِيهِ ولا تُسمِيهِ . قالت : مُصَامِصُ النَّسب ، كريم الحَسَب ، كامل الأدب ؛ غزير العطايا ، مألوف السجايا ؛ مُقْتَبِلُ الشباب ، خصيب الجناب ، أَمْرُهُ ماض ، وعَشِيرُهُ راض . قالت : ومن هو ؟ قالت : يَعْلى بن هَزَال بن ذى جدن . ثم خلت بالثالثة فقالت : ما عِنْدَكَ ؟ قالت : وجدته كثير الفوائد ، عظيم المرافد ، يعطى قبل

(١) أى ثوبى حين يُفْرَد .

السؤال ، ويُنبئ قبل أن يُستَئال ؛ فى العشيرة معظّم ، وفى الندى مكرم ، جم الفواضل ، كثير النوافل ، بذال أموال ، مُحقق آمال ، كريم أعمام وأحوال ، قالت : ومن هو ؟ قالت : رَوّاحة بن خُمير بن مضحى بن ذى هُلَاحلة ؛ فاختارت يَعْلَى بن هَزَال فنزوجه ، فاحتجبت عن نساها شهرا ثم برزت لهن ، فأجزلت لهن الحياء ، وأعظمت لهن العطاء .

(١٠٠) شروطها فيمن تقبل الزواج منه*

قالت هند لأبيها عُبّة بن ربيعة : إني امرأة قد مكلتُ أمرى فلا تزوجنى رجلا حتى تعرضه علىّ ، قال : لك ذاك ، فقال لها ذات يوم : إنه قد خطبك رجُلان من قومك ولستُ مسميًا لك واحدًا منهما حتى أصفه لك : أما الأول : ففى الشرف الصميم ، والحسب الكريم ، تحالين به هوجا من غفلته ، وذلك إسجاح^(١) من شيمته ؛ حسن الصحابة ، سريع الإجابة ؛ إن تابعته تبعك ، وإن ملت كان معك ، تقضين عليه فى ماله ، وتكتفين برأيك عن مشورته . وأما الآخر : ففى الحسب الحسيب ، والرأى الأريب ، يدر أرومته ، وعز عشيرته ، يؤدب أهله ولا يؤدبونه ؛ إن اتبعوه أسهل بهم ، وإن جانبوه توغر عليهم ، شديد الغيرة ، سريع الطيرة ، صعب حجاب القُبّة ، إن حاجُ فغير منزور ، وإن نُوزع فغير مقهور ؛ وقد بينت لك كليهما . فقالت : أما الأول فسيد مضياغ لكريمته مَوَات لها فيما عسى إن تعتص أن تلين بعد إياها ، وتضيع تحت خيائها ، إن جاءته بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، إطو ذكر هذا عنى ولا تُسمه لى ؛ وأما الآخر فبعل الحرة الكريمة ، إنى لأخلاق هذا لَوامقة ، وإنى له لموافقة ، وإنى لأخذُه بأدب البعل مع لزومى قُبتي ، وقلة تَلَفَتى ؛ وإن السليل بينى وبينه لَحَرى أن

(١٠٠)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ؛ منسوبا إلى ابن خريد عن سعيد بن هارون عن شيخ من أهل الكوفة عن عبد الملك بن نوفل .
(١) الإسجاح : السهولة .

يكون المدافع عن حريم عشيرته ، الذائد عن كتيبتها المحامي عن حقيقتها ، المثبت لأرومته ؛ غير مؤاكل ولا زُميل^(٢) عند صعصعة^(٣) الحروب . قال : ذلك أبو سفيان بن حرب ، قالت : فزوجه ولا تلق لقاء السليس ، ولا تسمه سَوم القُرس ، ثم استخر الله في السماء ، يخر لك في القضاء .

(١٠١) ترفض أن تكرر على الزواج*

خطب دريد بن الصمة خنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، فأراد أخوها معاوية أن يزوجه منه ، وكان أخوها صخر غائباً في غَزَاةٍ له ، فأبت وقالت : لا حاجة لي به ، فأراد معاوية أن يكرهها ، فقالت :

تُبَاكِرُنِي حَمِيدَةٌ كُلَّ يَوْمٍ	بِمَا يُؤَلِي مُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
فَبِإِلَّا أَعْطَ مَنْ نَقَسَى نَصِيبَا	فَقَدْ أَوَدَى الزَّمَانُ إِذَا بِصَخْرٍ
أَتَكْرَهُنِي هُبِلَتْ عَلَى دُرَيْدٍ	وَقَدْ أَحْرَمْتَ سَيِّدَ آلِ بَدْرٍ
مَعَاذَ اللَّهِ يَرْضَعُنِي خَبْرُكِي	قَصِيرُ الشَّيْبِ مِنْ جُثْمٍ بِنِ بَكْرٍ

(١٠٢) العاشقة المطلقة*

كانت أم الضحاك المحاربية تحت رجل من بني الضباب ، وكادت تحبه حباً شديداً فطلقها فقالت :

هل القلب إن لاقى الضبابي خالياً لدى الرُّكنِ أو عند الصفا مُتَحَرِّجُ

(٢) زُميل : الجبان الضعيف . (٣) الصعصعة : الاضطراب .

(١٠١)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٦١ : منسوطاً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة .

(١٠٢)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٨٦ : مقروماً على ابن دريد ، ولم ترد فيه كلمة «حدثنا» وإنما قرأت على أبي بكر .

وأعجلنا قرب المحل^١ وبيننا
حديث^٢ لو أن اللحم يصلى بحر^٣
حديث^٤ كتشيع^٥ المريض مَرَج
طريقاً أتى أصحابه وهو مُنْضَج

(١٠٣) الصبايا يسمعن الغزل*

كانت مولاة لبني الحجاج تحفظ شعراً وترويه وتُشدّه فتيات بني الحجاج ،
فأنشدنهن ذات ليلة كلمتي في حمادة - وفيهن واحدة وهى عقيلتهن - فلما انتهى قولى :
فإن تُصبح الأيام شيبن مفرقى وأذهبن أشجاني وفلنن من غربى
فبارب يوم قد شربت بمشرب شفيت به غيم الصدى بارد عذب
ومن ليلة قد يثها غير آثم بساجية الحجلبن ريانة القلب^٦
ضحكت ، ثم أعرضت وضربت بكُمها على وجهها وقالت : فهلا أئِم^٧ ! حرمة
الله .

(١٠٤) عاشقة ابن عمها*

كانت خَلِيبَة الخُضْرية تهوى ابن عم لها ، فعلم بذلك قومها فحجبوها ، فقالت :
هجرتك لما أن هجرتك أصبحت بنا شُمَّناً تلك العيون الكواشح
أطال المُحبُّ الهجر والجيبُ ناصح فلا يفرح الواشون بالهجر رُما
مع القلب مَطْوًى عليه الجوانح وتغدو النوى بين الغيبين والهوى

(١) تشيع : أئيمه .

(١٠٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٦٠ : منسوباً إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن عمارة ابن عقيل .

(١) القلب (بالضم) : سوار المرأة . (٢) تعليقاً على قول الشاعر : ومن ليلة قد يثها غير آثم .

(١٠٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٣ : منسوباً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمى .

(١٠٥) عاشقة تعترف*

قال الأصمعي : كانت امرأة بحمي ضريّة - أحسبها من عَنَى - ذاتُ يسار فكثرتُ خطابها ، ثم إنها عَلِقَتْ غُلَامًا من بنى هلال ، فَصَفِفتها ليلة وقد شاع في الحاضر شأنها فأحسنَت ضيافتي ، فلما تعَشَّيتُ جَلَسْتُ إليّ تحدّثني فقلت لها يا أُمّ العَلَاء ، إني أريد أن أسألك عن أمر وأنا أهابُك لِمَا أعلم من عِفْتك وفضل دينك وشرفك ، فتبسّمت ثم قالت : أنا أحدُثُك قبل أن تسألني ، ثم قالت :

أَلْهَفَ أبى لِمَا أَدَمْتُ لك الهوى وأصِفيتُ حتى الوجدُ بى لك ظاهرُ
وجاهرتُ فيك الناس حتى أضربُ بى مُجَاهَرَتى يا ويح فيمن أجَاهرُ
فَكُنْتُ كَقَيِّ الغُصْنِ بَيْنَا يُظِلُّنى وُتْعَجِبْنى إذ زَعَزَعْتَهُ الأعاصيرُ
فصار لغيرى واستدارتُ ظِلَاله سيواى وخلانى ولفح الهواجرِ

ثم غلب عليها البكاء فقامت عَنَى ، فلما أصبحتُ وأردت الرحيل قالت : يا بن عمى ، أنت والأرضُ فيما كان بينى وبينك^(١) ، فقلتُ : إنّه^(٢) ، وانصرفت عنها .

(١٠٦) يراها ولا تراه

خرجتُ تُماضِر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد فهنأتُ ذودًا لها جريبى ، ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ، وذُرَيْدٌ يراها ولا تراه ، فقال دريد :

حيّوا تُماضر واربعوا صحبى وقفوا فإن وقوفكم حسبى
ما أن رأيت ولا سمعتُ به كالسيوم طالى أَيْشُقْ جُرْب

(١٠٥)* ورد الحديث فى الأمالى : منسوبًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعي .

(١) أنت والأرض : كناية عن طلب كتمان الحديث . (٢) إنه : إنه لكذلك ، استجابة لما طُلبت .

(١٠٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٦١ : منسوبًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى

عبيدة .

مُتَبَدلاً تَبْدُو مُحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثَّقَبِ
مُتَحَسِّراً نَضِخَ الْهِنَاءِ بِهِ نَضِخَ الْعَبِيرِ يَرْبِطُهُ الْعَصَبِ
أَخْنَسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ وَاعْتَادَهُ دَاءُ مِنَ الْحُبِّ
فَلَيْهِمْ عَسَى خُنَاسٌ إِذَا غَضُّ الْجَمِيعِ هُنَاكَ مَا خَطْبِي

(١٠٧) شكوك الزوج*

تزوج رجل من بنى عامر بن صعصعة امرأة من قومه ، فخرج فى بعض أسفاره
ثم قدم وقد ولدت امرأته وكان خَلْفَهَا حاملاً ، فنظر إلى ابنه فإذا هو أحمر غَضْبٌ ، أَرْبُ
الحاجبين ، فدعاها وانتضى السيف وأنشأ يقول :

لا تَمْشُطِي رَأْسِي وَلَا تَقْلِيْنِي وَخَاذِرِي ذَا الرِّيقِ^(١) فِى يَمِينِي
وَاقْتَرِبِي ذُونُكَ أَخْبِرِينِي مَا شَأْنُهُ أَحْمَرُ كَالْهَجِينِ
خَالَفَ أَلْوَانَ بَنَى الْجُونِ^(٢)

فَقَالَتْ تَجِيبُهُ :

إِنْ لَهُ مِنْ قَبْلِي أَجْدَادَا بِيضَ الْوَجْهِ كَرَمًا أَنْجَادَا
مَا ضَرَّهُمْ إِنْ خَضَرُوا مَجَادَا أَوْ كَافَحُوا يَوْمَ الْوَعَى الْأَنْدَادَا
أَلَا يَكُونُ لَوْنُهُمْ سَوَادَا

(١٠٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالي ، ص ٣٥ ؛ متوسلاً إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التوزى
عن أبى عبيدة .

(١) ذو الريق : السيف . (٢) الجون : الفاتمة السوداء .

(١٠٨) بين نحوى وزوجته*

جرى بين أبى الأسود الدؤلى وبين امرأته كلام فى ابن كان لها منه وأراد أخذه منها ، فسار إلى زياد وهو والى البصرة ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثدى سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ؛ فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله ، وكملت خصاله ، واستوكت^(١) أوصاله ؛ وأملت نفعه ، ورجوت دفعه ؛ أراد أن يأخذه منى كرها ، فأدنى إليها الأمير^(٢) ، فقد رام قهرى ، وأراد قسرى . فقال أبو الأسود : أصلحك الله ، هذا بنى حملته قبل أن تحمله ، ووضعت قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى أوده ، وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله . فقالت المرأة : صدق أصلحك الله ، حملته خفًا ، وحملته ثقلًا ، ووضعه شهوة ، ووضعت كرها ، فقال له زياد : أردد على المرأة ولدها فهى أحق به منك ، ودعنى من سجعك .

(١٠٩) الصبيان والعاشق*

قال الأصمعى : مررت بحمى الريلة فإذا صبيان يتقامسون^(٣) فى الماء وشاب جميل الوجه ملوك الجسم قاعد ، فسلمت عليه ، فرد على السلام وقال : من أين وضح الراكب ؟ قلت : من الحمى ، قال : ومتى عهدك به ؟ قلت : رائحًا ؛ قال : وأين كان مبيتك ؟ قلت : أدنى هذه المشارق^(٤) فألقى نفسه على ظهره وتنفس الصعداء ، فقلت : نفساً حجاب قلبه ، وأنشأ يقول :

(١٠٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٢ ؛ منسوبة إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

(١) استوكت : اشتدت . (٢) أدنى : أى قونى والنصرنى عليه .

(١٠٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٣٧ ؛ منسوبة إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن الأصمعى .

(١) يتقامسون : يغمس بعضهم بعضاً . (٢) المشارق : العرفج والنبات أو الرمال .

سقى بلدًا أمت سُلَيْمَى تَحُلُهُ مِنْ الْمُنُونِ مَا تُرَوِّى بِهِ وَتُسِيمُ
وإن لم أكن من قاطنيه فإنه يَحُلُّ بِهِ شَخْصٌ عَلَى كَرِيمِ
ألا حَبِذا من ليس يعدلُ قُربه لَدَى وإن شَطَّ الْمَزَارُ نَعِيمِ
ومن لَأَمْنَى فِيهِ حَمِيمٌ وَصَاحِبُ فُرْدٍ بِغَيْظٍ صَاحِبٌ وَحَمِيمِ

ثم سكت كالغمغمى عليه ، فصِحت بالصبية ، فأتوا بماء فصبته على وجهه ،
فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصَّبُّ الْغَرِيبُ رَأَى خُشُوعِي وَأَنْفَاسِي تَزِيئُنْ بِالْخُشُوعِ
ولى عين أضربها التفانى إِلَى الْأَجْرَاعِ مُطْلَقَةَ الدُّمُوعِ
إلى الخلوات تأنسُ فيك نفسى كَمَا أُنِسَ الْوَحِيدُ إِلَى الْجَمِيعِ

(١١٠) رَجُلٌ وَأَرْبَعُ حَسَنَاتٍ فِي الصَّحْرَاءِ*

كَانَ مَصَادِرُ بْنُ مَذْعُورٍ الْقَيْنِيُّ رَئِيسًا قَدْ أَخَذَ مِرْبَاعَ قَوْمِهِ دَهْرًا ، وَكَانَ ذَا مَالٍ فَتَدَّ
دَوْدَ مِنْ أَزْوَاجِ لَهُ فَخَرَجَ فِي بَغَائِهَا ؛ قَالَ : فَإِنِّي لَفِي طَلِبِهَا إِذْ هَبَطْتُ وَادِيًا شَجِيرًا كَثِيفَ
الظُّلَالِ وَقَدْ تَفَسَّخْتُ أَيُّنًا ، فَأَنْخَتُ رَاحَتِي فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَحَطَّطْتُ رَحْلِي وَرَسَعْتُ
بِعَيْرِي وَاضْطَجَعْتُ فِي بُرْدِي ، فَإِذَا أَرْبَعُ جَوَارٍ كَانَهُنَّ اللَّالِكُ يُرْعِينَ بَهْمًا لَهُنَّ ؛ فَلَمَّا
خَالَطْتُ عَيْنِي السَّنَةُ أَقْبَلْنَ حَتَّى جَلَسْنَ قَرِيبًا مِنِّي وَفِي كَفِّ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حَصِيَا

(١١٠)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ؛ منسوبا إلى ابن دريد عن السكن بن
سعيد عن العباس بن هشام عن أبيه .

وهذا الحديث هو الأصل الذي استند إليه بديع الزمان الهمذاني في كتابه المقامة الإبلسية (انظر
مقامات الهمذاني ص ١٨٢ ، من تحقيق الشيخ محمد عبده) التي تلتزم نفس البناء وتتحدث عن رجل نأث
إبله في الصحراء ، فخرج يبحث عنها ؛ فوجد شيخًا منفردًا دل عليها تبين فيما بعد أنه من شياطين الشر ،
وتردد صداه كذلك فيما بعد في «رسالة التوايع والزوايع» لابن شهيد الأندلسي .

تَقْلِبُهُنَّ ، فَخَطَّتْ إِحْدَاهُنَّ ثُمَّ طَرَفَتْ فَقَالَتْ : قُلْنَ يَا بَنَاتِ عَرَافَ ، فِي صَاحِبِ الْجَمَلِ
الثِّبَافِ ، وَالْبَرْدِ الْكَثَافِ ، وَالْجَرَمِ الْخَفَافِ . ثُمَّ طَرَفَتْ الثَّانِيَةَ فَقَالَتْ : مُضِيلُ أَذْوَادِ
عَلَكَدِ ، كُومِ صَلَاحِيْدِ ، مِنْهُنَّ ثَلَاثُ مَقَاحِيْدِ ، وَأَرْبَعُ جَدَائِدِ ، شُسْفُ صَمَارِدِ . ثُمَّ طَرَفَتْ
الثَّالِثَةَ فَقَالَتْ : رَعِيْنَ الْفَرْعِ ، ثُمَّ هَبْطُنِ الْكَرْعِ ، بَيْنَ الْعَيْدَاتِ وَالْجَرَعِ . فَقَالَتْ الرَّابِعَةُ :
لِيَهْطِ الْغَائِطُ الْأَفْجَحِ ، ثُمَّ لِيُظْهِرْ فِي الْمَلَا الصَّحْصَحِ ، بَيْنَ سَدِيْرٍ وَأَمْلَحِ ؛ فَهِنَاكَ الذُّودُ
رِتَاعٌ بِمُنْعَرَجِ الْأَجْرَعِ . قَالَ : فَقَمْتُ إِلَى جَمْلِي فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلَهُ وَرَكِبْتُ ، وَوَاللَّهِ مَا
سَأَلْتُهُنَّ مَنْ هُنَّ وَلَا مِمَّنْ هُنَّ . فَلَمَّا أَدْبَرْتُ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : أَبْرَحْ فَتَى إِنْ جَدَّ فِي طَلَبِ ،
فَمَا لَهُ غَيْرُهُنَّ نَشَبَ ، وَسِيْثُوبٌ عَنْ كَثَبَ ، فَفَرَّعْ قَلْبِي وَاللَّهِ قَوْلُهَا ؛ فَقُلْتُ : وَكَيْفَ هَذَا ؟
وَقَدْ خَلَّفْتُ بَوَادِي عَرَجًا عُكَّامَسًا ، فَرَكِبْتُ السَّمْتَ الَّذِي وُصِفَ لِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى
الْمَوْضِعِ فَإِذَا ذُوْدِي رَوَاعٍ ، فَضَرَيْتُ أَعْجَازَهُنَّ حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى الْوَادِي الَّذِي فِيهِ
إِبْلَى ، فَإِذَا الرُّعَاءُ تَدْعُو بِالْوَيْلِ ، فَقُلْتُ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : أَغَارَتْ بِهَرَاءَ عَلَى إِبْلَكِ
فَأَسْحَفَتْهَا ، فَأَمْسَيْتُ وَاللَّهِ مَا لِي مَالٌ غَيْرُ الذُّودِ فَرَمَى اللَّهُ نَوَاصِيَهُنَّ بِالرُّعْسِ ، وَإِنِّي الْيَوْمَ
لَأَكْثَرُ بَنِي الْقَيْنِ مَالًا ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

هو الدهر أسيرة ثم جارح	سوانحه مبشورة والبوارح
فبينما الفتى فى ظل نعماء غضة	تباكره أفيأوه وتراوح
إلى أن رمته الحادثات بنكبة	تضيّق به منها الرّحاب الفسائح
فأصبح بضوا لا يتوء كأنما	بأعظمه مما عراه القوادح
فما خيلتنى من بعد عرج عكاميس	أقسس أذوادا وهنّ روازح
حدابير ما ينهضن إلا تحاملا	شواسف عوج أسارتها الجوائح
فيا واثقا بالدهر كن غير آمن	لما تنتضيه الباهظات الفوادح
فلست على أيامه بمحكم	إذا فغرت فاهّا الخطوب الكوائح

مُجِيرُكَ مِنْهُ الصَّبِيرُ إِنْ كُنْتَ صَابِرًا
وإلا كما يهوى العدو المُكاشِح

(١١١) كَثِيرٌ فِي سَوَاقِ الْمَدِينَةِ*

قال هند بن عبدالله : بينما أنا مع أبي يسوق المدينة إذ أقبل كثير ، فلما رأى
أبي عدل إليه وتحدث معه ساعة ، فقال له أبي : هل قلت بعدى شيئاً يا أبا صخر ؟
قال هند : فأقبل عليّ وقال : احفظ هذه الأبيات ، وأنشدني :

وَكُنَّا سَلَكْنَا فِي صَعُودِ مِنَ الْهَوَى	فَلَمَّا تَوَاقَيْنَا تَبَّتْ وَزَلَّتْ
وَكُنَّا عَقِيدَنَا عُقْدَةَ الْوَصْلِ بَيْنَنَا	فَلَمَّا تَوَاقَيْنَا شَدَدَتْ وَحَلَّتْ
فَوَاعَجَبَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ	وَلِلنَفْسِ لَمَّا وَطَّتْ كَيْفَ ذَلَّتْ
وَلِلْعَيْنِ أَسْرَابُ إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا	وَلِلْقَلْبِ وَسْوَاسُ إِذَا الْعَيْنِ مَلَتْ
وَإِنِّي وَتَهِيَامِي بَعِزَّةٌ بَعْدَمَا	تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
لَكَالْمَرْتَجِي ظِلَّ الْعِمَامَةِ كُلَّمَا	تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اِضْمَحَلَّتْ
فَإِنْ سَأَلَ الْوِاشُونَ : فِيمَ هَجَرْتَهَا	فَقُلْ : نَفْسٌ حُرٌّ سُلِّيتَ فَتَسَلَّتْ

(١١٢) الْحَسَنَاتُ وَالْخِيُول*

اجتمع خمسُ جوارٍ من العربِ فقلن : هلمنن نصف خيل آبائنا . فقالت
الأولى : فرس أبي وردة ، وما وردة ! ذاتُ كَفَلٍ مُزْحَلِقٍ^(١) ، وَمَتْنٍ أَخْلَقٍ^(٢) ، وَجُوبِ

(١١١)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٦٥ ، ٦٦ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن الرياشي عن
ابن سلام عن عزيز بن طلحة عن عمه .

(١١٢)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه
عن ابن الكلبي عن أمه ، وهذا الحديث هو أصل المقامة الحمداية عند يدعي الزمان الهمداني والتي
تقوم على وصف الخيل في مجلس سيف الدولة الحمداية . انظر نص المقامة في مقامات الهمداني ،
تحقيق محمد عبده ص ١٥٠ وما بعدها .
(١) المملس . (٢) أملس .

أَخْوَقُ^(١) ؛ ونفس مَرْوَح^(٢) وعين طَرْوَح^(٣) ، ورجل ضَرْوَح^(٤) ، ويد سَبَّوح ، بُدَاهَتَهَا^(٥)
أَهْذَاب^(٦) وعَقَبَهَا^(٧) غلاب . وقالت الثانية : فرس أبى اللُّعَاب ، وما اللُّعَاب ! غَبِيَّةُ
سحاب ، واضطرام غاب ؛ مُتْرَصُ^(٨) الأوصال ، أَشْمُ^(٩) القَذال^(١٠) ، مَلَاَحَك^(١١)
المَحَال^(١٢) ، فارسُه مُجِيد ، وصيدهُ غَتِيد ، إن أَقْبِلْ فظلي مَعَاج^(١٣) ، وإن أدبر فظليم
هَذَاج^(١٤) ، وإن أحضر فعَلِج^(١٥) هَرَاج . وقالت الثالثة : فرس أبى خذمة^(١٦) ، وما خذمة !
إن أَقْبَلْتَ فقتاةً مَقْوَمَةً ، وإن أدبرت فَأَثْفِيَةً مَلْمَلَمَةً ، وإن أعرضت فذئبةٌ مُعْجَرَمَةٌ^(١٧) ؛
أرساغُها مُتْرَصَةٌ ، وفُصُوصُها مُمَعَّصَةٌ^(١٨) ، جريها انثِرار^(١٩) ، وتقريبُها انكدار . وقالت
الرابعة : فرسُ أبى خَيْفَق^(٢٠) ، وما خيفق ! ذات ناهق^(٢١) مَعْرَق^(٢٢) ، وشِدْقُ أشدق^(٢٣) ،
وأديم مُلَق^(٢٤) ؛ لها خَلَقٌ أَشْدَق^(٢٥) ودَسِيع^(٢٦) مُتَنَفِّف^(٢٧) ، وتَلِيل^(٢٨) مُسَيِّف^(٢٩) ، وثابة
زَلُوج ، خيفانة^(٣٠) زَهُوج^(٣١) ؛ تقريبُها إهْماج^(٣٢) ، وحَضْرُها ارتِجاج^(٣٣) . وقالت الخامسة :
فرسُ أبى هُذْلُول ، وما هُذْلُول ! طريدُه مَحْبُول ، وطالبُه مَشْكُول ؛ رقيق المِلاع^(٣٤) ،
أمين المَعَاقِم^(٣٥) ؛ عَيْل^(٣٦) المَحْزَم ، مِخْدُ مِرْجَم^(٣٧) ؛ مُنِيف الحارِك^(٣٨) أَشْمُ السَّنَابِك^(٣٩) ؛
مَجْدُول الخصائل ، سَبِطُ الفلالل^(٤٠) ؛ غَوَج^(٤١) التَّلِيل ، صَلْصال الصَّهِيل ؛ أدِيمُه
صاف ، وسَبِيبُه ضاف ، وغَفْوُه كاف .

-
- (٣) واسع . (٤) كثير المرح . (٥) بعيدة موقع النظر . (٦) دَفُوع .
(٧) فجاءتها . (٨) سرعة . (٩) جرى بعد جرى . (١٠) محكم . (١١) مرتفع . (١٢) معقد العذار .
(١٣) مداخل . (١٤) فقار الظهر . (١٥) مسرع . (١٦) متدحرج . (١٧) الحمار الغليظ .
(١٨) الحذم : القطع . (١٩) وثبة كوثية الطبي . (٢٠) قليلة اللحم . (٢١) انصباب .
(٢٢) سريع . (٢٣) العظم في خد الفرس . (٢٤) قليل اللحم . (٢٥) واسع الشدق . (٢٦) ممسك .
(٢٧) الشخص العظيم . (٢٨) مركب العنق في الحمار . (٢٩) واسع . (٣٠) العنق .
(٣١) جرادة . (٣٢) تثير الغبار . (٣٣) مبالغة في العدو . (٣٤) كثرة البرق . (٣٥) الجحافل .
(٣٦) المفاصل . (٣٧) غليظ . (٣٨) يرمم الحجر بالحجر . (٣٩) منسج الفرس . (٤٠) أطراف
الحوافر . (٤١) الشعر المجتمع . (٤٢) اللين المعطف .

(١١٣) فراق الأحباب*

وحدثني أبو بكر بن دريد قال : خرجنا من عُمان في سفر لنا فتنزلنا في أصل نخلة ، فنظرت فإذا فاختتان تزفوان في فرعها ، فقلت :

أقول لورقاوين في فرع نخلة وقد طُفِلَ الإمْساء أو جَنَحَ الْعَصْرُ
وقد بَسَطْتَ هاتنا لتلك جناحها ومال على هاتيك من هذه النحرُ
ليَهْنِكُما أن لم تُراعا بفُرقة وما دَبَّ في تشيت شَمَلِكُما الدَّهْرُ
فلم أر مثلى قطع الشوق قلبه على أنه يحكى قساوته الصُّخْرُ

(١١٤) حميرى يشخص الداء*

قيل لرجل من حمير : ما الداء الغضال ؟ قال : هوى مُحْرَض^(١) ، وحسدٌ مُمْرَضٌ ؛ وقلبٌ طروب ، ولسانٌ كذوب ، وسؤالٌ كديد^(٢) ومنعٌ ججيد^(٣) ؛ ورشدٌ مُطْرَحٌ ، وغنىٌ مُمتنع^(٤) .

(١١٥) الغريب والعاشق*

قال الأصمعي : بينما أنا سائر بناحية بلاد بنى عامر ، إذ مررت بحيلةٍ في غائط يطوُّهم الطريق ، وإذا رجل ينشد في ظل خيمة له وهو يقول :

أحَقَّ عباد الله أن لَسْتُ ناظرًا إلى قرقرى^(١) يومًا وأعلامها الغُيرُ

(١١٣)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٣٣ .

(١١٤)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٤٠ ؛ منسوبا إلى ابن دريد عن السكن بن سعيد .

(١) الحرص : الساقط الذي لا يقدر على النهوض . (٢) كديد : متعب .

(٣) ججيد : يابس لا لين فيه . (٤) ممتنع : مستعار غير أصيل .

(١١٥)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١١٧ ، ١١٨ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن

عن الأصمعي .

(١) قرقرى : اسم موضع .

كأن فؤادي كلما مرّ راكب
إذا ارتحلت نحو الإمامة رفقة
فيا راكب الوجناء أيت مُسلماً
إذا ما أتيت العرض^(١) فاهتف بجوّه
فإنّك مِن وادٍ إلى مُرجّب
وإن كنت لا تُزدارُ إلا على عُغر

قال : فأذنت^(٢) له وكان ندى الصوت ، فلما رأى أوماً إلى فأتيته فقال : أأعجبك ما سمعت ؟ فقلت : إى والله ، فقال : من أهل الحضارة أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فمن تكون ؟ قلت : لا حاجة لك فى السؤال عن ذلك ، فقال : أو ما حل الإسلام الضغائن وأطفأ الأحقاد ؟ قلت : بلى ، قال : فما يمنعك إذا ؟ قلت : أنا امرؤ من قيس ، فقال : الحبيب القريب من أيهم ؟ قلت : أحد بنى سعد بن قيس ، ثم أحد بنى أعصر ابن سعد ، فقال : زادك الله قرباً ، ثم وثب فأنزلنى عن حمارى ، وألقى عنه إكافه وقيده يقراب خيمته ، وقام إلى زند فاقتدح وأوقد ناراً ، وجاء بصيدانة فألقى فيها تمراً وأفرغ عليه سمناً ، ثم لفته حتى التّبك ، ثم ذرّ عليه دقيقاً وقربه إلى ، فقلت : إنى إلى غير هذا أحوج ، قال : وما هو ؟ قلت : تُنشدنى ، فقال : أصيب فإنى فاعل ، فلقمت لُقيمات وقلت : الوعد ، فقال : وتعمى عين ، ثم أنشدنى :

لقد طرقت أم الخُشيف وإنها
إذا صرع القوم الكرى لَطُرُوق
فما كبداً يُحمى عليها وإنها
مخافة هيضات الثوى لخفقون
أقام فريق من أناس يودهم
بذات الغضا قلبى وبان فريق
بحاجة محزون يظلّ وقلبه
رهين ببيضات الحجال صديق

(٢) أذنت له : أى أصغيت له بأذنى . (٣) العرض : دار بالإمامة .

تَحْمِلُنْ أَنْ هَبْتَ لِهِنَّ عَشِيَةً جَنُوبٌ وَأَنْ لَاحَتْ لِهِنَّ بُرُوقُ
كَأَنَّ قُضُولَ الرِّقَمِ حِينَ جَعَلْنَهَا غُدِيًّا عَلَى أَدَمِ الْجَمَالِ غُدُوقُ
وَفِيهِنَّ مِنْ بُخْتِ النِّسَاءِ رَيَحْلَةٌ تَكَادُ عَلَى غُرِّ السَّحَابِ تَرُوقُ
هِيَجَانُ فَأَمَّا الذَّغُصُ مِنْ أَخْرِيَاتِهَا فَوَعَتْ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَدَقِيقُ

قال : ففارقته وأنا أشد الناس ظمًا إلى معاودة إنشاده .

(١١٦) صلاية الحماسة .. لا رقة الغزل*

قال أبو حاتم : أتيت أبا عبيدة ومعى شاعر عروة بن الورد فقال لى : ما معك ؟
فقلت : شعر عروة ، فقال : فارغ حمل شاعر فقير ليقرأه على فقير ، فقلت له : ما معى
غيره ، فأنشدنى أنت ما شئت ، فأنشدنى :

يَا رَبِّ ظِلِّ عُقَابٍ^(١) قَدْ وَقَّيْتُ بِهَا مُهْرَى مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ
وَرُبُّ يَوْمٍ حَمَى أُرْعِيَتْ عَفْوَتُهُ خَيْلِي اقْتَصَارًا وَأَطْرَافُ الْقَنَاقِصِ^(٢)
وَيَوْمٌ لَهْوَ لِأَهْلِ الْخَفَضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءَ الْوَعَى وَنَارُهُ تَقْدُ
مُشْهَرًا مَوْقِفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعُ وَيَحْرُ الْمَوْتُ يَطْرِدُ
وَرُبُّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلُهَا مَخَرَّتُهَا بِمَطَايَا غَارَةٍ تَخِدُ
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ أَمْنَةً كَأَنَّهَا أَسَدٌ تَقْتَادُهَا أَسَدُ
فَإِنْ أَمُتْ حَتَفَ أَنْفَى لَا أَمْتُ كَمْدًا عَلَى الطَّعْمَانِ وَقَصْرِ الْعَاجِزِ الْكَمْدُ
وَلَمْ أَقُلْ لَمْ أَسَاقِ الْمَوْتَ شَارِيَةً فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَايَا شَرَعُ وَرُدُّ

ثم قال : هذا هو الشعر ! لا ما تعللون به أنفسكم من أشعار المخانيت ! قال أبو

يكرى : والشعر لقطرى بن الفجاءة .

(١١٦)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ مستندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم .
(١) العقاب : الراية . (٢) القصيد : القطع .

**أحاديث
من الجنوب**



(١١٧) حكميمان عند ملك حمير*

وحدثنا أبو بكر بن دريد - رحمه الله - قال : كان أبو حاتم يَصْنُ هذا الحديث ويقول : ما حدثني به أبو عبيدة حتى اختلفت إليه مدة وتحملت عليه بأصدقائه من الثقفين وكان لهم مواخيا . قال حدثنا أبو حاتم قال : حدثني أبو عبيدة قال حدثني غير واحد من هوازن من أولى العلم وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو جدّه ، قال : اجتمع عامر بن الظرب العدواني ، وحمة بن رافع الدوس - ويزعم النسب أن ليلي بنت الظرب أم دوس بن عدنان وزينب بنت الظرب أم ثقيف وهو قيسى - قال : اجتمع عامر ولحمة عند ملك حمير ، فقال : تساءلا حتى أسمع ما تقولان ، قال عامر لحمة : أين تُحِبُّ أن تكون أبياديك ؟ قال : عند ذى الرثية العديم^(١) ، وذى الخلّة^(٢) الكريم ، والمُعسر الغريم ، والمستضعف الهُضم . قال : من أحقُّ الناس بالمنع ؟ قال : الحرّيس الكاند^(٣) ، والمستמיד^(٤) الحاسد ، والملحِفُ الواجد ، قال : فمن أجدر الناس بالصنعة ؟ قال : من إذا أعطى شكر ، وإذا مُنِعَ عَذْر ، وإذا مُوْطِلَ صَبْر ، وإذا قَدُمَ العهد ذكر . قال : من أكرم الناس عشرة ؟ . من إن قرب منح ، وإن بعد مدح وإن ظُلم صفح ، وإن ضُويقَ سمح . قال : من ألأم الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سُئِلَ منع ، وإذا ملك كنع^(٥) ، ظاهره جشع ، وباطنه طبع^(٦) . قال : فمن أحلم الناس ؟ قال : من عفا إذا قدر ، وأجمل إذا انتصر ، ولم تُطْعِه عَزَّةُ الظُفَر . قال : فمن أحزم الناس ؟ قال : من أخذ رقاب الأمور بيديه ، وجعل العواقب نُصب عينيه ، ونَبَذَ الثَّهيبَ ذَبْرَ أذنيه^(٧) . قال : فمن أحرَقُ الناس ؟ قال : من ركب الخِطار ، واعتسف^(٨) العِثار ، وأسرع فى البدار . قال : فمن أجود الناس ؟ قال : من يذل المجهود ، ولم يأس على

(١١٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ؛ مستندا إلى ابن دريد ، ومتبوعا بتوقيق

وتأكيد للرواية ، وقد تركنا السند فيه كما هو ؛ لثفره .

(١) الرثية : المرض أو العجز . (٢) الخلّة : الحاجة . (٣) الكاند : الذى يكفر بالنعمة . (٤) المستמיד : طالب العطاء . (٥) كنع : تقيض وابتعد وهو كناية البخل . (٦) الطبع : الدنس . (٧) جعل الشيء دبر أذنيه : أى لم يلتفت إليه . (٨) الاعتساف : الذهاب على غير هدى .

المعهود . قال : فمن أبلغ الناس ؟ قال : من جلى المعنى المميز^(٩) ، باللفظ الوجيز ، وطبقي المفصل قبل التحزيز . قال : فمن أشقى الناس ؟ قال : من حسد على النعم ، وتسخط على القيسم ، واستشعر الندم ، على فوت ما لم يُحتم . قال : من أغنى الناس ؟ قال : من استشعر اليأس ، وأبدى التجلل للناس ؛ واستكثر قليل النعم ، ولم يسخط على القيسم . قال : فمن أحكم الناس ؟ قال : من صمت فاذا ذكر ، ونظر فاعتبر ، ووَعظ فازدجر . قال : من أجهل الناس ؟ قال : من رأى الخرق مغنما ، والتجاوز مغرما .

(١١٨) قِيلَ يُصْلِحُ بَيْنَ شَرِيفَيْنِ*

كان مرثد الخير بن ينكف بن نوف بن معديكرب بن مُضَجِي قَيْلا ، وكان جِدًّا على عشيرته مُحِبًّا لصلاحهم ، وكان سُبَيْع بن الحارث أخو عَلس - وعلس هو ذوجدان - وميثم بن مثوب بن ذى رُعَيْن تنازعا الشرف حتى تشاحنا وخيف أن يقع بين حييهما شرفيتفاني جذماهما^(١٠) ؛ فبعث إليهما مرثد فأحضرهما ليُصلح بينهما ، فقال لهما : إن التخبط^(١١) وامتطاء الهجاج ، واستحقاب اللجاج ، سيقفكما على شفا هوة في توردها بوار الأصيله ، وانقطاع الوسيلة ، فتلافيا أمركما قبل انتهاك العهد ، وانحلال العقد ، وتشتت الألفة ، وتباين السُّهْمَة ، وأنتما في فُسْحَة رافهة ، وقدم واطدة ، والمودة مثرية ، والبُقياء مُعرضة ؛ فقد عرفتم أنباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ، وأصغى إلى التقاطع ؛ ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيور أمورهم ؛ فتلافوا القرحة قبل تفاقم النَّأْي واستفحال الداء وإعواز الدواء ، فإنه إذا سَفَكَت الدماء استحكمت الشحنة ، وإذا استحكمت الشحنة

(٩) المزيز : الخافى البعيد المثال .

(١١٨)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٩٢ ، ٩٣ ؛ منسوبا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد ابن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه .

(١٠) الجذم : الفرع . (١١) التخبط : ركوب الرجل رأسه في الشر .

تقضبت عرى الإبقاء وشمل البلاء ، فقال سُبَّيع : أيُّها الملك ، إن عداوة بنى العلات لا تُبرئها الأساة ، ولا تشفيها الرِّقاة ، ولا تستقِلُّ بها الكُفاة ؛ والحسد الكامن ، هو الداء الباطن ؛ وقد علم بنو أبنينا هؤلاء أنَّا لهم ردةٌ إذا زهبوا ، وغيثٌ إذا أجذبوا ، وعَضُدٌ إذا حاربوا ، ومفرعٌ إذا نُكبوا ؛ وإنَّا وإياهم كما قال الأول :

إذا ما علوا قالوا أبونا وأمنَّا وليس لهم عالين أمُّ ولا أب

فقال ميثم : أيُّها الملك ، إن من نَفَسَ على ابن أبيه الرِّعامة ، وجدبه فى المقامة ، واستكثر له قليل الكرامة ، كان قرفا بالملامة ، ومُؤْنِبًا على ترك الاستقامة ؛ وإنَّا والله ما نعتدُّ لهم بيد إلا وقد نالهم منا كِفَاؤُها ، ولا نذكرُ لهم حسنة إلا وقد تطلَّع منا إليهم جزاؤها ، ولا يتقيأ لهم علينا ظِلُّ نعمة إلا وقد قُوبِلوا بشرواها ، ونحن بنو فحلٍّ مُقرَّم لم تقعد بنا الأمهات ولا بهم ، ولم تترعنا أعراق السُّوء ولا إياهم ؛ فعلام مطَّ الخُدود وخرز الثُيُون ، والجَنَيفُ والتَصعُّر ، والباؤ والتكبر ؟ ألكثرة عدد ، أم لفضل جلد ، أم لطول مُعتقد ؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأول :

لا^(٣) ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلُ فى حَسْبٍ عَشَى ولا أَنْتَ دِيَّانِي فَتَحْزُونِي

ومقاطع الأمور ثلاثة : حربٌ مُبيرة ، أو سلمٌ قريرة ، أو مُدْجاةٌ وَغَفيرة ؛ فقال الملك : لا تُنْشِطُوا عَقْلَ الشَّوَارِد ، ولا تُلْقِحُوا العُونَ القواعد ؛ ولا تُؤْزِثُوا نيران الأحقاد فيها المتلفة المستأصلة ، والجائحة والأليلة ؛ وَعَقِّوا بالحلم أبلاد الكلم ، وأنبيوا إلى السبيل الأرشد والمنهج الأقصد ، فإن الحرب تُقبل بزبرج الغرور ، وتُدِير بالويل والثبور ، ثم قام الملك وأنشد :

ألا هل أتى الأقوام بَذَلَى نصيحة حَبِوتَ بها منى سُبَّيعًا وميشما

(٣) لا : أراد الله ابن عمك فحذفت لام الجر والتي بعدها .

وقلت اعلمنا أن التدابير غادرت
فلا تقدحنا زند العقوق وأبقيا
ولا تجنبا حربا تجرّ عليكما
فإن جنة الحرب للحين عرصة
حذار فلا استنبئوها فإنها
فقالا : لا أيها الملك ، بل نقبل نصحك ، ونطيع أمرك ، ونطفئ النائرة ، ونحلّ
الضغائن ، ونثوب إلى السلم .

(١١٩) حميرى مع ولديه*

كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما : عمرو وللآخر : ربيعة ، وكانا
قد برعا فى الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء ، دعاهما
ليبلو عقولهما ، ويعرف مبلغ علمهما ؛ فلما حضرا قال لعمرو - وكان الأكبر - : أخبرنى
عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك ، قال : السيّد الياسل الذوّاد ، الصادر الوارد .
قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : ما أحسن ما وصف ! وغيره أحب إلى منه ، قال : ومن
يكون بعد هذا ؟ قال : السيّد الكريم ، المانع للحريم ، المِفْصَالُ الحليم ، القَمَقَامُ
الرّعيم ، الذى إن همّ فعل ، وإن سُئل بذل . قال : أخبرنى يا عمرو بأبغض الرجال
إليك ، قال : البرّم اللثيم ، المستخذى للخصيم ، المبطان النهم ، العيىّ الحكيم ؛
الذى إن سُئل منع ، وإن هُدّد خضع ، وإن طُلب جشع^(١) . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال :
غيره أبغض إلىّ منه ، قال : ومن هو ؟ قال : التّؤُوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ،
الرّغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام . قال : أخبرنى يا عمرو ، أىّ النساء أحب

(١١٩)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ . مسنداً إلى ابن دريد عن الأشعث اندانى
عن التوزى عن أبى عبيدة عن أبى عمر بن العلاء .
(١) جشع : الجشع أسوأ الحرص .

إليك ؟ قال : الهَرْكُولَةُ^(٢) اللِّفَاءُ^(٣) ، المَمْكُورَةُ^(٤) الجِيْدَاءُ ؛ التى يَشْفَى السَّقِيمَ كَلَامُهَا ،
وَيُبْرِى الوَصِيبَ إِمَامُهَا ؛ التى إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهَا شَكَرَتْ ، وَإِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهَا صَبِرَتْ ، وَإِنْ
اسْتَعْتَبْتَهَا أَعْتَبْتَ ؛ الْفَاتِرَةُ الطَّرْفُ ، الطُّفْلَةُ الْكَفْ ، الْعَمِيمَةُ الرَّدْفُ . قال : ما تقول يا
ربيعة ؟ قال : نَعَتٌ فَأَحْسِنْ ! وَغَيْرَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا ، قال : وَمَنْ هِيَ ؟ قال : الْفَتَّانَةُ
الْعَيْنِينَ ، الْأَسِيلَةُ الْخَضِيدِينَ ، الْكَاعِبُ الثَّدْيِينَ ، الرِّدَاحُ^(٥) الْوَرَكِينَ ؛ الشَّاكِرَةُ لِلْقَلِيلِ ،
الْمُسَاعِدَةُ لِلْحَلِيلِ ؛ الرَّخِيمَةُ^(٦) الْكَلَامِ ، الْجَمَاءُ^(٧) الْعِظَامِ ، الْكَرِيمَةُ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَامِ ،
الْعَذْبَةُ اللَّثَامُ^(٨) . قال : فَأَيُّ النِّسَاءِ إِلَيْكَ أَبْغَضُ يَا عَمْرُو ؟ قال : الْفَتَّانَةُ^(٩) الْكَذُوبِ ،
الظَّاهِرَةُ الْعَيُوبِ ، الطَّوَّافَةُ الْهَيُوبِ^(١٠) ، الْعَابِسَةُ الْقَطُوبِ ، السَّيَّابَةُ الْوُثُوبِ ؛ التى إِنْ
ارْتَمَنَهَا زَوْجُهَا خَانَتْهُ ، وَإِنْ لَانَ لَهَا أَهَانَتْهُ ، وَإِنْ أَرْضَاهَا أَغْضَبَتْهُ ، وَإِنْ أَطَاعَهَا عَصَتْهُ .
قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : بَشَى وَاللَّهِ الْمَرْأَةَ ذَكَرَ ! وَغَيْرُهَا أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهَا ، قال :
وَأَيَّتِهِنَّ التى هِيَ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ ؟ قال : السَّيْلُطَةُ اللِّسَانِ ، الْمُؤَذِيَةُ لِلْجِيرَانِ ،
النَّاطِقَةُ بِالْبَهْتَانِ ؛ التى وَجْهَهَا عَائِسٌ ، وَزَوْجُهَا مِنْ خَيْرِهَا أَيْسٌ ؛ التى إِنْ عَاتَبَهَا زَوْجُهَا
وَرْتَرَتْ ، وَإِنْ نَاطَقَهَا انْتَهَرَتْ . قال ربيعة : وَغَيْرُهَا أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهَا ، قال : وَمَنْ هِيَ ؟ قال :
الَّتِى شَقَى صَاحِبُهَا ، وَخَزَى خَاطِبُهَا ، وَافْتَضَحَ أَقْرَابُهَا . قال : وَمَنْ صَاحِبُهَا ؟ قال :
مِثْلُهَا فِى خِصَالِهَا كُلِّهَا ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا . قال : فَصِفْهُ لِي ؟ قال :
الْكُفُورُ غَيْرُ الشُّكُورِ ، اللَّثِيمُ الْفُجُورُ ، الْعَيُوسُ الْكَالِحُ ، الْحَرُونَ الْجَانِحُ ؛ الرَّاضِى
بِالْهَوَانِ ؛ الْمُخْتَالُ الْمَتَّانُ ، الضَّعِيفُ الْجَنَانُ ، الْجَعْدُ الْبِنَانُ ، الْقَوْلُ غَيْرُ الْعُقُولِ ،
الْمَتَوَلُّو غَيْرُ الْوُصُولِ ، الَّذِى لَا يَرِيعُ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَلَا يَرْتَدِعُ عَنِ الْمَظَالِمِ . قال :
أَخْبِرْنِي يَا عَمْرُو ، أَى الْخَيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، إِذَا التَّقَى الْأَقْرَانُ لِلتَّجَالِدِ ؟

(٢) الهَرْكُولَةُ : الْمُتَثَلِّثَةُ . (٣) اللِّفَاءُ : الْمُتَلَفَةُ الْجِسْمِ . (٤) الْمَمْكُورَةُ : الْمَغْطُوبَةُ الْخَلْقِ . (٥) الرِّدَاحُ : الثَّقِيلَةُ
الْمَجِيئَةُ الضَّخْمَةُ الْوَرَكِينَ . (٦) الرَّخِيمَةُ : الْبَيْنَةُ الْكَلَامِ . (٧) الْجَمَاءُ : لَا حِجْمَ لِعِظَامِهَا . (٨)
اللَّثَامُ : مَوْضِعُ اللَّثَمِ . (٩) الْفَتَّانَةُ : النَّمَامَةُ . (١٠) الْهَيُوبُ : الْكَثِيرَةُ الْإِتْبَاءُ .

قال : الجواد الأنيث ، الحصان^(١١) العنيق ، الكفيت^(١٢) العريق ، الشديد الوثيق ، الذى يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب . قال : نَعَمْ الفرس والله نَعَتْ ! قال : فما تقول يا ربعة ؟ قال : غيره أحب إلى منه ، قال : وما هو ؟ قال الحصان الجواد ، السلس القياد ، الشهم الفؤاد ، الصبور إذا سرى ، السابق إذا جرى . قال : فأى الخيل أبغض إليك يا عمرو ؟ قال : الجموح الطمّوح ، النكول^(١٣) الأنوح^(١٤) ؛ الصّؤول الضعيف ، الملول العنيف ؛ الذى إن جاريته سبقت ، وإن طليته أدركته ، قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال : غيره أبغض إلى منه ، قال : وما هو ؟ قال : البطيء الثقيل ، الخرّون الكليل ؛ الذى إن ضرّيته قمص ، وإن ذنوت منه شمس ؛ يدركه الطالب ، ويفوته الهارب ، ويقطع بالصاحب . قال ربعة : وغيره أبغض إلى منه ، قال : وما هو ؟ قال : الجمّوح النخبوط ، الرّكّوض الخرّوط ، الشّمّوس الصّروط ، القطّوف فى الصمود والهبوط ؛ الذى لا يُسلم الصاحب ، ولا ينجو من الطالب . قال : أخبرنى يا عمرو ، أى العيش ألدّ ؟ قال : عيش فى كرامة ، ونعيم وسلامة ، واغتراب مُدّامة . قال : ما تقول يا ربعة ؟ قال نَعَمْ العيش والله وَصَفَ ! وغيره أحب إلى منه ، قال : وما هو ؟ قال : عيش فى أمن ونعيم ، وعزّ وغنى عميم ، فى ظل نجاح ، وسلامة مساء وصباح ؛ وغيره أحب إلى منه ، قال : وما هو ؟ قال : غنى دائم ، وعيش سالم ، وظل ناعم . قال : فما أحب السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الصّقيّل الحسام ، البائر المجّدام^(١٥) ، الماضى السّطام^(١٦) ؛ المرهف الصّمصام ؛ الذى إذا هزّته لم يَكْبُ ، وإن ضرّبت به لم يَنْبُ . قال : وما تقول يا ربعة ؟ قال : نعم السيف نعت ! وغيره أحب إلى ، قال : وما هو ؟ قال : الحسام القاذع ، ذو الرّونق اللامع ، الظمآن الجائع ، الذى إذا هزّته هنك ، وإذا ضرّبت به يَنك . قال : فما أبغض السيوف إليك يا عمرو ؟ قال : الفطّار^(١٧) الكهّام ، الذى إن

(١١) الحصان : الذكر من الخيل . (١٢) الكفيت : السريع .

(١٣) النكول : الذى ينكل عن قرنه . (١٤) الأنوح : الكثير الزفير .

(١٥) المجّدام : القاطع .

(١٦) السطام : حد السيف . (١٧) الفطّار : الذى لا يقطع .

صُرب به لم يقطع ، وإن ذُبح به لم ينخع^(١٨) . قال : فما تقول يا ربيعة ؟ قال : يشس
 السيفُ والله ذَكَر ! وغيره أبغض إليّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : الطَّيْعُ^(١٩) الدُّدان^(٢٠) ،
 المعصَد^(٢١) المَهان . قال : فأخبرني يا عمرو ، أى الرماح أحب إليك عند العيراس ، إذا
 اعتكر الباس ، واشتجر الدعاس^(٢٢) ؟ قال : أحبها إليّ المارن المَثقف ، المَقوم
 المَخْطَف ؛ الذى إذا هزته لم ينعطف ، وإذا طعنت به لم ينقصف . قال : ما تقول يا
 ربيعة ؟ قال : نعم الرمح نعت ! وغيره أحب إليّ منه ، قال : وما هو ؟ الذابل
 العسال^(٢٣) ، المَقوم النسال^(٢٤) ؛ الماضى إذا هزته ، النافذ إذا همزته . قال : فأخبرني
 يا عمرو عن أبغض الرماح إليك ، قال : الأعصل^(٢٥) عند الطعان ، المُتلمَّ السنان ؛
 الذى إذا هزته انعطف ، وإذا طعنت به انقصف . قال : ما تقول يا ربيعة ؟ قال : يشس
 الرمح ذَكَر ! وغيره أبغض إليّ منه ، قال : وما هو ؟ قال : الضعيف المَهَزَّ ، اليايس الكَرَّ ،
 الذى إذا أكرهته انحطم ، وإذا طعنت به انقصم . قال : انصرفا الآن طاب لى الموت .

(١٢٠) شاعر عند ملك حمير*

وفد عليّة بن مسهر الحارثى والمُنْثَر أحد فوارس الأرباع الذين يقول لهم
 الأجدع الهمدانى :

وسألتنى بركائبى ورحالها ونسيت قتل فوارس الأرباع
 إلى ذى فائش الملك الحميرى ، وكان ذو فائش يحب اصطناع سادات العرب
 ويقرب مجالسهم ويقضى حوائجهم ، وكان عليّة شاعرا حدثاً^(١) ظريفا ؛ فقال له الملك :

(١٨) لم يبلغ النخاع . (١٩) الطيع : الصدا . (٢٠) الددان : الذى لا يقطع . (٢١) المعصَد : القصير
 يقطع به الأشجار . (٢٢) الدعاس : الطعان . (٢٣) العسال : الشديد الاضطراب إذا هزته . (٢٤)
 النسال : قريب من العسال . (٢٥) الأعصل : المتوجع .
 (١٢٠)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٣ ، ٢٤ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن
 الكلبي .
 (١) الحديث : الحسن الحديث .

يا علبة ، ألا تُحدثني عن أبيك وأعمامك وتصف لي أحوالهم ؟ فقال : بلى أيها الملك ،
 وهم أربعة : زيادٌ ومالكٌ وعمرو ومسهر . فأما زياد ، فما استل سيفه مُدّ ملكت يده قائمه
 إلا أغمض في جُثمان^(٢) بطل ، أو شوامت^(٣) جمل ؛ وكان إذا حملق^(٤) التجيد^(٥) ،
 وصلصل الحديد ، وبلغت النفسُ الوريد ، اعتصمت بحقويه الأبطال ، اعتصام الوُغُول
 بذُرى القلال ، قَذاد عنهم الأبطال ، زياد القُرُوم عن الأشوال . وأما مالك ، فكان
 عِصمة الهوالك ، إذا شُبّهت الأعجاز بالحوارك ؛ يفرى الرعيل ، فرى الأديم بالإزميل ،
 ويخبطُ البُهم ، خبط الذئب بقاد الغنم . أما عمرٌ ، فكان إذا عَصِيت الأفواه ، وذبلت
 الشفاه ، وتفادت الكُمة ؛ خاض ظلام العجاج ، وأطفأ نار الهياج ، وألوى بالأعراج ،
 وأردف كل طفلة مغناج ، ذات بدن رجراج ؛ ثم قال لأصحابه : عليكم النّهاب ،
 والأموال الرّغاب ؛ عطاء لا ضنين شكس ، ولا حقلدٍ عَكِس . وأما مُسهر ، فكان
 الذُّعاف المُمقِر ، والليث المُخَدّر ، يُحىي الحرب ويُسعر ، ويبيح النّهب فيكثر ، ولا
 يحتجن ولا يستأثر ؛ فقال له الملك : لله أبوك ! مثلك قَلِيصِف أسرته .

(٢) جثمان بطل : أي شخص . (٣) أي قوائمه ، يريد أنه يعقر الإبل للضيغان . (٤) حملق : انقلب
 بطن جفته . (٥) التجيد : البطل .

**أحاديث
من التاريخ**

(١٢١) يتشاقمان عند معاوية*

تلاحي الوليد بن عتبة وعمرو بن سعيد بن العاص في مجلس معاوية - رحمه الله - فتكلم الوليد فقال له عمرو : كذبت وكذبت ، فقال له الوليد : اسكت يا طليق اللسان منزوع الحياء ، وبألام أهل بيته ، فلعمري لقد بلغ بك البخل الغاية الشائنة المذلة لأهلها ، فسألت خلافتك لبخلك ، فمنعت الحقوق ، ولزمت العقوق ، فأنت غير مَشِيد البُنيان ، ولا رفيع المكان فقال له عمرو : والله إن قريشا لتعلم أني غير حُلُو المذاقة ، ولا لذيق الملاكمة ، وإني لكالشجا في الحلقي ؛ ولقد علمت أني ساكن الليل داهية النهار ، لا أتبع الأفياء ، ولا أنتمى إلى غير أبي ، ولا يُجهل حسبي ، حام لحقائق الذمار ، غير هَيُوب عند الوعيد ، ولا خائف رعديد ، فلم تُعَيِّر بالبخل وقد جُبِلت عليه ، فلعمري لقد أورتك الضرورة لؤما ، والبخل مُحشا ، فقطعت رَحِمك ، وجُرت في قضيتك ، وأضعت حق من وليت أمره ، فلست تُرجى للعظام ، ولا تُعرف بالمكارم ، ولا تستعف عن المحارم ، لم تقدر على التوقير ، ولم يُحكَم منك التدبير فأفجم الوليد ، فقال معاوية - وساء ذلك - : كفا لأبا لكما ، لا يرتفع بكما القول إلى ما لا نريد ، ثم أنشأ عمرو يقول :

وليدُ إذا ما كنت في القوم جالسًا فكن ساكنا منك الوقار على بال

(١٢١)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣٧ ، ٣٨ ؛ منسوبا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن العنبي عن أبيه عن رجل من أهل الشام عن الأبراشي عن الكلبي . وهذا الحديث وأمثاله وما يكون هو الذي أوحى لبديع الزمان بصياغة مقامات الشقائق المتبادلة ، مثل المقامة الدينارية التي تقوم على رصد دينار جائزة للفاخر من اثنين يتشاقمان : «قلت : ليستم كل منكما صاحبه ، فمن غلب سلب ، ومن عزير» والتي يتبارى فيها رجلان في الشقاق حتى يحار عيسى بن هشام لمن يعطى الجائزة حين يقول في نهاية المقامة : «فو الله ما علمت أي الرجلين أوتر ، وما منهما إلا يدع الكلام عجيب المقام ألد الخصام ، فتركتهما والدينار مشاع بينهما ، وانصرفت وما أدري ما صنع الدهر بهما».

«انظر المقامة الدينارية ص ٢١٦ وما بعدها ، في مقامات أبي الفضل بدیع الزمان الهمداني ، تحقيق الشيخ

محمد عبده» .

ولا يبدُرُن الدهر من فيك متطقٌ

بلا نظيرٍ قد كان منك وإغفال

(١٢٢) معاوية يتماسك*

مرض معاوية رحمه الله ، فأرجف به مصقلةُ بن هبيرة فحملة زيادٌ إلى معاوية وكتب إليه : إن مصقلة بن هبيرة يجتمع إليه مُراقٌ من أهل العراق يُرجفون بأمر المؤمنين ، وقد حملته إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه ، فوصل مصقلةٌ ومعاويةٌ قد برأ ، فلما دخل عليه أخذ بيده ، وقال : يا مصقلة ،

أبقى الحوادث من خليلك لك مثل جندلة المراجم
قد رامنى الأعداء قب لك فامتنعت عن المظالم
صُلِّبًا إذا غار الرُّجا ل أبل مُمتنع الشكائم

ثم جذبه فسقط ، فقال مصقلة : يا أمير المؤمنين ، قد أبقى الله منك بطشًا وحلمًا راجحًا وكلاً ومرعىً لوليك ، وسُماً ناقعاً لعدوك ، ولقد كانت الجاهلية ، فكان أبوك سيداً وأصبح المسلمون اليوم وأنت أميرهم . فوصله معاوية ورده . فستل عن معاوية ، فقال : زعمتم أنه كبر وضعف ، والله لقد جبدنى جبذة كاد يكسر منى عضواً ، وغمز يدي غمزة كاد يحطمها .

(١٢٣) أريحية معاوية*

قال أبو جهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عيد المسيح لابن عيد كُلال :

(١٢٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣١١ ، ٣١٢ : منسوبةً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبي .

(١٢٣)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٣٧ : مستنداً إلى ابن دريد عن العكلى عن أحمد بن محمد الهزنى .

نميل على جوانبه كأننا نميل إذا نميل على أبنينا
نقلبه لنخبر عالتيه فنخبر منهما كرجا ولينا
فأمر له بمائة ألف .

(١٢٤) وصف على في مجلس معاوية*

قال معاوية لضرار الصّدائي : يا ضرار ، صف لى علياً رضى الله عنه ، قال :
أعفتى يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفه ، قال : أما إذ لا بُدَّ من وصفه ، فكان والله بعيد
المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق
الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان
والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يُقلّب كفه ، ويخاطب نفسه ؛ يُعجبه من اللباس ما
قَصُر ، ومن الطعام ما خَشِن ؛ كان فينا كأحدنا ، يُجيبنا إذا سألناه ويُبتنا إذا استئناهُ ؛
ونحن مع تقرّبه إيانا وقربه منا لا نكاد نُكلّمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته ؛ يُعظم أهل
الدين ، ويحبّ المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا يئأس الضعيف من عدله ،
وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل
فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ يتململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ؛ ويقول :
يا دنيا ، غرى غبرى ، ألى تعرضت ، أم إلى تسوّقت ، هيهات هيهات ! قد باينتك ثلاثا
لا رجعة فيها ، فعمرُك قصير ، وخطركُ حقيق ؛ أه من قلة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة
الطريق ! فبكى معاوية رحمه الله وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف
حزُنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزُن من ذُبِح واحداً فى حجرها .

(١٢٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٤٧ ؛ مسنداً إلى أبى على الثقفى عن ابن دريد عن
العكلّى عن الحرمازى عن رجل من همدان .

(١٢٥) معاوية يسأل عن قبائل العرب*

سأل معاوية - رحمه الله - بعد الاستقامة ، عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان ، وكان عبد الحجر وقد على النبي صلى الله عليه وسلم فسماه عبد الله ، فقال له : كيف عِلْمُكَ بقومك ؟ قال : كعلمي بنفسي ، قال : ما تقول في مُراد ؟ قال : مُدْرِكو الأوتار ، وحماة الذمار ، ومُحرزو الخطار . قال : فما تقول في النخع ؟ قال : مانعو السرب^(١) ، ومُسْعِرو الحرب ، وكاشفو الكرب . قال : وما تقول في بني الحارث ابن كعب ؟ قال : فُرَاجو اللُكَاك^(٢) ، وفرسان العراك ، ولِيزاز الضُّحَاك^(٣) ؛ تراك تراك . قال : فما تقول في سَعْد العشيرة ؟ قال : مانعو الضيم ، وبانو الرِّيم^(٤) ، وشافو الغيم^(٥) . قال : ما تقول في جُعْفَى ؟ قال : فُرسان الصباح ، ومعلمو الرِّمَاح ، ومبارزو الرياح . قال : ما تقول في جنب ؟ قال : كُفَاةٌ يمنعون عن الحریم ، وَيَقْرُجُونَ عن الكظيم^(٦) . قال : فما تقول في صُدَاء ؟ قال : سِمام الأعداء ، ومساعير الهيجا . قال : فما تقول في زَهاء ؟ قال : يُتَنَهَوْنَ عادية الفوارس ، ويردُّون الموت ورد الخوامس ، قال : أنت أعلم بقومك .

(١٢٦) معاوية : من هم الناس؟*

قال معاوية لصعصعة بن صوحان : صف لي الناس ، فقال : خُلِقَ الناس أخيارًا : فطائفة للعبادة ، وطائفة للتجارة ؛ وطائفة خُطباء ؛ وطائفة للباس والنجدة ؛ ورجرجة فيما بين ذلك ، يَكْدِرُونَ الماء وَيُعْلُونَ السعر ، ويضيقون الطريق .

(١٢٥)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٥٩ : مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد عن الغباصي .

(١) السرب : الإبل وما رعى من المال . (٢) اللكاك : الزحام . (٣) الضحاك : الزحام . (٤) الرِّيم : الدرجة . (٥) الغيم : العطش . (٦) الكظيم : المكظوم الذي رد نفسه إلى خوفه .

(١٢٦)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٥٧ : مسندًا إلى ابن دريد عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة .

(١٢٧) معاوية : ما صفات السادة*

قال معاوية لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري : بأى شىء سُدَّتْ قومك يا عرابة ؟ قال : أنخبرك يا معاوية بأنى كنت لهم كما كان حاتم لقومه ، قال : وكيف كان ؟ فأنشده :

وأصبحت فى أمر العشيرة كلها	كذى الجلم يرضى ما يقول ويعرف
وذاك لأنى لا أعادى سرائتهم	ولا عن أخى ضرائهم أنكف
وإنى لأعطى سائلى ولربما	أكلف ما لا أستطيع فأكلف
وإنى لمدموم إذا قيل حاتم	نبا نبوة إن الكريم يعنف

والله إنى لأعفو عن سفيهم ، وأحلم عن جاهلهم ، وأسعى فى حوائجهم ، وأعطى سائلهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن فعل أحسن من فعلى فهو أفضل منى ، ومن قصر عن فعلى فأنا خير منه ؛ فقال معاوية : لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك :
 رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
 إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(١٢٨) فى مجلس معاوية*

دخل الخيار بن أوفى التهمذى على معاوية فقال له : يا خيار ، كيف تجدك وما صنع بك الدهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، صدع الدهر قناتى ، وأنكلنى لذاتى ،

(١٢٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٧٤ : مستنداً إلى ابن دريد عن الرياشي عن العثبي عن رجل من الأنصار .

(١٢٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٢ : مستنداً إلى أبى بكر عن العكلى عن أبى خالد عن الهيثم بن عدى .

وأوهن عِمَادِي ، وشَيَّب سَوَادِي ، وأسرع في تِلَادِي ؛ ولقد عِشْتُ زَمَنًا أَصْبَى الكَعَاب ،
 وَأَسْرُ الْأَصْحَاب ، وَأَجِيد الضَّرَاب ؛ فَبَانَ ذَلِكَ عَنِّي ، ودَنَا المَوْتُ مِنِّي ، وَأَنْشَأَ يَقُول :
 غَبِرْتُ زَمَانًا يَرْهَب القِرْنَ جَانِبِي كَأَنِّي شَتِيمٌ^(١) بِأَسْلُ القَلْبِ خَادِرٌ^(٢)
 يَخَافُ عَذْوَى صَوْلَتِي وَيَهَابَتِي وَيُكْرِِمُنِي قِرْنِي وَجَارِي المَجَاوِر
 وَتُصْبِي الكَعَابَ لِمَتِي^(٣) وَشِمَالَتِي كَأَنِّي غُصْنٌ نَاعِمُ الثَّيْتِ نَاصِر
 فَبَانَ شَبَابِي وَاعْتَرَتْنِي رَثِيَّةٌ^(٤) كَأَنِّي قَنَاقَةُ أَطْرَتِهَا المَاطِر
 أَذِيبُ إِذَا رُمْتُ السَّقِيَامَ كَأَنَّنِي لَدَى المَشْيِ قَرْمٌ قَيِّدُهُ مُتَقَاصِر
 وَقَصُرُ الْفَتَى شَيْبٌ وَمَوْتُ كِلَاهِمَا لَهُ سَائِقٌ يَسْعَى بِذَاكَ وَنَاضِر
 وَكَيْفَ يَلْذُ العِيشُ مِنْ لَيْسَ زَائِلًا رَهِيْنُ أُمُورٍ لَيْسَ فِيهَا مُصَادِر

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ ! وَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا مَصَادِرَ فَتَسْأَلُ اللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ
 الصَّادِرِينَ بَخِيرَ ، فَقَدْ أَوْرَدْنَا أَنْفُسَنَا مَوَارِدَ نَرْغَبُ إِلَى اللّٰهِ أَنْ يُصَدِّرَنَا عَنْهَا وَهُوَ رَاضٍ .

(١٢٩) مَعَاوِيَةُ يَجْلِدُ أَحَدَ وَلَاتِهِ

وَلَّى مَعَاوِيَةُ رُوحَ بَنِ زُبَاعٍ فَعَتَبَ عَلَيْهِ فِي جُنَايَةِ فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِالْقُدُومِ . فَلَمَّا قَدِمَ
 أَمَرَ بِضَرْبِهِ بِالسِّيَاطِ فَلَمَّا أُقِيمَ لِيُضْرَبَ ، قَالَ : تَشَدَّدْتَ اللّٰهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ تَهْدِمَ
 مِنِّي رُكْنًا أَنْتَ بَنَيْتَهُ ، أَوْ أَنْ تَضَعَ مِنِّي خَسِيسَةً أَنْتَ رَفَعْتَهَا ، أَوْ تُشَمِّتَ بِي عَدُوًّا أَنْتَ
 وَقَمَمْتَهُ^(١) ، وَأَسْأَلُكَ بِاللّٰهِ إِلَّا أَتَى حِلْمُكَ وَعَفْوُكَ دُونَ إِفْسَادِ صَنَائِعِكَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِذَا
 اللّٰهُ سَتَى عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرَ ، خَلُّوا سَبِيلَهُ .

(١) الشَّتِيم : الأسد العابس . (٢) الحَادِر : الأسد المقيم في خدره . (٣) اللِّمَّة : الشعر المجاور لشحمة
 الأذن . (٤) الرَثِيَّة : الضعف .

(١٢٩)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمل ، ص ٢٥٥ : مستندًا إلى ابن دريد عن العتبي عن أبيه عن
 جده .

(١) وقمته : قهرته .

(١٣٠) آخر خطبة معاوية*

كان آخر خطبة خطبها معاوية - رحمه الله - أن صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قبض على لحيته وقال : أيها الناس ، إني من زرع قد استحصد ، وقد طالت عليكم إمرتي حتى مللتكم ومللثمونى ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ، وإنه لا يأتىكم بعدى إلا من هو شر منى ، كما لم يأتكم قبلى إلا من كان خيراً منى ، وإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائى . ثم نزل فما صعد المنبر حتى مات .

(١٣١) معاوية يطلب البيعة ليزيد*

لما عقد البيعة معاوية - رحمه الله - لابنه يزيد قام الناس يخطبون ، فقال معاوية لعمر بن سعيد : قم يا أبا أمية ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن يزيد ابن معاوية أمل تأملونه ، وأجل تأمنونه ؛ إن استضقتم إلى حلمه ، وسعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ، جذع قارح سوبق فسبق ، وموجد فمجد ، وقور ففاز سهمه ، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال معاوية : أوسعت يا أبا أمية فاجلس .

(١٣٢) نصيحة زياد لعماله*

كان زياد إذا ولّى رجلاً عملاً قال له : خذ عهدك ومير إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سنتك ، وأنتك تصير إلى أربع خلال فاختر لنفسك : إنا إن وجدناك أميناً

(١٣٠)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣١١ مستنداً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى .

(١٣١)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٧١ ؛ منسوبة إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبى .

(١٣٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ مستنداً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة

عن يونس .

ضعيفاً استبدلنا بك لضعفك وسلمتكم من معرفتنا أمانتك . وإن وجدناك قوياً خائناً استهنا بقوتك ، وأحسننا على خيانتك أدبك ، وأوجعنا ظهرك وثقلنا غرمك . وإن جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين ، وإن وجدناك أميناً قوياً زدنا في عملك ورفعنا ذكرك ، وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك .

(١٢٣) حميرى يبايع يزيد*

أقام معاوية - رحمه الله - الخطباء لبيعة يزيد ، فقامت المعدية فشققوا الكلام . ثم قام رجل من حمير فقال : لسنا إلى رعاء هذه الجمال ، عليهم تشقيق المقال ، وعلينا صديق الصيال ؛ أما والله إنا نصير تحت البوارق ، مراقيل فى ظل الخوافق ؛ لا نسأم الضراس ، ولا نشمئز من المراس ؛ وإن واحدنا لألف ، وألفنا كهف ؛ فمن أبدى لنا صفحته ، حططنا علاوته ؛ ثم قام رجل من ذى الكلاع فأشار إلى معاوية فقال : هذا أمير المؤمنين ، فإن مات فهذا - وأشار إلى يزيد - فمن أبى فهذا - وأشار إلى السيف - ثم قال :

معاوية ، الخليفة لا تُمارى فإن سهلك فسايسنا يزيد
فمن غلب الشقاء عليه جهلا تحكم فى مفارقة الحديد

(١٢٤) معاوية والأحنف*

قال معاوية لعقال : بما سادكم الأحنف وهو خارجي ؟ فقال : إن شئت حدثتك عنه بخصلة ، وإن شئت باثنتين ، وإن شئت بثلاث ، وإن شئت حدثتك إلى الليل ، فقال حدثنى عنه بثلاث خصال ، قال : لم أر أحداً من خلق الله كان أغلب لنفسه من الأحنف ، فقال : نعم والله الخصلة ! قال : ولم أر أحداً من خلق الله أكرم لجليس من (١٣٣)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٦٠ ، ١٦١ : مستدلاً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن العتبي .

(١٣٤)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ : مستدلاً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

الأحنف ، قال يَغْمَ والله الخصلة ! قال : ولم أرَ أحدًا من خلق الله كان أحظى من الأحنف ، قال : كان يفعل الرجل الشيء فتصير حُطُوتُهُ للأحنف .

(١٢٥) الحجاج يعترف بعيوبه*

سأل عبد الملك الحجاج عن عيبه فتلكأ عليه ، فأبى إلا أن يخبره ، فقال : أنا حديد حسود حقوق لجوج ذو قسوة .

(١٢٦) عبد الملك والأعشى والحجاج*

دخل أعشى بن ربيعة على عبد الملك بن مروان وعنده ابنه الوليد وسليمان ، فقال له : يا أبا المغيرة ، ما بقى من شعرك ؟ فقال : والله لقد ذهب أكثره ، وأنا الذى أقول :

ما أنا فى أمرى ولا فى خصومتى	بمُهْتَضَمِ حَقِّى ولا سَالِمِ قَرْنِى
ولا مُسْلِمِ مَوْلَاى عند جناية	ولا مُظْهِرِ عَيْنِى ما سمعت أذنى
وفضّلنى فى الشعر والعلم أننى	أقول على علم وأعلم ما أعنى
فأصبحتُ إذ فَضَّلْتَ مروان وابنه	على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك : من يلومنى على حب هذا ! وأمر له بجائزة وقطية بالعراق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج على واجد ، فكتب له بالصفح عنه وبحسن صلته ، فأمر له الحجاج بذلك .

(١٣٥)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١١ : مسندًا إلى ابن دريد عن العكلى عن أبيه .
(١٣٦)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ : مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد .

(١٣٧) الهجاء وجليس الخليفة*

دخل العجاج على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عجاج ، بلغنى أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراب الأخبية ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظَلَمَ ، وإن لنا حِلماً يمنعنا من أن نُظَلِمَ ، فعلام الهجاء ؟ فقال : لكلماتك أشعرُ من شعرك ؛ فأنتى لك عزٌ يمنعك أن تُظَلَمَ ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع ، قال : فما الحِلْمُ الذى يمنعك من أن تُظَلَمَ ؟ قال : الأدب المُستطرف والطَّبع التالذ ، قال : يا عجاج ، لقد أصبحت حكيماً ؛ قال : وما يمنعنى وأنا نَجىُّ أمير المؤمنين .

(١٣٨) عبد الملك يسامر أهل بيته*

كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة فى سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته ، فقال لهم : لَيْقَلْ كُلُّ واحد منكم أحسن ما قيل فى الشعر ولْيُفَضَّلْ من رأى تفضيله ، فأتشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : امرؤ القيس ، وقال بعضهم : النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعرُ والله من هؤلاء جميعاً عندى الذى يقول :

وذى رحم قَلِمْتُ أَظْفَارَ ضَغِينِهِ	بحِلْمى عنه وهو ليس له حِلْمُ
يُحَاوِلُ رَغْمى لَا يُحَاوِلُ غَيْرِهِ	وكالموت عندى أَنْ يَحُلَّ بِهِ الرُّغْمُ
فإن أَعَفُّ عنه أَغْضِ عَيْنًا على قَذَى	وليس له بالصفح عن ذنبه عِلْمُ
وإن أنتصر منه أَكُنْ مثْلَ رائِثِ	سَهَامٍ عَذُوُّ يَسْتَهَاضِي بِهَا الْعِظَمُ

(١٣٧)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمل ، ص ٤٧ : مستنداً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن ابن يزيد من المفضل .

(١٣٨)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمل ، ص ١٠١ ، ١٠٢ : مستنداً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة .

صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
وَبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْيَ وَالْمَرْءَ قَادِرَ
وَيَشْتَمُ عِرْضِي فِي الْمَغْئِيبِ جَاهِدًا
إِذَا سَمِعْتُهُ وَصُلَّ الْقِرَابَةَ سَامِنِي
وَأِنْ أَدْعَهُ لِلنَّصَفِ يَأْبَ وَيَعْصِمُنِي
فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ التَّيَّ
إِذَا لَعَلَّاهُ بَارَقِي وَخَطَمْتُهُ
فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ قَاتَلَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ؟ قَالَ : مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمَزْنِي .

(١٢٩) الرد على الإهانة*

أَغْلَطَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : مَهْلًا ، عَمْرُو
لَيْسَ بِحُلُوِّ الْمَذَاقَةِ ، وَلَا رِخْوِ الْمِلَاقَةِ ؛ وَلَا الْخَسِيسِ وَالْخَسُوسِ ، وَلَا النَّكْثِ وَلَا
الشُّكْثِ ، الْهَالِكِ فَهَاهُ^(١) ، الْجَاهِلِ سَفَاهَةً ؛ وَاللَّهِ مَا أَنَا بِكِهَامِ اللِّسَانِ ، وَلَا كَلِيلِ الْخَدِّ ،
وَلَا عَيْبِ الْخَطَابِ ، وَلَا خَطِلِ الْجَوَابِ ، أَيُّهَاة ! جَارِيْتُ وَاللَّهِ الْأَسْنَانَ وَجَرَسْتَنِي الْأُمُورَ ؛
وَلَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ أَنِّي سَاكِنُ اللَّيْلِ دَاهِيَةَ النَّهَارِ ، لَا أَتَهَضُّ لَغَيْرِ حَاجَتِي وَلَا أَتَبِعُ أَفْيَاءَ
الْقُلُلِ ، وَإِنَّكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ لِأَبْيَضَ أَمْلُود^(٢) رَقِيقِ الشَّعْرَةِ ، نَقَى الْبَشْرَةِ ؛ صَاحِبَ
ظُلُمَاتٍ ، وَوَثَابِ جَذْرَاتٍ ، وَزَوَارِ جَارَاتٍ .

(١) لَا يَشَاكِهِ : لَا يَشَابِهُهُ .

(١٢٩)* وَرَدَ الْحَدِيثُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْأُمَالِي ، ص ٢٥٥ : مُسْتَنَدًا إِلَى ابْنِ دُرَيْدٍ عَنِ الْعَمَكِيِّ عَنِ الْحَرَمَازِيِّ

عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ .

(١) الْفَعْلُ : الْعَمَى الْكَلِيلُ الْبَشِيرُ . (٢) الْأَمْلُودُ : النَّاعِمُ .

(١٤٠) بلاغة عبد الملك*

لما قَتَلَ عبد الملك مُصعب بن الزبير دخل الكوفة ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيُّها الناس ، إن الحرب صعبةٌ مرة ، وإن السلم أمنٌ ومُسرة ؛ وقد زبنتنا الحرب وزبَّناها ، فعرفناها وألفناها ؛ فتحن بثؤها وهي أُمنا . أيُّها الناس ، فاستقيموا على سُبُل الهدى ، ودعُوا الأهواء المردية ، وتجنّبوا فِراق جماعات المسلمين ، ولا تُكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون أعمالهم ، ولا أَظنكم تزدادون بعد الموعظة إلاَّ شُرًّا ، ولن نزداد بعد الإغذار إليكم والحجة عليكم إلاَّ عقوبة ؛ فمن شاء منكم أن يعود بعدُ لمثلها فليعد ، فإنما مثلى ومثلكم كما قال قيس بن رفاعه :

مَنْ يَصِلْ نَارِي بِلا ذَنْبٍ وَلَا تَرَة	يَصِلْ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَارِ
أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مِنْ مِجَاهِرَة	كَيْ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيٍ وَإِنذارِ
فَإِنْ عَصَيْتُمْ مَقَالِي الْيَوْمَ فَاعْتَرَفُوا	أَنْ سَوْفَ تَلْقَوْنَ خِزْيًا ظَاهِرَ الْعَارِ
لَتَرْجِعُنَّ أَحَادِيثًا مُلْعَنَة	لَهُوَ الْمُقِيمُ وَلَهُوَ الْمُدْلِجُ السَّارِ

(١٤١) رموز عبد الملك*

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : أنت عندي كسالم ، فلم يدر ما هو ، فكتب إلى قتيبة يسأله ، فكتب إليه : إن الشاعر يقول :

يُديرونني عن سالم وأديرهم
وجِلْدَةٌ بَيْنَ الأنفِ والعَيْنِ سَالِمٌ

ثم كتب إليه مرة أخرى : أنت عندي قِدْحُ ابنِ مِقْبَل ، فلم يدر ما هو ، فكتب

(١٤٠)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١١ : مستندًا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه .

(١٤١)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ١٥ : مستندًا إلى أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي .

إلى قتيبة يسأله - وكان قتيبة قد روى الشعر - فكتب إليه : إن ابن مقبل نعت قدحاً له فقال :

غدا وهو مَجْدُولٌ وراح كأنه من المش والتقليب بالكف أفطع^(١)
خروجٌ من الغمى إذا صُكَّ صكَّةٌ بدا والعيون المستكفة تلمح

(١٤٢) نصائح سياسية*

قال القرظي لعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - لا تتخذن وزيرا إلا علما ، ولا أمينا إلا باجميل معروف ، وبالمعروف موصوفا ؛ فإنهم شركاؤك فى أمانتك ، وأعوانك على أمورك ؛ فإن صلحوا أصلحوا ، وإن فسدوا أفسدوا .

وقال عبد الملك بن مروان - رحمه الله - : يا بنى أمية ، ابدلوا نذاكم ، وكفوا أذاكم ؛ واعفوا إذا قدرتم ، ولا تبخلوا إذا سئلتهم ؛ فإن خير المال ما أفاد حمداً أو نفى ذمّا ، ولا يقولن أحدكم إبدأ بمن تعمل ؛ فإنما الناس عيال الله قد تكفل الله بأرزاقهم ، فمن وسع أخلف الله عليه ، ومن ضيق ضيق الله عليه .

(١٤٣) عبد الملك والسياسة*

سأل الوليد بن عبد الملك أباه عن السياسة ، فقال : هيبة الخاصة مع صدق مودتها ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها ، واحتمال هفوات الصنائع ؛ فإن شكرها أقرب الأيادى إليها .

(١) أفطع : عريض .

(١٤٢) ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٩ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن الثوزى عن أبى عبيدة .

(١٤٣) ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٨٠ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن ابن يزيد .

(١٤٤) احتسروا من الشعراء*

قال عبد الملك بن مروان لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : مالك ولحرتان ابن عمرو حيث يقول فيك :

إذا هتف العصفور طار فؤاده
وليث حديد الناب عند الشرائد

فقال : يا أمير المؤمنين ، وجب عليه حد فأقمته ، فقال : هلا درأت عنه بالشبهات ، فقال : كان الحد أبين ، وكان رغبة على أهون ! فقال عبد الملك : أحسابكم ، أنسابكم لا تعرضوها للهجاء ، وإياكم وما سار به الشعراء ، فإنه باق ما بقى الدهر .

(١٤٥) صورة مثالية لموظف عام*

كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي : أما بعد ، فإنني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ذي عفة وتزاهة طعمة ، قد هذيته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس بظنين في رأيه ، ولا يقطعون في حسبه ، إن أوغمن على الأسرار قام بها ، وإن قلد مهمًا من الأمور أجزأ فيه ؛ له سين مع أدب ولسان ، تقعده الرزانة ويسكنه الحلم ، قد فر عن ذكاء وفطنة ، وعرض على قارحة من الكمال ، تكفيه اللحظة ، وترشده السكنة ؛ قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام في أمورهم فحميد فيها ؛ له أنأة الوزراء ، وصولة الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ؛ لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه ؛ دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم له شاهدة ؛ مضطلعًا بما استنهض ، مستقلا بما حمل ؛ وقد أثرتك بتقليبه ، وحبوتك بارتياحه ؛ ثقة بفضل اختيارك ، ومعرفة بحسن تأنيك ، فكتب إليه : إني عازم أن أرغب إلى الله جل وعز حولًا كاملاً في ارتياد مثل

(١٤٤)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن

العبسي .

(١٤٥)* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٤٩ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن الحسن بن خضرم عن أبيه .

هذه الصفة ، وأُفرق الرسل الثقات فى الأفاق لالتماسه ، وأرجو أن يُنَّ الله بالإجابة ،
فأفوز لديك بقضاء حاجتك والسلام .

(١٤٦) المهلب وجاسوس بليغ*

قيل للمُهلب : إن فلاناً عينٌ للخوارج فى عسكرك ، وإنه يتكفَّن بالسلاح إذا
دُعُوا للحرب ليقتالك ويلحق بالخوارج ، فبعث إليه ، فأثنى به فقال له : قد تقرر عندنا
كيدُك لنا ، ولم نُقدم من أمرك على ما عزمنا عليه إلا بعد ما لم يدع اليقين للشك
مُعترضاً ، فاختر أى قِتلة تحب أن أقتلك ؟ فقال : سيفٌ مُجهز أو عطفة كريمة مُحْتَقِر
لضِيعن ذوى الضغائن ، قال : فإنها عطفة كريمة محتقر الذنوب ، فخلى سبيله ، فكان بعد
ذلك من أوثق أصحابه عنده .

(١٤٧) قرشى مع هشام بن عبد الملك*

قَدِمَ وفد على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من قریش يقال له :
إنمعايل بن أبى الجهم ، وكان أكبرهم سناً ، وأفضلهم رأياً وحلماً ، فقام متوكئاً على
عصا وقال : يا أمير المؤمنين ، إن خطيأ قریش قد قالت فيك فأطنبت ، وأنتت عليك
فأحسننت ؛ ووالله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى مثنيتهم فضلك ؛ أفأذن لى فى
الكلام ؟ قال : تكلم ، قال : أفأؤجز أم أطنب : قال : بل أؤجز ؛ قال : تولاك الله يا
أمير المؤمنين بالحُسنى ، وزينك بالتقى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ؛ إن لى حوائج
أفأذكرها ؟ قال : نعم ، قال : كَبُرَتْ سنى ، وضعُفَتْ قُوَاى ، واشتدت حاجتى ، فإن
رأى أمير المؤمنين أن يجير كسرى ، وينفى فقرى ؛ قال : يا ابن الجهم ، ما يجبر كسرك
وينفى فقرك ؟ قال : ألف دينار وألف دينار وألف دينار ، قال : هيهات يا ابن الجهم !

(١٤٦)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ؛ مسنداً إلى ابن دريد عن السكن عن
محمد بن عباد المهلبى .

(١٤٧)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٤٧ ؛ مسنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

بيت المال لا يحتمل هذا ، قال : كأنك آليت يا أمير المؤمنين ألا تقضى لى حاجة مقامى هذا ، قال : ألف دينار لماذا ؟ قال : أفضى بها ديناً قد فدحنى حملة ، وأرهقنى أهله ؛ قال : نعم المسلك أسلكتها ، ديناً قضيت ، وأمانة أديت ؛ قال وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوج بها من أدرك من ولدى ، فأشد به عضدى ، ويكثر بهم عددى ؛ قال : ولا بأس ، أغضضت طرفاً ، وحصنت فرجاً ، وأمرت نسلاً ؛ وألف دينار لماذا ؟ قال : أشتري بها أرضاً فأعود بفضلها على ولدى ، وبفضل فضلها على ذوى قراباتى ؛ قال : ولا بأس ، أردت ذخراً ، ورجوت أجراً ، ووصلت رحماً ؛ قد أمرنا لك بها ، فقال : الله الم محمود على ذلك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحيم خيراً . فقال هشام : تالله ما رأيت رجلاً أُلطف فى سؤال ، ولا أرفق فى مقال من هذا . هكذا فليكن القرشى .

(١٤٨) حفيد عبد الملك*

قال العباس بن الوليد بن عبد الملك لمسلمة بن عبد الملك :

ألا تقنى الحياء أبا سعيد	وتُقَصِّرْ فى مُلاحاتى وعدلى
فلولا أن أصلك حين تُنمى	وفرعك مُنتمى فرعى وأصلى
وأنى إن رميتك هِضتُ عَظْـمى	ونالتنى إذا نالتك نَبلى
لقد أنكرتنى إنكار خوف	يَضُمُّ حشاك عن شَتْمى وأكلى
كقول المرء عمرو فى القوافى	لقيس حين خالف كلَّ عدل
عَـذِـيرى من خليلى من مُراد	أريدُ حياته ويُريد قَتلى

يريد عمرو بن بن معد يكرب ، وقيس بن مكشوح .

(١٤٨)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٤ : مسنداً إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد عن هشام .

(١٤٩) الرعية وعمر بن عبد العزيز*

وفد وافد على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقال له : كيف تركت الناس؟ قال : تركت غنيهم موفورا ، وفقيرهم محبورا ، وظالمهم مقهورا ، ومظلومهم متصورا ، فقال الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي لكان يسيرا .

(١٥٠) تصميم عبد الملك*

كان عبد الملك بن مروان - رحمه الله - يُوجِّه إلى مُصعب جيشًا بعد جيش فيَهْزَمُون ، فلما طال ذلك عليه واشتد غمُّه أمر الناس فعسكروا ودعا بسلاحه فلبسه ، فلما أراد الركوب قامت إليه أم يزيد ابنة - وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية - فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو أقمت وبعثت إليه لكان الرأى ، فقال : ما إلى ذلك من سبيل ، فلم تزل تمشى معه وتكلمه حتى قرب من الباب ، فلما يشت منه رجعت فبكت وبكى حَسَمُها معها ، فلما علا الصوتُ رجع إليها عبد الملك فقال : وأنتِ أيضًا عن يبكى ! قاتل الله كثيرًا ، كأنه كان يرى يومنا هذا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم تشن همه خَصَانُ عليها نظم دُرُ يزيناها
نَهَتْهُ فلمَّا لم تَرَ النُّهى عاقه بكت فيكى عما شجاها قطينها^(١)
ثم عَزَمَ عليها بالسكوت وخرج .

(١٤٩)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣٧ : مستندًا إلى أبى على عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١٥٠)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٣ : مستندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن العتبى عن أبيه /
(١) القطيع : الخدم .

(١٥١) كيد امرأة ضد البختری*

كان البختری بن أبی صُفرة من أكمل فتيان العرب جمالا وبيانا ونجدة وشعرا ، وكان بنو المهلب يحسدونه لفضله ، قَدَسَتْ إليه أمٌ ولد عُمارة بن قيس الیحمدي فراودته عن نفسه فأبى ، فحملت عليه عُمارة حتى شكاه إلى المهلب ، وأكثر في ذلك بَنُوهُ القول فعرف ذلك في المهلب فكتب إليه :

جفوتَ امرأ لم يَنْبُ عما تريده	وكان إلى ما تشتهيهِ يسارع
تموتُ جِفاً دون ضيمك نَفْسُهُ	وأنت إلى ما ساءه مُتَطالع
كأنی أخو ذنب وما كنت مُذنبا	ولكن دَهَنِي الساريات الشِّبادع
يسفين أمورا لستُ من أشاؤها	ولو جُعِلَتْ في ساعدي الجوامع
أأصبو بعُرسِ الجار أن كان غائبا	وتلك التي تَسْتَك فيهِها الماسع
فلستُ ورَبُ البيت أصبُو بمثلها	وربى راءِ ما صنعتُ وسامع
فلا تقطعن منى وشائج سُهْمَةٍ	فلا يصلُ الأبناء ما أنت قاطع
وكافح بأجرامی الهياج إذا التظى	شِهَابٌ من الموت المحرق لامع
تَنْبُهُ وعهدِ الله منى مُشيعا	صَبورا على اللاواء والموتُ كانع

(١٥١)* ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمل ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ : مستدًّا إلى ابن دريد عن السكن عن محمد بن عباد .

وهناك حديث آخر عن شخصية البختری وهو يتصل بهذه القصة في الجزء الثاني ص ٣١٣ ، وستورده عقب هذا الحديث لتكتمل الصورة .

(١٥٢) البيخترى أمير مظلوم*

استعمل المهلب يزيد على حرب خراسان ، واستعمل المغيرة على خراجها ، ولم
يولّ البيخترى بن المغيرة بن أبى صفرة ، فكتب إليه :

أقرّ السّلام على الأمير وقُلْ له إن المقام على الهوان بلاءٌ
أصلُ الغدوّ إلى الرواح وإنما أذنى وأذن الأبعدين سواء
أجفَى ويُدعى مَنْ ورائى جالساً ما بالكرامة والهوان خفاء
فوجد عليه المهلبُ وألزمه منزله ، فكتب إليه :

جفانى الأميرُ والمغيرةُ قد جفا وأمسى يزيدُ لى قد ازورّ جانبهُ
وكلّهمُ قد نال شيبعا لبطنه وشيخُ الفتى ثؤمٌ إذا جاع صاحبهُ
فيا عمُّ مهلاً واتخذنى لنوبةٍ تلمُ فإن الدهر جمٌ نوائبهُ
أنا السيف إلا أنّ للسيف نبوةٌ ومثلى لا تنبو عليه مضاربهُ

(١٥٣) ابحت عن الجود المدفون*

دخل أبو جؤيرية الشاعر على خالد بن عبدالله يمدحه ؛ فقال له خالد : أأنت
القائل :

ذهب الجودُ والجَنيدُ جميعاً فعلى الجود والجَنيد السّلامُ
أصبحا ثأوين فى بطن مَرٍو ما تغنى على الغصون الحمامُ

(١٥٢)* ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٣١٣ ، ٣١٤ ؛ بنفس إستاذ الحديث السابق عليه
والذى شغفناه به لاكتمال أحدهما بالآخر .

(١٥٣)* ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن
أبى عبيدة .

اذهب إلى الجُود حيث دفنته فاستخرجه ؛ قال أبو جويرية : أنا قاتل هذا ، وأنا
الذي أقول بعده ؛ فوثب إليه الخرسُ ليدفعوه ، فقال خالد : دَعُوهُ ، لا نجتمع عليه
الجِرمَان ونمنعه الكلام ؛ فأنشأ يقول :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم	قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
أو خلَّد الجُود أقواماً ذوى حسب	فيما يحاول من آجالهم خلَّدوا
قومٌ سينانٌ أبوهم حين تنسيهم	طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدوا
حين إذا فزعوا إنسٌ إذا أمِنوا	مُرَزَّعُونَ بهالِيلٍ إذا احتشدوا
مُحَسِّدُونَ على ما كان من نعم	لا ينزعُ الله عنهم ما له حَسِدوا

قال : فخرج من عنده ولم يعطه شيئاً .

أحاديث
من عالم الحكمة والفصاحة

العقل عقلان ، فعقلُ الله بصنعه ، وعقلُ يستفيد المرء بأديه وتجربته ، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركَّب ، فإذا اجتمعَا في الجسد قوَى كلُّ واحد منهما صاحبه تقوية النار في الظلمة نُور البصر .

رأيتُ ببيشة رجلاً من أزد السَّراة أعمى يَقُوده شابٌ جميلٌ وهو يقول له : يا سُمَى ، لا يَفْرُتُكَ أَنْ فَسَحَ الشَّبابُ خَطُوكَ ، وَخَلَّى سَرِيكَ ^(١) ، وَأَرْفَقَ ^(٢) وَرَدَكَ ، فَكَأَنَّكَ بالكبر قد أَرَبَ ^(٣) ظُوفَكَ ^(٤) ، وَأَثْقَلَ أَوْقَكَ ^(٥) ، وَأَوْهَنَ طُوقَكَ ، وَأَتَعَبَ سَوْقَكَ ؛ فَهَدَجْتَ بعد الهملجة ^(٦) ، وَدَجَجْتَ ^(٧) بعد الذُّعلجة ^(٨) ؛ فَخَذَ من أَيَّامِ التَّرْفِيهِ لَأَيَّامِ الانْتِزَاعِ ، وَمِنْ سَاعَاتِ الْمُهْلَةِ لِسَاعَةِ الْإِعْجَالِ ؛ يَا بَنَ أَخِي ، إِنْ اغْتَرَاكَ بِالشَّبابِ كَالْتِذَاذِكَ بِسَمَادِيرِ ^(٩) الْأَحْلَامِ ، ثُمَّ تَنْقَشِعْ فَلَا تَتَمَسَّكُ مِنْهَا إِلَّا بِالْخُسْرَةِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تُعَرِّى رَا حِلَّةَ الصَّبَا ، وَتَشْرِبُ سَلْوَةَ عَنِ الْهَوَى ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَغْنَى النَّاسِ يَوْمَ الْفَقْرِ مِنْ قَدَمِ ذَخِيرَةٍ ، وَأَشَدَّهُمْ اغْتِبَاطًا يَوْمَ الْخُسْرَةِ مِنْ أَحْسَنِ سُرِيرَةٍ .

(١٥٤) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١٦٧ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم - عن العتبي عن أبيه .

(١٥٥) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣١٢ ؛ مسندًا إلى ابن دريد عن السكن عن هشام عن محمد بن السائب عن أبيه .

(١) السرب : الطريف . (٢) الرفق : أن تشرب الإبل كل يوم . (٣) أرب : شد . (٤) تقول ظفقت البعير إذا دأبت مواضع قيده . (٥) الأوق : الثقل . (٦) سرعة المشى . (٧) السير الضعيف . (٨) ضرب من المشى . (٩) سمادير : أباطيل .

١٥٦ - قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ فِي بِلَاطِ قَيْصَرَ *

كَانَ قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ يَقْدُّ عَلَى قَيْصَرَ وَيُزَوِّدُهُ فَقَالَ لَهُ قَيْصَرُ يَوْمًا : مَا أَفْضَلُ الْعَقْلُ ؟
 قَالَ : مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ، قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ الْعِلْمُ ؟ قَالَ : وَقُوفُ الْمَرْءِ عِنْدَ عِلْمِهِ ، قَالَ :
 فَمَا أَفْضَلُ الْمَرْوَةِ ؟ قَالَ : اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ ، قَالَ : فَمَا أَفْضَلُ الْمَالُ ؟ قَالَ : مَا
 قُضِيَ بِهِ الْحَقُوقُ .

١٥٧- أَعْمَدَةُ الْحِكْمَةِ السَّبْعَةِ *

(كَلَامُ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ)

مَنْ كَانَتْ فِيهِ سَبْعُ خِصَالٍ لَمْ يَعدِمِ سَبْعًا : مَنْ كَانَ جَوَادًا لَمْ يَعدِمِ الشَّرَفَ ،
 وَمَنْ كَانَ ذَا وِفَاءٍ لَمْ يَعدِمِ الْمِقَّةَ ، وَمَنْ كَانَ صِدْقًا لَمْ يَعدِمِ الْقِيُولَ ، وَمَنْ كَانَ - شُكُورًا
 لَمْ يَعدِمِ الزِّيَادَةَ ، وَمَنْ كَانَ ذَا رِعَايَةٍ لِلْحَقُوقِ لَمْ يَعدِمِ السُّودَّ ، وَمَنْ كَانَ مُنْصَفًا لَمْ
 يَعدِمِ الْعَاقِبَةَ ، وَمَنْ كَانَ مُتَوَاضِعًا لَمْ يَعدِمِ الْكِرَامَةَ .

١٥٨ - حَكِيمٌ مِنَ الْعَجَمِ *

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَجَمِ لِمَلِكٍ كَانَ فِي دَهْرِهِ : أَوْصِيكَ بِأَرْبَعٍ خِلَالِ تَرْضَى بِهِنَّ رِيكَ ،
 وَتُصْلِحَ بِهِنَّ رَعِيَتُكَ ، لَا يَغْرُنُكَ ارْتِقَاءُ السَّهْلِ إِذَا كَانَ الْمُنْحَدِرُ وَعَرَا ، وَلَا تَعِدَنَّ عِدَّةً
 لَيْسَ فِي يَدِكَ وَفَاوَاهَا . وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ تَقِيَمَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً
 فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ .

(١٥٦) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣٧ : منسويًا إلى ابن دريد عن السكن عن العباس
 ابن هشام عن أبيه .

(١٥٧) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣٧ : منسويًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم الأصمعي
 عن بعض الحكماء .

(١٥٨) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٥٤ : منسويًا إلى ابن دريد عن أبي الحسن بن خضير
 عن حماد بن إسحق الموصلي عن أبيه .

وجد في حكمة فارس : إني وجدت الكرماء والعقلاء يبتغون إلى كل صلة ومعروف سببا ، ورأيت المودة بين الصالحين سريعا اتصالها ، بطيئا انقطاعها ، ككُوب الذهب سريع الإعادة إن أصابه ثلم أو كسر ؛ ورأيت المودة بين الأشرار بطيئا اتصالها ، سريعا انقطاعها ككُوب الفخار ، إن أصابه ثلم أو كسر فلا إعادة له ؛ ورأيت الكريم يحفظ الكريم على اللقاء الواحدة ومعرفة اليوم ؛ ورأيت اللئيم لا يحفظ إلا رغبة أو رهبة .

١٦٠ - منزلكم غير حسن *

كان الهيثم بن جراد من أثبت الناس ، وإنه أتى قوماً ليُرْهِدَهُمْ في منزلهم فقال : يا بني فلان ، ما أنتم إلى ريف فتأكلوه ، ولا إلى فلاة فتعصمكم ، ولا إلى وزير^(١) فيلجئكم ، فأنتم نهضة^(٢) لمن رامكم ، ولعقة لمن قصدكم ، وغرض لمن رامكم ، كالفقعة الشرباح^(٣) ، يشدعها الواطن ويركبها السافى^(٤) .

١٦١ - عزاء العرب *

عزى رجل من العرب رجلا على أخيه فقال : محبوب فائت ، وغنم عارض ، إن ضيعته فات أيضا وبقيت حسيرا ؛ أمّا أخوك فلا أخوك ، فلا يذهب بك جزعك فتحطّ سوددك ، وتقلّ ثقة عشيرتك باضطلاعك بالأمور ، وفي كثرة الأسى عزاء عن المصائب .

(١٥٩) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٤٠ ؛ منسوبا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة .

(١٦٠) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٨ ؛ منسوبا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي عن صخر بن فريط .

(١) الوزر : الجبل والملجأ . (٢) نهضة : فرصة

(٣) الفقعة الشرباح : الكعكة التي لا خير فيها . (٤) السافى : الريح التي تسفى التراب .

(١٦١) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٩٩ ؛ منسوبا إلى ابن دريد عن سعيد بن هارون عن التوزي عن أبي عبيدة .

مات أخ لذي رعين فعزاه بعض أهل اليمن فقال : إن الخلق للمخالق ، والشكر للمُنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بُدَّ مما هو كائن ؛ وقد حلَّ ما لا يُدفع ، ولا سبيل إلى رجوع ما قد مات ، وقد أقام معك ما سيذهب عنك وتتركه ، فما الجزع مما لا بُدَّ منه ، وما الطمع فيما لا يُرجى ، وما الحيلة فيما سيُنقل عنك أو تُنقل عنه ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد الأصل ، فأفضل الأشياء عند المصائب الصبر ، وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عن الركاب إلا في غيرها ، فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير ! فاعتبر بمن قد رأيت من أهل الجزع ، هل ردَّ أحدًا منهم إلى ثقة من ذلك ؟ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف ، فأفق والمرجع قريب ، وأنا أعلم أنما ابتلاك المنعم ، وأخذ منك المعطى ، وما ترك أكثر ، فإن نسيت الصبر فلا تغفل عن الشكر .

١٦٣ - أرق شعر قالته العرب *

وحدثنا أبو بكر بن دريد - رحمه الله - قال : سألت عبد الرحمن يومًا فقلت له : إن رأيت أن تُنشدني من أرق ما سمعته من عمك من أشعار العرب ! فضحك وقال : والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال : يا بُنى ، وما تصنع يرفيق أشعارهم ؟ فوالله إنه ليُفَرِّحَ القلوب ، ويَحُثُّ على الصَّباة ، ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوى :

يقولون مَنْ هذا الغريب بأرضنا	أما والهدايا إنسى لغريب
غريب دعاء الشوق واقتاده الهوى	كما قيّدَ عَوْدُ بالزُّمام أديبُ
وماذا عليكم إن أطاف بأرضكم	مُطالبٌ دَيْنٍ أو نَفْتُهُ حُرُوب
أمشى بأعطان المياه وأبتغى	قلانس منها صعبة وركوب

(١٦٢) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمل ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، مستندًا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة .

(١٦٣) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمل ، ص ٢٨ ، مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

فقلت : أريد أحسن من هذا ، فأشدنى :

لعمري لئن كنتم على النأى والغنى بكم مثل ما بى إنكم لصديق
فما دقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لى بين الجوانح ريق
إذا زفراتُ الحب صعدن فى الحشا كرزن فلم يُعلم لهن طريق
١٦٤ - تدليل الأطفال بالرجز *

دخل النبى ﷺ على عمه الزبير بن عبد المطلب وهو صبي فأقعده فى حجره ،
وقال :

محمد بن عبدم عشت بعيش أنعم ودولة ومغنم
فى فرع عز أسنم مكرم مُعظَّم دام سجين الأزم
ثم دخل عليه العباس بن عبد المطلب وهو غلام فأقعده فى حجره وقال :

إن أخى عباس عفا ذو كرم فيه عن العوراء إن قيلت صمم
يرتاح للمجد ويوفى بالذم وينحر الكوماء^(١) فى اليوم الثيم
أكرم بأعرافك من خال وعم

ثم دخل عليه ضرار بن عبد المطلب وهو أصغر من العباس ، فقال :

ظنى بعباس ضرار خير ظن أن يشتري الحمدو يغلى بالثمن
ينحر للأضياف زيات السمن ويضرب الكبش إذا البأس أرجحن^(٢)
ثم دخلت عليه ابنته أم الحكم ، فقال :

(١٦٤) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمال ، ص ١١٥ ، ١١٦ : مستنداً إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه
عن هشام عن رافع بن بكار وتوح بن دراج .
(١) الكوماء : الناقة السمينة . (٢) أرجحن : ثقل .

يا حبيذا أم الحكم كأنها ريم أحمر
يا بعملها ماذا يشم ساهم فيها فسهم
ثم دخلت عليه جارية له يقال لها أم مغيث ، فقالت : مدحت ولدك وبنى
أخيك ، ولم تمدح ابني مغيثا ، فقال : على به عجليه فجاءت به ، فقال :
وإن ظننى بمغيث إن كبر أن يسرق الحج إذا الحج كثر
ويؤقر الأعيار من قرف الشجر ويأمر العبد بليل يعتذر
ميراث شيخ عاش دهرًا غير حر

١٦٥ - هند تُرقص طفلها بالرجز *

قالت هند بنت عتبة ، وهى تُرقص ابنتها معاوية رحمه الله :
إن بُنى مُغْرَقٌ كَرِيمٌ مُحَبَّبٌ فى أهله حلِيمٌ
ليس بفحاش ولا لثيم ولا بُطْخُرُورٌ ^(١) ولا سَنُومٌ
صخر بنى فهر به زعيم لا يخلف الظن ولا يخيم

١٦٦ - وسلمة أيضا *

قالت ضُبَاعَةُ بنت عامر بن قُرط بن سلمة بن قُشَيْر وهى تُرقص ابنتها المُغَيَّرَةُ بن
سلمة :
غنى به إلى الذُرَى هِشَامٌ قَرَمٌ وَأَبَاءٌ لَهُ كَرَامٌ

(١٦٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٦ : مستندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام .

(١) الطخُرور : عكس الجلد .

(١٦٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٦ ، ١١٧ : مستندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام .

جَحَاجِحُ خَضَارِمٍ عِظَامٍ مِنْ آلِ مَخْزُومٍ هُمُ الْأَعْلَامِ
الهامة العلوية والسنام

١٦٧ - وَأُمُّ الْفَضْلِ كَذَلِكَ *

قالت أم الفضل بنت الحارث الهلالية وهي تُرقص ابنتها عبدالله بن العباس :
تَكَلِّتُ نَفْسِي وَتَكَلِّتُ بَكْرِي إِنْ لَمْ يَسُدْ فِيهِرًا وَغَيْرَ فَهَرِ
بِالْحَسْبِ الْعَدُوُّ وَبِذَلِّ الْوَفَرِ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ضَرِيحِ الْقَبْرِ

١٦٨ - أَعْرَابِيَّةٌ تُرْقِصُ ابْنَتَهَا *

كانت أعرابية تُرقص ابنتها وهي تقول :
أَحِبُّهُ حُبًّا شَحِيحٍ مَالَهُ قَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْفَقْرِ ثُمَّ نَالَهُ
إِذَا أَرَادَ بِذَلِكَ بُدَالَهُ

١٦٩ - الْبَاهِرُ يَعْظُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ *

دخل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين علي عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - قال : يا أبا جعفر أوصني ، قال : أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولدًا ، وأوسطهم أخًا ، وكبيرهم أبا ، فارحم ولدك ، وصل أخاك ، وير أباك ، وإذا صنعت معروفًا فَرِّتْهُ .

(١٦٧) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١١٧ : مستندًا إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام .
(١٦٨) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٢٩٣ : مستندًا إلى ابن دريد عن أبي حامد عن الأصمعي .

(١٦٩) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٣٠٨ : مستندًا إلى ابن دريد عن أحمد بن عيسى عن أسد بن سعيد عن أبيه عن جده عن عاصم .

قعد المأمون الحارثي في نادى قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم أفكر طويلا ثم قال : أرغوني أسماعكم ، واصغوا إلى قلوبكم ، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد ، طمح بالأهواء الأشر ، وران على القلوب الكدر ، وطخطخ الجهل النظر ، إن فيما نرى لمعتبرا لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزب ، وقمر تطلعه النحور ، وتحققه أديار الشهور ، وعاجز مثر ، وحول مكدر ، وشاب محتضر ، ويفن قد غير ، وراحلون لا يؤوبون ، وموقفون لا يفرطون ؛ ومطر يرسل بقدر ، فيحيى البشر ، ويورق الشجر ، ويطلع الثمر ، وينبت الزهر ، وماء يتفجر من الصخر الأير ، فيصدع المدر عن أفنان الخضر ، فيحيى الأنام ، ويشيع السوام ، وينمى الأنعام ؛ إن في ذلك لأوضح الدلائل على المذبر المقدّر ، البارئ المصور . يا أيها العقول النافرة ، والقلوب النائرة ؛ أنى توفكون ، وعن أى سبيل تعمهون ، وفي أى حيرة تهيمون ، وإلى أى غاية توفضون ؛ لو كشفت الأغصية عن القلوب ، وتجلت الغشاوة عن العيون ، لصرح الشك عن اليقين ؛ وأفاق من نشوة الجهالة ، من استولت عليه الضلالة .

١٧١ - العلم في الرأس لا في القراطيس *

سمع يونس رجلا ينشد :

استودع العلم قراطيسا فضيعة وبئس مستودع العلم القراطيس
قال : قاتله الله ! ما أشد صبايته بالعلم وصيانتته للحفظ ! إن علمك من روحك ، ومالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك وروحك ومالك صيانتك بدنك .

(١٧٠) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٧٣ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة .

(١٧١) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٢٣ ؛ مستندا إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .

وقد ورد الحديث في تعليق من أمالي ابن دريد ص ١٦٨ .

خرج رجل من العرب في الشهر الحرام طالباً حاجة ، فدخل في الحل فطلب رجلاً يستجيره ، فدفع إلى أغلبية يلعبون ، فقال لهم : من سيد هذا الحواء ؟ فقال غلام منهم : أبى ، قال : ومن أبوك ؟ قال : باعث بن عويص العاملى ، قال : صف لى بيت أبيك من الحواء ، قال : بيت كأنه حرة سوداء ، أو غداة حماء ، بفنائه ثلاثة أفراس ، أما أحدها : فمُفرع ^(١) الأكتاف ، مُتماجل الأكتاف ، مائل كالأطراف . وأما الآخر : فذبّال جوال صهال ، أمين الأوصال ، أشم القذال . وأما الثالث : فمُغمّار مُدْمَج ، محبوبٌ مُحْتَمَلَج ، كالقهقُر الأدهج . فمضى الرجل حتى انتهى إلى الحباء فعقد زمام ناقته ببعض أطنابه وقال : يا باعث ، جار عِلقتُ علاقتُ ، واستحكمت وثاقتُ ، فخرج إليه باعث فأجاره .

كنت عند أبى عمرو بن العلاء فجاءه شبيل بن عروة الضبعى ، فقام إليه أبو عمرو فألقى إليه لبدة بغلته ، فجلس عليها ؛ ثم أقبل عليه يحدثه فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، قال يونس : فلما ذكر رؤية لم أملك نفسى ، فزحفت إليه فقلت : لعلك تظن أن سعد بن عدنان أفصح من رؤية وأبيه ، فأنا غلام رؤية ، فما الرؤية والرؤية والرؤية والرؤية والرؤية ؟ فلم يُحر جواباً وقام مُغضباً ، فأقبل على أبو عمرو بن العلاء وقال : هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضى حقوقنا

(١٧٢) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالى ، ص ٥٧ : مسنداً إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن ابن الكلبي .

والحديث فيه من أوصاف القرس ما يجعله من مصادر المقامة الحمدانية عند بدیع الزمان بالإضافة إلى حديث الفتيات والخيول السابق ذكره .

(١) المفرع : المشرف .

(١٧٣) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالى ، ص ٤٨ ، ٤٩ : مسنداً إلى ابن دريد عن أبى حاتم عن أبى عبيدة عن يونس .

وقد أسأت فيما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤية ؛ ثم فسر لنا يونس فقال : الرؤية : خميرة اللبن . الرؤية : قطعة من الليل . وفلان لا يقوم برؤية أهله ، أى بما أسندوا إليه من أموالهم ومن حوائجهم والرؤية : جمام ماء الفحل . والرؤية مهموزة : القطعة تُدخلها فى الإناء تشعب بها الإناء .

١٧٤ - رسالة شكر

كتب مالك بن أسماء بن خارجة إلى الهيثم بن الأسود النخعى ، يشكر له قيامه بأمر رجل من آل حذيفة بن بدر عند الحجاج حتى خلّصه منه : أما بعد ، فإنه لما كلّت الألسن عن بلوغ ما استحققت من الشكر ، كان أعظم الحيل عندي فى مكافأتى إخلاصك صديق الضمير ، وكما لم تعرف الزيادة فى العلا إذ جرّيت غاية طولك جهلنا غاية الثناء عليك ، فليس لك من الناس إلا ما ألهموا من محبتك ، فأنت كما وصف الواصف إذ يقول :

فما تعرف الأوهام غاية مدحه يقيئاً كما ليست بغايته تدرى

١٧٥ - عتاب على عدم الرد على الكتاب *

خرج أعرابى إلى الشام ، فكتب إلى بنى عمه كتباً فلم يجيبوه عنها ، فكتب إليهم :
 ألا بلغ معاتبتي وقولي بنى عمى فقد حَسَنَ العتاب
 وسل هل كان لى ذنب إليهم هُمُ منه فأغْتَبَهُم غِضَابُ
 كتبت إليهم كتباً مراراً فلم يرجع إلى لهم جواب
 فلا أدري أغرهم تنائى وطول العهد أم مال أصابوا

(١٧٤) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن العكلّى عن ابن خالده عن الهيثم .

(١٧٥) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٩ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

فَمَنْ يَكُ لَا يَدُومُ لَهُ وَفَاءٌ وَفِيهِ حِينَ يَغْتَرِبُ انْقِلَابُ
فَعَهْدِي دَائِمٌ لَهُمْ وَوُدِّي عَلَى حَالٍ إِذَا شَهِدُوا وَغَابُوا

١٧٦ - من حكم العرب *

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبدالرحمن عن عمه قال : قيل لبعض الحكماء : ما الداء العياء ؟ فقال : حَسَدٌ ما لا تناله بقول ولا تُدرکه بفعل .

قال أعرابي : من لم يَضَنْ بالحق عن أهله فهو الجواد . وقال آخر : الصبر عند الجود أخو الصبر عند اليأس : سخاء النفس عما في أيدي الناس أكثر من سخاء البذل .

١٧٧ - دنيا الزهاد *

وجد بخط العتيبي بعد موته أن رجلاً سأل بعض الزهاد فقال : أخبرني عن الدنيا . فقال جمّة المصائب ، أنفة المشارب لا تُمتع صاحباً بصاحب .

١٧٨ - عنزة ضائعة *

قال أبو عمرو بن العلاء : رأيت باليمن غلاماً من جرم يشد عنزاً ، فقلت : صفها يا غلام ؛ قال : حِراءٌ ^(١) مُقْبِلَةٌ ، شعراءٌ مُدْبِرَةٌ ؛ ما بين عشرة ^(٢) الدَّهْسَةِ ^(٣) ، وقُتُوْءٌ ^(٤) الدُّبْيَةِ ؛ سَجَّاحُ الخَدَّيْنِ ، خطّلاءُ الأُذُنَيْنِ ، فشقاءُ الصُّورَيْنِ ؛ كَأَنَّ زَمَنَئِيهَا تَتَوَّاهُ قُلُوبُنِي ، يا لها أُمِّ عِيَالٍ ، وِثْمَالٍ مالٍ .

(١٧٦) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٨٠ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبدالرحمن عن عمه .

(١٧٧) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٨٠ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم .

(١٧٨) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٣٤ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عبدالرحمن عن عمه .

عن ابن عمرو بن العلاء .

(١) يعني أنها قليلة شعر المقدم . (٢) غرة : كدرة . (٣) الدهسة : لون الرمال . (٤) قنوة : شدة

الحرمة .

١٧٩ - رد على التهنئة بسلام *

وُلِدَ للحسن البصرى غلام فهنأه بعض أصحابه ، فقال الحسن : نحمد الله على هبته ، ونستزيده من نعمته ؛ ولا مرحباً بمن إن كنتُ غنياً أذهلنى ، وإن كنتُ فقيراً أتعينى ؛ لا أرضى له يسعنى سعيًا ، ولا يكذبى له فى الحياة كذباً ؛ أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتى ، وأنا فى حال لا يصلُ إلى من همهُ حُزَنٌ ولا من فَرَحُهُ سُرُورٌ .

١٨٠ - الأعرابى والكلام الموجز *

قال الأصمعى : سمعت أعرابياً يمدح رجلاً فقال : كان والله ساعياً فى طلب المكارم ، غير ضالٍّ فى معارج طُرقها ، ولا متشاغل بغيرها عنها .
وسمعتُ أعرابياً يقول : شَبَعْنَا الحَيَّ وفيهم أدوية السَّقام ، فقرَأن بالحدق السلام ، وغَرَسَتِ الألسُنُ عن الكلام .

١٨١ - الموت كمذا على أبنائه السبعة *

كان لرجل من بنى ضبة فى الجاهلية بنون سبعة ، فخرجوا بأكلب لهم يقتنصون ، فألوا إلى غار فهوت عليهم صخرة فأتت عليهم جميعهم ، فلما استراث أبوهم أخبارهم اقتفر آثارهم حتى انتهى إلى الغار فانقطع عنه الأثر ، فأيقن بالشر ، فرجع وأنشأ يقول :
أَسْبَعَةُ أَطْوَادٍ أَسْبَعَةُ أَبْحَرٍ أَسْبَعَةُ أَسَادٍ أَسْبَعَةُ أَلْجَمِ
رَزَقْتُهُمْ فى سَاعَةٍ جَرَعَتْهُمْ كَشَوْسَ الْمَنَايَا تَحْتَ صَخَرٍ مُرْضَمٍ^(١)

(١٧٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٩ ، مستنداً إلى ابن دريد عن ابن عثمان عن التوزى عن ابن عبيدة .

(١٨٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٨٤ ، مستنداً إلى ابن دريد عن الرياشى عن الأصمعى ، وينقش السند الحديث الثانى .

(١٨١) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ٦٦ ، مستنداً إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه عن يونس .

(١) المرضم المنضد بعضه على بعض .

فمن تك أيام الزمان حميدة لديه فيأني قد تعرقن أعظمى
 بلغن نيسى ^(٢) وارتشغن بلأني ^(٣) وصليننى جمر الأسى المتضرم
 أحين رمانى بالثمانين مَنَكِبُ من الدهر مُنَح في فؤادى بأسهم
 رَزَنْتُ بأعضادى الذين بأيدهم أنوء وأحمى حوزتى وأحتمى
 فإن لم تَذِبْ نفسى عليهم صباية فسوف أشوبُ دمعها بعدُ بالدم
 ثم لم يلبث بعدهم إلا قليلا ثم مات كمدا .

١٨٢ - من حكم الأحنف بن قيس *

قال الأحنف بن قيس : الكذوب لا حيلة له ، والخسود لا راحة له ؛ والبخيل لا
 مروءة له ؛ والمُلُول لا وفاء له ؛ ولا يسود سِنَّ الأخلاق ؛ ومن المروءة إذا كان الرجل
 بخيلاً أن يكتم ذلك ويتجمل .
 وقيل للأحنف : م بلغت ما بلغت ؟ قال : لو عاب الناسُ الماء ما شربته .

١٨٣ - أحلى من العسل وأمر من الصبر *

ذكر أعرابي رجلاً فقال : نِعَمْ حَشُو الدَّرْعِ وَمَقْبِضُ السِّيفِ وَمِدرَةُ الرُّمَحِ ! هو كان
 أحلى من العسل إذا لوين ، وأمر من الصبر إذا خُوشن .

(٢) النسيس : بقية النفس . (٣) البلالة : الرطوبة .

(١٨٢) * ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن
 ابن زيد عن هشام بن حسان عن الحسن .

* ورد الحديث في الجزء الأول من الأمالي ، ص ٢٣٢ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم .
 (١٨٣) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ١١٥ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي .

١٨٤ - من وصايا حكيم *

الحسدُ ماحقٌ الحسَنات ، والزهو جالبٌ لمقت الله ومقت الصالحين ، والعُجب صارفٌ عن الازدياد من العلم داع إلى التَّخَيُّط والجَهل ، والبخل أذمُّ الأخلاق وأجلُّها لسوء الأُحدوثِ .

سَمِعَ رجلٌ يوصى آخر وأراد سفرًا فقال : أئِزَّ بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك رشادك ؛ وليكن عقلُك وزيرك الذى يدعوك إلى الهدى ، ويعصمُك من الرُدى ؛ أَلْجِمْ هَواك عن الفواحش ، وأطلقه فى المكارم ؛ فإنك تَبِرُ بذلك سلفك ، وتَشِيدُ شَرَفَكَ .

١٨٥ - من حكم لقمان *

كان لقمان الحكيم يقول : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الحرب ، وأخوك عند حاجتك إليه .

١٨٦ - من حكم الأحنَف بن قيس *

قال التَّوْزَى : أخبرنى رجلٌ من أهل البصرة عن رجلٍ من بنى تميم قال : حضرتُ مجلسَ الأحنَف بن قيس وعنده قوم مجتمعون فى أمر لهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الكرم ، منع الحُرْم ؛ ما أقربُ النعمة من أهل البغى ، لا خير فى لذة تُعقب ندما ؛ لئن يَهْلِك من قصد ، ولئن يقتقر من زهد ، رَبُّ هزل قد عاد جِدًّا ؛ من أَمِن الزمان خانته ، ومن تعظَّم عليه أهانه ؛ دَعُوا المِزاح فإنه يُورِثُ الضغائن ، وخير القول ما صدَّقه الفعل ، احتملوا لمن أدلَّ عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم ؛ أطع أخاك وإن عصاك ، وصِله

(١٨٤) * ورد الحديث فى الجزء الأول من الأمالى ، ص ١٩٧ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه

(١٨٥) * ورد فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١٧٩ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن أبى حاتم .

(١٨٦) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٢٠ ؛ مستندًا إلى ابن دريد عن أبى عثمان عن التَّوْزَى .

وإن جفاك ؛ أنصف من نفسك قبل أن يُنتصف منك ؛ وإياكم ومُشاورة النساء ، واعلم أن كُفر النعمة لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ؛ ومن الكرم ، الوفاء بالذم ؛ ما أقبح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الود ؛ لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل . واعلم أن لك من دنياك ، ما أصلحت به مثواك ، فأنفق في حق ، ولا تكونن خازناً لغيرك . وإذا كان الغدر في الناس موجوداً ، فالثقة بكل أحد عجز ؛ إعرف الحق لمن عرفه لك . واعلم أن قطيعة الجاهل ، تعذِل صِلَة العاقل . قال : فما رأيت كلاماً أبلغ منه ، فقممت وقد حفظته .

١٨٧ - وتبعض الحكماء*

قال الأصمعي : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول : إني لأعظكم وإني لكثير الذنوب مُسرفاً على نفسي ، غير حامدٍ لها ولا حاملها على المكروه في طاعة الله عز وجل ، قد بلوثها فلم أجد لها شكرياً في الرخاء ، ولا صبراً على البلاء ؛ ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يُحكّم أمر نفسه لترك الأمر بالخير والنهي عن المنكر ، ولكن مُحادثة الإخوان حياةٌ للقلوب وجلاءٌ للنفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ؛ واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ؛ وإقبالها إديار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومُنْتَظَر غداً لا يبلغه ؛ ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

١٨٨ - من وصايا عمر بن الخطاب*

كتب عمر - رضى الله عنه - إلى ابنه عبد الله في غيبة غابها : أما بعد ، فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكره زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى جلاءً بصرك ، وعماد ظهرك ؛ فإنه لا عمل لمن لا نيّة له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خلق له .

(١٨٧) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، ص ٥٥ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .
(١٨٨) * ورد الحديث في الجزء الثاني من الأمالي ، مستنداً إلى ابن دريد وأبي حاتم والعنبي عن رجل من داخل الكوفة .

١٨٩ - من حكم على بن أبي طالب *

بلغنى أن على بن أبي طالب - رضى الله عنه - كان يقول : إنما المرء فى الدنيا غرضٌ تنتهز فيه المنايا ، ونهبٌ للمصائب ؛ ومع كل جرعة شرق ، وفى كل أكلة غصص ؛ ولا ينال العبد فيها نعمة إلا يفراق أخرى ، ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ؛ فنحن أعوان الخُوف ، وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء ، فمن أين نرجو البقاء ، وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شىء شرفاً إلا أسرع الكربة فى هدم ما بنا ، وتفريق ما جمعا ، فاطلبوا الخير وأهله ، واعلموا أن خيراً من الخير مُعطيه ، وشرّاً من الشر فاعله .

١٩٠ - على يعظ ابن عباس *

قال ابن عباس : كتب إلى على بن أبي طالب - رضى الله عنه - بموعظة ما سررت بموعظة سرورى بها ! أما بعد ، فإن المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه قوت ما لم يكن ليُدركه ، فما نالك من دنياك فلا تُكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تُتبعه أسفاً ؛ فليكن سرورك بما قدّمت ، وأسفك على ما خلّفت ؛ وهنك فيما بعد الموت .

١٩١ - على يصف الدنيا *

سأل رجل على بن أبي طالب - رضوان الله عليه - قال : صِفْ لنا الدنيا ، فقال : وما أصيف من دارٍ أولّها عناء ، وآخرها فناء ؛ من صحّ فيها أمين ، ومن سقم فيها نديم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فتن ، حلالها حساب وحرامها عذاب .

(١٨٩) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، مستنداً إلى أبى على عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى .

(١٩٠) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ٩٤ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن العكلى عن أبيه .

(١٩١) * ورد الحديث فى الجزء الثانى من الأمالى ، ص ١١٧ ؛ مستنداً إلى ابن دريد عن عمه عن أبيه عن هشام .

المصادر والمراجع

اكتفينا هنا بإيراد أهم المصادر والمراجع اعتماداً على ورود كل المراجع في الهوامش التفصيلية للكتاب ، وقد اعتمدنا الترتيب الهجائي لعنوان الكتاب :

١ - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . د. محمد مصطفى هدارة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (د. ت) .

٢ - أخبار الحمقى والمغفلين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٨) الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٣ م.

٣ - أدب الكاتب ، ابن قتيبة ، أبو عبدالله محمد بن مسلم ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى - الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٦٣ م.

٤ - الأدب المقارن ، النظرية والتطبيق . د. أحمد درويش ، مكتبة الزهراء - القاهرة ١٩٨٥ م . (الطبعة الثالثة : دار غريب ٢٠٠١) .

٥ - الاشتقاق ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق عبد السلام هارون دار المسيرة - الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩ م.

٦ - الأمالي : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، دار الحديث للطباعة والتوزيع - الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٤ م.

٧ - البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب - الطبعة السادسة القاهرة ١٩٨٨ م.

- ٨ - بديع الزمان الهمذاني ، مارون عبود ، دار المعارف - الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨٠ م.
- ٩ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، الحافظ جلال بن عبد الرحمن السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت (د. ت) .
- ١٠ - بناء لغة الشعر ، جون كوين ، ترجمة وتقديم وتعليق د. أحمد درويش ، الهيئة العامة لقصور الثقافة - الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٠ م.
- ١١ - تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧ م.
- ١٢ - تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحلیم النجار ، دار المعارف - الطبعة الرابعة ، القاهرة .
- ١٣ - تاريخ بغداد ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، المكتبة السلفية المدينة المنورة (د. ت) .
- ١٤ - تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، د. محمد زغلول سلام ، منشأة دار المعارف بالإسكندرية (د. ت) .
- ١٥ - تاريخ العلامة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٢ م.
- ١٦ - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، نور الدين محمد عبدالله بن حميد السالمي ، مطبعة الإمام بالقلعة ، القاهرة (د. ت) .
- ١٧ - تعليق من أمالي ابن دريد ، تحقيق السيد مصطفى السنوسي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ١٩٨٤ م.
- ١٨ - جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق الدكتور رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت (د. ت) .

- ١٩ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، آدم ميتز ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٢٠ - دائرة المعارف الإسلامية ، مادة «ابن دريد» ، بدرس ، الترجمة العربية ، القاهرة .
- ٢١ - ديوان ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق عمر سالم ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٧٠ م .
- ٢٢ - ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٧١ م .
- ٢٣ - رسالة الغفران ، أبو العلاء المعري ، تحقيق محمد عزت نصرالله ، المكتبة الثقافية بيروت (د - ت) .
- ٢٤ - زهر الآداب وثمر الألباب ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، مشروح بقلم د . زكي مبارك ، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجليل - الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٢ م .
- ٢٥ - شرح مقصورة ابن دريد ، الأستاذ عبد الوصيف محمد ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٢٦ - شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان ، محمد بن راشد بن عزيز الحفصبي - وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ١٩٨٤ م .
- ٢٧ - الصوت المنفرد ، فرانك أوكثور ، ترجمة د . محمود الربيعي ، المجلس الأعلى للفنون والآداب ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٢٨ - ظهر الإسلام : أحمد أمين ، دار الكتاب العربي - الطبعة الخامسة ، بيروت (د - ت) .

- ٢٩ - العقد الفريد ، ابن عبدربه ، تقديم خليل شرف الدين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٦ م .
- ٣٠ - فعاليات المنتدى الأدبي في سلطنة عمان ، مسقط ١٩٩٠ م .
- ٣١ - الفن القصصى ، سلسلة فنون الأدب العربى «المقامة» . د. شوقى ضيف ، دار المعارف - الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٣٢ - المجتنى ، مختارات من الأخبار والأشعار والمعانى والحكم . أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي ، تحقيق السيد هاشم الندوى ، دار الفكر ، دمشق ١٩٧٩ م .
- ٣٣ - مختار الحكم ومحاسن الكلم ، أبو الوفاء المبشر بن فانك ، حققه وقدم له وعلق عليه د. عبد الرحمن يدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠ م .
- ٣٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، أبو الحسن على بن الحسين المسعودي ، شرح الدكتور مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ م .
- ٣٥ - معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت (د.ت) .
- ٣٦ - مقامات أبى الفضل بدیع الزمان الهمداني . شرح الشيخ محمد عبده المصرى ، الدار المتحدة للنشر - الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ٣٧ - الملاحن ، الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم إطفيش الجزائري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧ م .
- ٣٨ - من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٨٥ م .
- ٣٩ - موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية . د. أحمد شليبي ، مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثامنة ، القاهرة ١٩٨٥ م .

- ٤٠ - موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ، جامعة السلطان قابوس ، مكتبة لبنان ١٩٩١ م .
- ٤١ - موسيقى الشعر . د . إبراهيم أنيس ، دار القلم ، بيروت (د . ت) .
- ٤٢ - النثر الفني في القرن الرابع الهجري . د . زكي مبارك ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت (د . ت) .
- ٤٣ - النقد المنهجي عند العرب . د . محمد مندور ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة (د . ت) .
- ٤٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان . تحقيق د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت (د . ت) .
- ٤٥ - النقد الأدبي الحديث . د . محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٧ م .

محتويات الكتاب

- بين يدي البحث : ص ٥ - ٨

- الإطار الزمني وخصوصية الذاكرة : ص ٩ - ١٣

الحياة الممتدة ، الذاكرة اليقظة في الشيخوخة ، الومضات المبكرة .

- الإطار المكاني ومجال الحركة : ص ١٥ - ٣٦

أهمية دراسة المكان ، المراحل الرئيسية في خريطة الحركة ، المولد والنشأة ، الخلاف بين الباحثين ، الرحلة إلى عُمان ، مناقشة الروايات القديمة ، دلالات بعض النصوص الشعرية ، إسهام ابن دريد في أحداث الإمامة في عمان ، قصائده في معارك محمد ابن نور في عمان ، لقاءه مع بني ميكال في صحار ، دلالات الأحداث على صلة ابن دريد بعمان في النصف الثاني من القرن الثالث ، مرحلة خراسان ومكانته ونشاطه العلمي والأدبي فيها ، المرحلة التغددية ونهاية المطاف .

- الرجل والعصر ، التمثل وتعدد المصادر : ص ٣٧ - ٤٩

مكانة العلماء في القرن الرابع ، التوسط بين الثقافتين ، تأثير جيل الأصمعي في الرواية على ابن دريد ، أثر الثقافة الحديثة ، صراع الثقافتين ومناظرة متى والسيرافي ، كتاب المجتنى لابن دريد ودلالته الهامة على موقف ابن دريد من الثقافة الحديثة .

- التلاميذ وأستاذ الجيل : ص ٥١ - ٥٨

اختلاف الاتجاهات في مدرسة ابن دريد ، السيرافي ، الرماني ، الأمدى ، المسعودي ؛ أبو علي القالي ، أبو الفرج الأصفهاني ، الزجاجي ، المرزباني ، هل تتلمذ المتنبي على ابن دريد ؟

- المؤلفات والبحث عن صوت متميز : ص ٥٩ - ٧٥

قائمة بمؤلفات ابن دريد ، صعوبة التميز في عصر المؤلفات الغزيرة ، الجمهرة والانتقال من معاجم السمع إلى معاجم العين ، توسيع مدى الفائدة العلمية ، «الملاحن» ورصد المستوى الخاص في الإدراك الأدبي واللغوي ، «الاشتقاق» أول مؤلف حول أسماء العرب ، الدلالات اللغوية والحضارية .

- ابن دريد الأديب الشاعر : ص ٧٧ - ١٠٢

شاعرية ابن دريد لدى معاصريه ، موقف أبي العلاء في رسالة الغفران ودلالته ، ديوان ابن دريد المفقود ، كم قرناً عاش وكم مجلداً كان ؟ الديوان الموجود وقيمته ، خصائص في بناء القصيدة عند ابن دريد ، نظام المربعة والقافية المعكوسة ، نظام المثلثة هل كان ابن دريد رائداً في النظامين ؟ وهل بنى على مثاله أحد؟ قراءة جديدة لمقصورة ابن دريد ، هل هي قصيدة تعليمية؟ أم قصيدة مدح؟ فرضية المحور الواحد للقصيدة ، البطل الجنوبي المغامر في الشمال ، اللجوء إلى اللوحات الموازية ، رصد اللوحة المتحركة واللوحة الساكنة ، اللوحات الأساسية والعارضة ، شبح البطل الجنوبي في فارس .

- ابن دريد الأديب النائر ، الخصائص الفنية لأحاديث ابن دريد : ١٠٣ - ١٣٠

السمة الأدبية لابن دريد ، أحاديث ابن دريد الأربعون ، مناقشة دلالة الرقم ومدى فهمه عند السابقين ، علاقة الأحاديث بالمقامات ، إشارة الحصري ، تركيز زكي مبارك رأي بروكلمان ، نسبة حديث أبي نواس لابن دريد ، مقارنة بين الأحاديث والمقامات ، الإطار الفني بين الإيهام بالصرف والتصريح الخيال ، فكرة الماضي والحاضر ، الأنماط القصصية في الأحاديث ، الخبر ، المشهد القصصي ، الموقف القصصي ، الحكاية المتشابكة العناصر ، المشهد المتحرك والمشهد الساكن ، العوالم التي تعكسها الأحاديث والمقامات ، عالم الكدية ، عالم الأعراب ، عالم النساء ، عالم الطرائف .

- أحاديث ابن دريد ، محاولة لتجسيد نص أدبي غائب : ص ١٣١ - ١٤٤

طرح منهج لتجميع النص الأدبي الغائب ، الأهمية الحضارية لإعادة تقديم التراث ،
الأجزاء الباقية من نثر ابن دريد ، الأحاديث المروية في أمالي القاضي ومنهجه في
إيرادها ، البحث عن محاور موضوعية تنتظم وفقاً لها الأحاديث ، مشكلة سلاسل
الإسناد ، الشروح اللغوية ، عناوين الأحاديث .

- أحاديث من عالم الأعراب والبادية : ص ١٤٥ - ١٧٠

الأعراب والكدية ، الأعرابي السائل في المسجد الحرام ، في مسجد البصرة ، بدوية
تعيش بين القبور ، الأعرابي والخمر ، أعرابي بين ضرتين ، الأعرابي والبخيل ،
الأعرابي والكريم ، الأعرابي وجار السوء ، أعرابية تكره المبالغة ، أعرابي يقبل
النصيحة ، الأعرابي والطعام الخشن ، أعرابية ثكلى متجلدة ، الجمال المثالي عند
الأعرابي ، حذاء الأعراب يشفى الأصمعي من الحمى ، للأعرابي بين زوجته
والخروف والخمر ، أعرابي وقرود وامرأة ، جهل الأعراب بالقرآن ، أعرابي يتكلم في
الصلاة ، بين الأعراب . . التحية يمثلها ، أعرابي يخاف من الصيام ، الأعرابي
والبواب الضخم ، الحاجب تجاهل الأعرابي ، صلاة أعرابي ، أعرابي يصف إخوته ،
على باب الفضل بن الربيع ، أعرابي يصف حكيماً ، أعرابي يصف كريماً ، أعرابي
يصف المطر ، نصيحة أعرابي ، من حكم الأعراب ، أعرابي بليغ ، وصية أعرابي ،
حسنة يصفها أعرابي ، يتولى منصباً عاماً ، يواجه التهديد بالكدية ، مشادة بين
أعرابية وزوجها ، الأصمعي يقصد أعرابياً عجوزاً ، الأصمعي يفوز على أعرابي ،
أعرابي يصف قومه ، أعرابي يحسن التخلص ، أعرابي فصيح ، بلاغة غلام ، أعرابي
يصف خيلاً ، يصف بنيه ، الرواد والجذب ، أعرابية تثني علي زوجها ، عبد الملك
وأعرابي ماذح ، أعرابي ينصح النعمان ، أعرابي يصف النساء ، دعاء أعرابي .

- أحاديث من عَالَم الطرائف والنوادر : ص ١٧١ - ١٩٤

الواشي والشاعر ، لا تخلطوا جائزتي بغيرها ، الشاعر والحائط وحمار الخليفة ، أربعة أبيات بأربعة آلاف ، شاعران وشيطان واحد ، المعارضة من فوق المثذنة ، غرامة على الشاعر الردى ، شاعر لكل العصور ، الشاعر وحسن الجواب ، شاعر بين ملكين ، الثأر ، عندما يكون الشاعر راوية نفسه ، الأحاديث قبل ابن دريد ، عقروا الرواحل على قبره ثم رثوه ، جرير ناقدأ ، حسن إنشاد الشعر ، نهم يتمنى ، متخم وزوجته جائعة ، أشعب عالماً ، زمان الحمقى ، غلام غريب الاسم ، الموت أرحم من زوجته ، زوجان يذيثان ، أعمى يبحث عن حمار ، عمياء تتخيل فرساً ، ثكلى كريمة ، زكاة الجاه ، الخليل يرفض صلة الأمير ، ولد عجيب الشكل ، جسد أسود في ثوب أبيض ، أحب البغضاء ، وارث إخوته ، القبور تجدد الأحزان ، جاهليون حرموا على أنفسهم الخمر ، تعارف على طريقة النسابين .

- أحاديث من عالم الكهان : ص ١٩٥ - ٢٠٣

هل يعرف الكاهن الخبأ ، كاهنة تُنبأ بكارثة ، كاهن جنوبي يعتنق الإسلام ، الصعلوك والكاهنة .

- أحاديث من عالم النساء والصباية : ص ٢٠٥ - ٢٢٣

النساء ثلاث والرجال ثلاثة ، العشق يشفع للجندي الهارب ، البنات الثلاث والزوج المطلوب ، أحلام العوانس الثلاث ، الوصيفات يرغبن بنت الملك فى الزواج ، شروطها فيمن تقبل الزواج منه ، ترفض أن تكره على الزوج ، العاشقة المطلقة ، الصبايا يسمعن الغزل ، عاشقة ابن عمها ، عاشقة تعترف ، يراها ولا تراه ، شكوك الزوج ، بين نحوي وزوجته ، الصبيان والعاشق ، رجل وأربع حسناوات في الصحراء ، كثير فى سوق المدينة ، الحسنات والخيل ، فراق الأحباب ، حميري يشخص الداء ، الغريب والعاشق ، صلابة الحماسة لا رقة الغزل .

- أحاديث من الجنوب : ص ٢٢٥ - ٢٣٤

حكيمان عند ملك حمير ، قيل يصلح بين شريطين ، حميري مع ولديه ، شاعر عند ملك حمير .

- أحاديث من التاريخ : ص ٢٣٥ - ٢٥٦

يتشاقان عند معاوية ، معاوية يتماسك ، أريحية معاوية ، وصف علي في مجلس معاوية ، معاوية يسأل عن قبائل العرب ، معاوية : من هم الناس ؟ ، معاوية : ما صفات السادة ؟ ، في مجلس معاوية ، معاوية يجلد أحد ولاته ، آخر خطبة لمعاوية ، معاوية يطلب البيعة ليزيد ، نصيحة زياد لعماله ، حميري يبايع يزيداً ، معاوية والأحف ، الحجاج يعترف بعيوبه ، عبد الملك والأعشي والحجاج ، الهجاء وجليس الخليفة ، عبد الملك يسامر أهل بيته ، بلاغة عبد الملك ، يهوز عبد الملك ، نصائح سياسية ، احترسوا من الشعراء ، صورة مثالية لموظف عام ، المهلب وجاسوس بليغ ، قرشي مع هشام ، حفيد عبد الملك ، الرعية وعمر بن عبد العزيز ، تصميم عبد الملك ، كيد امرأة ضد البختري ، البختري أمير مظلوم .

- أحاديث من عالم الحكمة والفصاحة : ص ٢٥٧ - ٢٧٤ .

للمرء عقلان ، الأعمى وقائده الجميل ، قس بن مسعدة في بلاط قيصر ، أعمدة الحكمة لسبعة ، حكيم من العجم ، من الحكمة الفارسية ، منزلكم غير حسن ، عزاء العرب ، أرق شعر قالته العرب ، تدليل الأطفال بالرجز ، هند ترقص طفلها بالرجز ، الباقر يعظ عمر بن عبد العزيز ، تأملات مسجوعة ، العلم في الرأس لا في القرباس ، غلام يصف بيت أبيه ، يونس يدافع عن رؤية ، رسالة شهكر ، من حكم الأعراب ، عنزة ضائعة ، رد على التهينة بغلام ، الموت كمدأ على أبنائه السبعة ، أحلى من العسل وأمر من الصبر ، من حكم لقمان ، من وصايا عمر بن الخطاب ، علي يعظ ابن عباس .

- المصادر والمراجع : ص ٢٧٥

كتب أخرى للمؤلف :

- ١ - ثقافتنا فى عصر العولمة - لونجمان - القاهرة ٢٠٠٢ .
- ٢ - الاستشراق الفرنسى والأدب العربى - دار غريب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، الطبعة الأولى - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٧ .
- ٣ - نظرية الأدب المقارن وتجلياتها فى الأدب العربى - دار غريب - ٢٠٠٢ .
- ٤ - خليل مطران شاعر الذات والوجدان - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ٢٠٠١ .
- ٥ - النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر واللغة العليا) - مترجم دار غريب - ٢٠٠٠ .
- ٦ - فى صحبة الأميرين أبى فراس الحمدانى وعبد القادر الجزائرى - مؤسسة البابطين - الكويت ٢٠٠٠ .
- ٧ - إنقاذ اللغة من أيدي النحاة - دار الفكر - سوريا ١٩٩٩ .
- ٨ - فن التراجم والسير الذاتية (مترجم) - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ١٩٩٩ .
- ٩ - تقنيات الفن القصصى عبر الراوى والحاكى - لونجمان - القاهرة ١٩٩٨ .
- ١٠ - تطور الأدب فى عُمان - دار غريب - ١٩٩٨ .
- ١١ - النص البلاغى فى التراث العربى والأوروبى - دار غريب - ط. الثانية ط أولى - مكتبة النصر ١٩٩٢ - ١٩٩٨ .
- ١٢ - دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث - دار غريب - ط. الثانية ط. أولى - مكتبة الزهراء ١٩٨٤ - ١٩٩٨ .

- ١٣ - التراث النقدي : قضايا ونصوص - (هيئة قصور الثقافة) مصر - ١٩٩٨ .
- ١٤ - متعة تذوق الشعر - دار غريب - ١٩٩٧ .
- ١٥ - الأدب المقارن ، النظرية والتطبيق - دار الفكر الحديث ط الثالثة ط. أولى مكتبة الزهراء ١٩٨٥ - ١٩٩٦ .
- ١٦ - الكلمة والمجهز (فى نقد الشعر) - دار الشروق - القاهرة ط الثانية ط. أولى - دار الثقافة ١٩٩٣ - ١٩٩٦ .
- ١٧ - فى النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة - دار الشروق - ط الثانية ط. أولى - النهضة المصرية ١٩٨٨ - ١٩٩٦ .
- ١٨ - اللغة العليا (النظرية الشعرية) مترجم - المجلس الأعلى للثقافة - ١٩٩٥ .
- ١٩ - أحمد الشايب ناقدًا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٤ .
- ٢٠ - بناء لغة الشعر (مترجم) - دار المعارف (الطبعة الثالثة) الطبعة الأولى . دار الزهراء ١٩٨٥ ، الطبعة الثانية ، قصور الثقافة ١٩٩٠ - ١٩٩٣ .
- ٢١ - مدخل إلى دراسة الأدب فى عُمان - دار الأسرة - مسقط - ١٩٩٠ .
- ٢٢ - جابر بن زيد - حياة من أجل العلم - مسقط (الطبعة الأولى) صدرت طبعة لاحقة للكتاب فى سلسلة أعلام العرب - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٢ - ١٩٨٨ .
- ٢٣ - مدخل إلى الدراسات البلاغية - دار الثقافة العربية - ١٩٨٣ .
- ٢٤ - العربية لغة بسيطة - I, ARAB - LANG : SIMBLE - باريس ١٩٨٢ .